

للعالم الفاضل

السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

الناشر: دار جوامع الكلم ١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى
الدراسة - القاهرة - ت: ٥٨٩٨٠٢٩



للسيد محمد بن علوى بن عباس المالكى المكى الحسنى

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

وبهامشه

بحوث هامة وتحقيقات تتعلق بمواضع النقد والاعتراضات

كتبها

جمال فاروق جبريل محمود الدقاق

الناشر: دار جوامع الكلم - ١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى - الدراسة - القاهرة

ت: ٩٢٧٣٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ / /
الموافق / /

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد: فأقول أنا السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني المكي. بأنني قد أذنت لدار جوامع الكلم بالقاهرة بالقيام بطبع جميع كتبي ونشرها وتوزيعها بعد التصحيح والمراجعة والله ولي التوفيق

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني

١٤١١/١٢/٧

بســم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشــر

الحمد لله رب العالمين...

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

وبعــد : ......

فإن سعـادة المؤمن فـى الدنيـا وكـرامته فى الأخـرة تتحقق بـاقتدائه بـرسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلم ، وصـدق الله العظيم حيث يقول فى كتابه الكريم : «لقد كان لكم فى رسول الله أسـوة حسنـة لمن كـان يـرجو الله واليـوم الآخـر وذكـر الله كثيرا» .

ولا تكون الأسـوة إلا بعد معرفـة رسول الله ــ صلى الله عليه وآلـه وسلم ــ المعـرفـة الحقـة ، الشـاملـة الكـاملـة ، البينـة الـواضحة ، فى كل مـا يتعلق برسـول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم .

ففى عباداتـه وعاداته أسوة ، وفى حـركاته وسكناتـه أسوة ، وفى أقوالـه وأفعالـه وجميع أحوالـه أسوة ، وفى خَلْقـه وخُلُقه أسوة ، وفى مشيه أسوة ، وفى جلوسه أسوة ، وفى قيامه أسوة ، وفى نومه أسوة ، وفى حديثه أسوة ، وفى صمته أسوة . . .

وإذا كـان رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم هو الأسـوة والقـدوة فى كل شىء فـلا غنـى للمـؤمن عن تقصى حقـائق سيرته العطرة وتتبع شمائله الطيبة .

ولقد كتب العلماء الأجلاء فـى صحاح كتب السنة والسيرة كل شاردة وواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ففى كتـاب (**الشفـا**) للقـاضي عيـاض و (**دلائل النبوة**) للبيهقــى و (**الشمائل المحمـدية**) للتـرمــذي و (**المواهب اللدنية**) للقسطـلانى ، وغيرهـا من كتب السنـة والسيرة أنــوار سـاطعـة وأضواء لامعــة تبـرز للمـؤمنين جوانب العظمـــة ومـواطن الأسوة والقـدوة فى شخصيتـه صلـوات الله وسلامـه عليه .

ولقـد أتى المـالكى (**عالم الحـرمين الشريفين**) فى كتـابه (**الذخائر المحمدية**) بخلاصة ما كتبـه سلفنا الصالـح فى هذا المضمار، ولم يتـرك من ذلك شاذة ولا فاذة ، فجـزاه الله خير الجزاء .

وإنه لشـرف ـ لـو تعلمون ـ عظيم أن يأذن عالم الحـرمين الشريفين السيـد المكى الحسنى محمد بن علـوى بن عباس المالكى **لدار جوامع الكلم** بطباعة هذا الكتــاب القيم المفيد الذى ذاع خبــره منذ أن أشرقت طبعتــه الأولى فتلقفته أيدى

المحبة بفرح وســـرور، وأصبح سؤال المحبين لرسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلم عن (الـذخائر المحمـدية) متكـرراً وملحـاً خصـوصًـا بعـد أن أزعج ظهـوره أهل الجفـوة الـذين يجحـدون فضل الله على رسـولـه صلى الله عليـه وآلـه وسلم منكـرين ومعـارضين، فثارت ثـائرتهم على مـا جـاء فى ذلك الكتاب من حقائق أثبتتها الصحاح من كتب السنة والسيرة.

فهذا الكتـاب لِمَا قُرِىء لـه، فمن قرأه بعين المحبـة ارتاح قلبه، وهدأت نفسه إذ هو نسمة رواحـة عطرة فواحة من سيرة رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم، ومن قـرأهُ بعين الجحود والنكـران اشتعلت فى نفسـه نيـران الحقـد والبغض فثـارت ثائرته، وعميت بصيرته، فصار يهـرف بالهذيان، ويتكلم بما لا يعقله إنس ولا جان.

ومصداق ذلك تجده فى هذه القصة ذات المغزي العميق، وهى قصـة رواها ابن عطـاء الله السكندرى رضى الله عنـه فى شـرحـه لقصيـدة أبي مـدين رضى الله عنـه فقـال: زار بعض السلاطين ضـريح أبى يزيد ــ رضى الله عنه ـ وقـال: هل هنا أحد ممن اجتمع بأبى يـزيد؟ فأشيـر إلى شيخ كبير فى السن كان حاضـرا هناك، فقال له: هل سمعت شيئـا من كلام أبى يزيد؟ فقال: نعم. سمعته يقول: (من زرانى لا تحرقه النار)،

فاستغـرب السلطان ذلك الكلام فقـال : كيف يقول أبو يـزيد ذلك ، وأبو جهل رأى النبى صلى الله عليه وآلـه وسلم وتحرقه النـار؟! فقال ذلـك الشيخ للسلطان : أبـو جهل لم يـر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإنمـا رأى يتيم أبى طالب ، ولو رآه ﷺ لم تحـرقـه النـار. ففهم السلطـان كـلامـه وأعجبـه هـذا الجواب منه . ومعنى هذا الكلام أن أبا جهل لم ير النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم بالتعظيم والإكـرام والأسوة والاعتقـاد بأنه رسول الله ، ولو رآه بهذا المعنى لم تحـرقه النار، لكنه رآه بعين الاحتقار واعتقاد أنه يتيم أبى طالب فلم تنفعه تلك الرؤية .

ولقد قال تعالى فى كتابه الحكيم : «قل إنما أنا بشر مثلكم يـوحى إلىّ . . » فأفاد أنـه ﷺ بشـر يوحى إليـه ، وما كـان الله ليوحى إلى بشـر إلا إذا أصبح وكأنه قطعة من النـور فى صفاء نفسه وطهارة قلبه وارتقاء روحه .

نسأل الله ــ تعـالى ــ أن ينفع بهـذا الكتـاب ، وأن يجعلـه خالصا لـوجهه الكريم ، وأن ينير بـه القلوب والأرواح ، ويرقى بها مراقى النجاح والفلاح إنه سميع قريب مجيب .

وها هـو الكتاب الآن بين أيـدى المحبين لرسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلم فى ثـوبـه القشيب وتبويبـه الجـديد بمـا وضحـه وشرحـه وحققـه تلميـذ من تلاميـذ الشيخ المـالكى

المخلصين المحبين لرسـول الله فضيلة الأستاذ جمـال فاروق جزاه الله خير الجزاء . وصلى الله على سيـدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد ربه الغنى

عبد الغنى صالح الجعفرى

صاحب دار جوامع الكلـــم

للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة

١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى

الدراسة مركز الجعفرى الإسلامى

ت : ٩٢٧٣٦٧

****

مقـــــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله الـذى اختص رسولـه محمـداً ﷺ بـالآيـات والمعجـزات وحباه بـالفضائل والمـزيـات ورفع مكانتـه إلى أعلى الـدرجـات . فكـان ذكـره مـرفـوعـاً عنـد أهل الأرض والسمـوات ، اللهم صـل وسلم وبـارك عليـه وعلـى آلـه وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـد فإن كتاب الـذخـائر المحمدية الـذى كتبه السيـد محمد بن علوى بن عبـاس المالكى المكى الحسنى ليشهد له بنور العلم وصدق المعرفة ، والشىء من معدنه لا يستغرب فهـو من سلالـة بيت النبوة البيت الـذى جمعت له المكـارم والفضائل كلهـا فأهل هذا البيت هم ينابيع الخير لهـذه الأمة وهم سبب نعيمها وسفينـة نجاتها [1] ، يجب أن نعـرف لهم حقهم وأن نـودهم لأجل قـرابتهـم من النبى ﷺ . فهم الـذين افتـرض الله مـودتهم علـى كل مسلم وأنـزل فيهم : «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى» .

---

(١) إشارة إلى حديث : «إن مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» أخرجه الحاكم فى المستدرك عن أبى ذر، انظر الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٨٦ .

فإذا عـرفت الأمـة لأهل هـذا البيت قـدرهم وسـارت على هدى نبيها كان ذلك سبباً فى سعادتها وصلاح أحوالها .

وإذا تنكرت لذلك وأهملت هذا الجانب وراحت تعلى من شأن من ليسوا أهـلاً للتعظيم والحب والتوقير والتكـريم كان ذلك منها انحرافاً عن السلوك الحميد والنهج القويم .

فقـد روى مسـلم عن زيد بـن أرقـم قـال : قـام فينا رسول الله ﷺ خطيبـاً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمـا بعد أيها الناس إنما أنا بشـر مثلكم يوشك أن يأتى رسول ربى عز وجل فأجيبه وإنى تـارك فيكم الثقلين ، أولهما كتـاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكـوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به ، وحث فيـه ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتى أذكـركم الله عز وجل فى أهل بيتى (ثلاث مرات) فقيل لزيد : من أهل بيته ، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال : بلى إن نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده وهم آل على وآل عقيل وآل العبـاس ، وفى روايـة التـرمـذي : «فـانظـروا كيف تخلفونى فيهما» [1] هذا ويرجع سبب اهتمامى بهذا الكتاب

---

(١) رواه الإمـام مسلم فى صحيحه جـ ٧ م ٤ ص ١٢٢ ورواه التـرمـذي فى صحيحه «كتـاب المناقب بـاب مناقب أهل بيت النبي ﷺ » جـ ٥ ص ٦٢١ ورواه الإمام أحمـد فى مسنده جـ ٣ ص ١٧ .

إلى أنني قرأت في إحدى الصحف المصرية اعتراضاً على بعض القضايا التى تناولها فضيلة المؤلف وإن شئت فقل على الكتاب بمجموعه فدفعني ذلك إلى مزيد البحث والمذاكرة مع بعض أهل العلم فاجتمع عندي جملة من التعليقات والبحوث اطلع فضيلة المؤلف على بعضها فأشار عليّ بإثباتها ومزيد تنقيحها فشرح الله صدرى لذلك لاسيما وقد وجدت عند بعض المعترضين ممن قصر باعهم في العلم وضاق نظرهم فى الفهم تحاملاً وانتقاداً بغير هدى ولا برهان .

وإني لأخص بمزيد من الثناء والشكر الأخ/ محمد الهادي عبيد التونسي الذى فتح الله عليه بنور العلم والمعرفة ، أشكر له ما تفضل به من المراجعة والبحث فيما يتعلقُ ببعض ما ورد في هذه التعليقات فجزاه الله خير الجزاء ونفع به بلاده وعباده .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا العمل فى ميزان حسناتنا وأن يجعله هداية وإرشاداً لمن نظر بعين الإنصاف وأراد أن يعرف الذخائر المصطفوية والخصائص المحمّديّة .

والله الموفق والهادى لما فيه الصّواب

كتبه

جمال فاروق الدقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعـــد:

فهذه مباحث لطيفة وفوائد شـريفة مختلفة ومتعددة لا يجمعها بـاب ولا يربطهـا فصل ولا يتصل بعضها ببعض ، وإنمـا يربطهـا شيء واحد ذلكم أنها تتعلق بحضرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فهذه هى النقطة الجامعة بين مباحث هذا الكتاب .

وهو ليس جهد سنة ولا سنتين . بل هى ثمرات مطالعات طويلة ونتائج مدارسة قديمة اشتغلت بجمعها وتقييدها منذ عرفت نفسى أن طـلاب العلم الشـــريف غـذاؤهم المطـالعــة بل هى رَوْحهم وريحانهم وقرة أعينهم .

ومنها خواطـر فى تفسير بعض الحقائق النبويـة أو تحليل ما قد يستشكلـه بعض الناس فى هـذا البـاب وردت على قلبي معانيهـا فأثبتهـا خشيـة ضياعهـا . ومـا كنت أود إظهـار هذه المجمـوعـة المبـاركـة لأنني مشتغل بجمعهـا ولكـن أشـار على من لاتسعنى مخالفته بإبراز ما يمكن إبرازه ليستفيد منه من يحب ذلك . وما بقى تتكون منـه مجموعة أخـرى فى إطار آخـر، فانشرح صـدرى لهذا

الأمر. أسأل الله سبحـانه وتعالـى أن ينفع بها وأن يجعلها خـالصة لوجه الكريم آمين . .

السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى

****

نسبه الشـــريف:

«صلى الله عليه وآله وسلم»

* هــو محمد بن عبـد الله بن عبـــد المطلب (١) بن هــاشم (٢) ابن عبد مناف (٣) بن قصى (٤) بن كلاب (٥) بن مرة بن كعب بن لؤى

---

* هكذا جـرت عادة المتقدمين ممن كتبوا فى سيـرة المصطفى وفضائله أن يبدأوا بـذكر نسبه الشريف وهذا فى أغلب كتب السير لأن شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة .

(١) عبد المطلب اسمه شيبة الحمد ، لأنه ولد وفى رأسه شيبة مع رجاء حمد الناس له ، وإنما قيل عبـد المطلب لأن عمه المطلب لما جـاء به من عند أخوالـه بنى النجار بالمـدينة صغيراً ، وكان مردفه وراءه أخذ يقول لمن سأله عنه : هذا عبدى . ا هـ « مورد الصفا فى سيرة المصطفى » ص ١٧ .

(٢) هاشم ، اسمـه عمرو العلا لعلو رتبته ، ولقب بــ «هاشم» لهشمه الثريـد للناس فى مجاعة أصابتهم ، ولذا قال الشاعر :

عمرو العـلا هشم الثريد لقـومه ورجـال مكـة مسنتـون عجـاف « مورد الصفا »

(٤) قُصىّ ، اسمه زيـد ، أو يزيد وسمى بذلك لتقـاصيه ، أى بعده عن عشيرتـه ، وقد حاز قصى من الشرف مـا لم يحزه أحد قبله من آبـائه فقد اجتمعت له حجابـة البيت وسقاية الحج والرفادة (أى طعام الحج) .

والندوة (أى الشـورى) فلا يتم أمر إلا فى بيته ، واللـواء فلا تعقد راية الحـرب إلا بيده ، وعهد بهـا كلها قبل وفـاته إلى ولـده عبد الدار ولكن إخـوته نـازعوه فيها ولـم تطب نفوسهم بجعلها فى يده وكادت الحرب تنشب بينهم لولا أن عقـلاءَهم جعلوا الرفادة والسقاية فى بنى عبد منـاف فبقيتا فيهم إلـى أن وصلتا إلى العباس بـن عبد المطلب ثم لبنيـه . أما الحجـابة فبقيت فى بنى عبد الدار إلى اليـوم ، وبقى فيهم اللواء أيضًا حتى أبطله الإسـلام وجعله حقاً للخليفة يضعه فيمن يشاء .

(٥) كلاب . اسمه حكيم ، وقيل عروة ، وسمى بذلك لولوعه بحب الصيد بالكلاب .

غالب بن فهر [٦] بن مالك بن النضر [٧] بن كنانة بن خزيمة [٨] بن مدركة [٩] بن إلياس [١٠] بن مضر [١١] بن نزار [١٢] بن معد [١٣] بن عدنان [١٤] ... إلى الخليل إبراهيم عليه السلام .

---

(٦) فهر هو مجمع قريش عند الأكثر ، وإليه تنتسب قريش وما كان فوق فهر فليس بقرشى بل هو كنانى على الصحيح ، ولقب فهر بقريش لأنه كان يقرش : أى يفتش عن حاجات الناس فيقضيها لهم . وقيل لأن قومه تقرشوا به أى تجمعوا .

(٧) النضر اسمه قيس ، ولقب بذلك لنضارته وحسنه .

(٨) خزيمة ، تصغير خزمة (واحدةٌ من الخزم) وهو شد الشيء وإصلاحه ، وهذا الاسم موجود فى أسماء الأنصار .

(٩) مدركة ، اسمه عمرو ، وسمى بذلك لأنه أدرك كل عز وفخر كان فى آبائه .

(١٠) وقيل إياس بكسر الهمزة وفتحها : ضد الرجاء سمى بذلك لأنه وُلِد وأبوه فى سن الكهولة وإذا كان إلياس فهو موافق لاسم إلياس النبى عليه السلام ومعناه مأخوذ من رجل أليس وهو الشجاع الذى لا يفر ، ويذكر عن النبى أنه قال : لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنًا ، وذكر أنه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالحج ، وهو أول من أهدى البُدن للبيت الحرام « الروض الأنف للسهيلى » .

(١١) مضر . بضم الميم وفتح الضاد ، غير مصروف للعلمية والعدل ، وهو من المضيرة أو اللبن الماضر الذى كان يحب شربه ، وهو الحامض ، واسمه عمرو وكنيته أبو إلياس . وكان عاقلاً حكيماً ومن حكمه : من يزرع شراً يحصد ندامة ، وخير الخير أعجله ، فاحملوا أنفسكم على مكروهها ، واصرفوا عن هواها فيما أفسدها ، فليس بين الصلاح والفساد إلا فواق (أى شيء قليل) .
« السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة » محمد محمد أبو شهبة » .

(١٢) نزار بكسر النون وهو من النزر «القليل» وكان أبوه حين ولد ونظر إلى النور بين عينيه - وهو نور النبوة الذى كان ينتقل فى الأصلاب إلى محمد ﷺ - فرح فرحًا شديدًا به ، ونحر وأطعم ، وقال إن هذا كله نزر لحق هذا المولود ، فسمى نزارًا لذلك . «السهيلي» .

(١٣) مَعَد بفتح الميم والعين وتشديد الدال وأصله من القوة ومنه اشتقاق المعدة . «السهيلى» .

(١٤) عدنان «فعلان» من العدن وهو الإقامة ، وحكى الزبير: أن عدنان أول من وضع أنصبة الحرم ، وأول من كسا الكعبة . «أبو شهبة» .

(اتفاق علماء الأنساب إلى عدنان واضطراب النسابين بعد ذلك) .

قال الحافظ العراقى فى ألفية السيرة النبوية .

وهو ابن عدنان وأهل النسب ... قد أجمعوا إلى هنا فى الكتب
وبعده خلق كثير جم ... أصحه حواه هذا النظم

« مورد الصفا »

=وكـره الامام مـالك (رحمـه الله) رفع النسب إلى آدم ، لمـا فى ذلك من الاضطـراب ، والاختلاف وأيضاً فهو علم لا ينفع وجهالة لا تضر ، وهذا النسب الزكى (إلى عدنان) متفق عليه بين علماء الأنساب قال الحافظ أبـو الخطاب بن دحية : أجمع العلماء على أن رسول الله إنما انتسب إلي عدنان ولم يجاوزه، وروى من طريق ابن عباس (كذا قال السهيلى) أنه لما بلغ عدنان قال : « كذب النسابون مرتين أو ثلاثاً » .

وكذلك اتفق النسابون على أن عدنان ينتهى نسبه إلى اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام فهو جد النبى الأعلى . والنسب فـوق إبراهيم لا يصح فيه طريق لمـا فيه من التخليط وتغيير الألفـاظ وسبب ذلك أنهـا نقلت من كتب عبـرانيـة وقع فيهـا التحـريف والتبـديل .

ولادتـــــه ...

«صلى الله عليه وآله وسلم» :

ولد ﷺ يوم الاثنين في شهر ربيع الأول من عام الفيل، قيل ثانيه وقيل ثالثه، وقيل ثـانى عشره، وهذا هو المشهـور عند الجمهور. ويـوم الاثنين يوم مبـارك، فقد جـاء عن الإمام أحمـد أنه قـال ابن عباس: ولد رسول ﷺ يـوم الاثنين، واستنبىء يوم الاثنين، وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وتوفى يوم الاثنين، ورفع الحجـر يوم الاثنيـن، وقيل: إنه ولـد مختـونًـا مسرورًا أى مقطـوع الختان، ومقطوع السرة (١) .

وليلـة مولـده عليه الصـلاة والسـلام وقعت عجائب وغـرائب: فمنهـا انتكاس كثيـر من الأصنام ليلتئـذ لـوجوههـا وسقوطهـا من أماكنهـا. ومنها ظهور النـور معه حتى أضـاءت له قصــــور الشام حين ولـد. ومنهـــا اضطـراب إيـوان كسرى، وسقـوط الشـرفـات وخمود النيـران ولم تخمـد قبل ذلك بألف عـام وغاضت بحيـــرة ساوة (٢) .

---

(١) (القول فى أنه ﷺ ولد مختوناً) . اختلف العلماء فى مسألة ختانه ﷺ على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنه ﷺ ولـد مختوناً مسروراً وهـو قول أبى الفرج بن الجوزى واختـاره السيوطى فى الخصائص .

القول الثانى : أنه ﷺ ختن يوم أن شقت الملائكة صدره عند حليمة السعدية [أخرجه الطبرانى فى الأوسط] .

القول الثالث : أن جده عبد المطلب هو الذى ختنه يوم سابعه وهذا الحديث ذكره ابن القيم فى زاد المعاد جـ ١ ص ١٨ ، ١٩ وضعفه . =

= وخلاصة القول: الذين ينكرون أن النبى ولد مختوناً لا يستندون إلى خبر صحيح بل العكس فقد وردت عدة أحاديث ساقها السيوطى (رحمه الله) منها ما أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر عن أنس عن النبى ﷺ أنه قال : « من كرامتى على ربى أنى ولدت مختونًا ولم ير أحد سواتى » صححه الضياء فى المختارة .

وقال الحاكم فى المستدرك : تواترت الأحاديث أنه ولد مختوناً « الخصائص الكبرى جـ ١ ص ٩٠ » .

وقد درج البعض فى زماننا هذا أن أى حديث فيه فضيلة للنبى ﷺ أو خصوصية له أو كرامة يسارعون إلى إنكاره والطعن فيه دون تثبت أو رجوع إلى كتب العلم وأقوال العلماء .

(٢) هى بحيرة من همذان وقم فى بلاد فارس على جادة حجاج خراسان وهى بحيرة كبيرة أكثر من سته فراسخ فى الطول والعرض وكانت تركب فيها السفن ويسافر إلى ما حولها من البلدان / انظر تقويم البلدان لأبى الفداء .

حواضنه ومراضعه:

«صلى الله عليه وآله وسلم» :

أول من أرضعه ﷺ أمه السيدة آمنة الزُّهرية ثم أرضعته ثويبة الأسلمية أياماً، وثويبة هى جارية أبى لهب أعتقها لما بشرته بولادته ﷺ كما روى ذلك البخاري معلقًا وأنه رؤى بعد وفاته فأخبر بأنه يخفف عنه فى كل يوم اثنين لعتقه ثويبة فرحًا بولادة رسول الله ﷺ وقد عدَها ابن منده في الصحابة ـ وفي ذلك خلاف بين أهل العلم (١) ـ وكانت ثويبة تدخل على رسول الله ﷺ بعدما تزوج خديجة فيكرمها ﷺ وتكرمها خديجة، وكان ﷺ يبعث إليها بعد الهجرة بالكسوة والصلة حتى ماتت.

ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية فأخذته معها إلى بلادها وراء الطائف فى بني سعد وأقام عندها فى بنى سعد أربعة أعوام على الصحيح فنالت برضاعته خيرًا كثيرًا، وأيَّ خيرٍ من سعة الرزق ورغد العيش. وكانت الشيماء، وهى بنت حليمة السعدية تحضنه مع أمها، وقدردّته حليمةُ خوفًا عليه بعد حادث شق الصدر وهو ابن خمس سنين.

ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين، إحداهما بعد تزويجه خديجة جاءت تشكوا إليه الجدب فأعطتها السيدة خديجة عشرين رأسًا من غنم وبكرات، والمرة الثانية يوم حنين وحضنته ﷺ أيضًا

---

(١) وقال ابن الأثير: اختلف فى إسلامها، وقال أبو نعيم: لا أعلم أحداً أثبت إسلامها غير ابن منده، اهـ [أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ٧ ص ٤١ دار الشعب].

أم أيمن بركة الحبشية ، وكان ورثها من أبيه فلما كبر أعتقها وزوجها زيد بن حارثة .

نشـــأته :

«صلى الله عليه وآله وسلم» :

نشأ ﷺ يتيمًا إذ مات والده وهو حَمْلٌ [1] وكفله جده عبد المطلب ، ولما بلغ ﷺ ست سنين خرجت به أمه إلى المدينة المنورة ومعها أم أيمن بركة الحبشية تحضنه تتزور به أخواله من بني النجار فأقامت به عندهم شهرًا ثم رجعت به فمرضت في الطريق فماتت ودفنت بالأبواء فرجعت به أم أيمن حاضنته إلى مكة إلى جده عبد المطلب وقيل : إن أمه حُملت بعد ذلك إلى مكة فدفنت بها ـ حكى ذلك ابن الجوزي في الوفاء ـ ثم توفى جده وعمره ﷺ ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب بوصية من جده ، وهو شقيق أبيه عبد الله . فصار أبو طالب هو الحامى له من أعدائه ، الشغوف عليه ، وكان أبو طالب فقيرًا فأثرى وكثر ماله ببركة كفالته للمصطفى ﷺ ولما بلغ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه أبى طالب إلى الشام ولكن عمه رده خوفًا عليه من اليهود لمَّا خوفه منهم الراهب بحيرا .

ثم خرج ﷺ مرة ثانية إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة في تجارة لها .

---

(١) هذا هو المشهور وهو الذى رجحه ابن كثير وغيره لأنه قيل : إن أباه مات وله ثمانية وعشرون شهراً ، وقد توفى أبوه عن خمس وعشرين سنة على الصحيح : مالكى (المؤلف) .

أحواله قبل البعثة:

«صلى الله عليه وآله وسلم» :

كان ﷺ قبل البعثة متدينًا ومتعبدًا، ببغض الأصنام ويكره الحرام وكان يشتغل برعى الغنم ويقول: ما بعث الله نبيًا إلا ورعى الغنم، فقيل له: وأنت، قال: نعم. رواه البخارى.

وكان يشتغل بالتجارة، وقد كان السائب بن أبي السائب يشاركه ﷺ فى التجارة حتى إنه قال له يوم الفتح: مرحبًا بأخى وشريكى.

كان لا يدارى ولا يمارى وقام على تجارة خديجة وسافر لأجل ذلك إلى الشام ورجع بأرباح وفيرة لم تكن فى الحسبان. وكان عمره إذ ذاك خمسًا وعشرين سنة.

أسماؤه:

«صلى الله عليه وآله وسلم» :

ومن أسمائه ﷺ أنه قال: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذي يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب فلا نبى بعدى. وفى رواية: أنا المقفى ونبى التوبة ونبى الرحمة، وفى صحيح مسلم: ونبى الملحمة.

وسماه الله فى كتابه: بشيرًا ونذيرًا وسراجًا منيرًا ورؤفا رحيمًا ورحمة للعالمين، ومحمدًا وأحمد وطه [1] ويس [2] ومزملاً

---

(١) (٢) أما (طه ويس) فالقول المختار فيهما كالقول فى فواتح السور ، واختار بعض المفسرين أنها من أسماء النبى ﷺ وروى القاضى عياض فى ذلك اخباراً وآثاراً ذكرها فى الشفا ، واستدل البعض على أنها اسم للنبى بدلالة عود ضمير الخطاب عليه ﷺ =

ومدثرًا وعبدًا فى قوله تعالى : «وأنّه لما قام عبد الله يدعوه» سماه عبد الله ، ونذيرًا مبينًا فى قوله جل ثناؤه : ﴿وقل إنى أنا النذير المبين﴾ ومذكِرًا فى قوله تقدست أسماؤه : ﴿إنَّما أنت مذكر﴾ وقد ذكر غير ذلك وأكثر هذه الأسماء صفات .

من علامات النبـــوة:

أول علامات النبوة المحسوسة هى : شق صدره الشريف . وهذا الشق قد حصل له ﷺ أول مرة وهو صغير السن عند حليمة وكان فى الرابعة من عمره على الصحيح . وأما المرة الثانية فقد شُق صدره الشريف ﷺ وهو ابن عشر سنين (١) وأما المرة الثالثة فقد شق صدره الشريف عند مجىء جبريل بالوحى حين نبىء (٢) وأما المرة الرابعة فهى ليلة الإسراء كما ورد فى الصحيحين . واعلم أن جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة

= فى قوله تعالى : ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ وفى سورة « يس » ﴿ وإنَّك لمن المرسلين ﴾ وهذا غير مسلم لهم فى بقية الفواتح كما لا يخفى ولا فائدة من النزاع حول هذا فقد قال كثير من أهل العلم : إن فواتح السور فيها أسرار ومعان يفتح الله بها على من يشاء من أهل المعرفة والعلم .

(١) ثبت ذلك في حديث رواه أحمد وابن حبان والحاكم ، وانظره فى شرح الزرقانى : مالكى (المؤلف) .

(٢) رواه أبو داود الطيالسي كذا فى شرح المواهب : مالكى (المؤلف) .

فلا يستحيل شىء من ذلك (١) .

---

(١) يحاول بعض المستشرقين ومن تأثر بهم من المسلمين إنكار شق صدره الشريف متعللاً بأنه ليس لهذا العمل مبرر معقول ، وأن الاستدلال عليه بقوله تعالى : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ غير مقبول ، ويحملون ما جاء ، فى الآية الكريمة على أنه أمر معنوى ليس معناه الشق المادى وإنما معناه الاتساع والانفساح لتقبل المعارف والحقائق الإيمانية كما جاء فى قوله تعالى حكاية عن الكليم عليه السلام : ﴿ رب اشرح لى صدرى ﴾ وكما جاء فى قوله تعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ .

وللرد على هؤلاء نقول : إن شق الصدر الشريف لم يؤخذ من هذه الآية وإنما من الروايات التى ثبتت صحتها ، وهى رواية ابن اسحق فى السيرة النبوية ورواية الامام مسلم فى صحيحه ورواية أبى يعلى وأبى نعيم وابن عساكر ، بل إن شق الصدر ليلة المعراج مروى فى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث ، وقال بعض العلماء المحققين : إنها متواترة، وقال الحافظ ابن حجر بعد أن عرض لذكر الروايات الدالة على شق الصدر وتكرره : « وجميع ما ورد عن شق الصدر ، واستخراج القلب ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له ، دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة ، فلا يستحيل شىء من ذلك ، وقال القرطبى فى المفهم : لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء والمعراج : لأن رواته ثقات مشاهير ، وطبيعى أن من صدق به ليلة الإسراء والمعراج يلزمه التصديق به فى الصغر ، وعند البعثه ما دام الأمر ثابتاً بالروايات التى يحتج بها .

فعلى هذا يكون نقد المنكرين لشق صدره ﷺ من ناحية السند غير مقبول ، وأما كون هذا العمل ليس له مبرر معقول ، فنقول : إنها عملية أجريت بيد القدرة الإلهية لإظهار مزيد الفضل والعناية والمنة والعطاء لحبيبه ومصطفاه ﷺ وقد ذكر المؤلف (أمد الله فى عمره وبارك فيه) فى الحكمة والفائدة من شق صدره ﷺ كلاماً شافيًا كافياً فليراجع فى موضعه من هذا الكتاب ص ٢٠٢ ـ ٢٠٧ .

خاتم النبـــــوة:

ومن علامـات النبوة خـاتم النبوة ، واختلفت الأقـوال فى صفته وأشهرهـا ما جاء أنـه كبيضة الحمامـة وأنه بضعة لحم نـاشزة «أى مرتفعـة» فى ظهـره عند نـاغض كتفه اليسـرى يزهـو بالنـور وتعلوه المهابة وينفح بالطيب .

الرؤيا الصالحـــة:

وهى من علامات النبوة فقد كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وكـان يرى الضـوء والنـور ويسمع الصوت ، وكـانت تسلم عليه الأحجار والأشجار وتظلله الغمامة .

أولاده:

«صلى الله عليه وآله وسلم» :

أولاده ﷺ أولهُم القاسم ، وبه كان ﷺ يكنى ، وعبد الله ويسمى الطيب والطـاهـر وقيل الطيب غيـر الطـاهـر، وزينب ورقيـة ، وأم كلثوم ، وفاطمة رضى الله عنهم .

مات البنون قبل الإسلام أطفالاً، والبنات أدركن الإسلام وهاجرن معه وكلهن من خديجة رضى الله عنها .

وولدله ﷺ بالمدينة إبراهيم من مارية ومات إبراهيم ابن سبعين ليلة ، وقيل سبعة أشهر، وقيل ثمانية أشهـر، وكلُّهم ماتوا فى حياته إلا فاطمة فتأخرت بعده سبعة أشهـر. وكانت زينب وهي أكبر بناته رضى الله عنها عند أبى العاص بن الربيع وقد أسلم فولدت له عليًا مات صغيرًا ، وأُمَامة وهى التى جاء أنه حملها فى صلاته ، تزوجها

على بعد فاطمة خالتها بوصية منها، ثم أخلف عليها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فولدت له يحيى ومات عند المغيرة.

وكانت فاطمة رضى الله عنها عند على رضى الله عنه فولدت له حسنًا وحسينًا ومحسنًا رضى الله عنهم فمات محسن صغيرًا، وولدت رقية وزينب، وأم كلثوم، ماتت رقية قبل البلوغ، وتزوجت زينب عبد الله بن جعفر فولدت له عليًا ومات وتزوج أم كلثوم رضى الله عنها عمر بن الخطاب رضى الله عنه [1] فولدت له زيدًا وخلف عليها بعده عوف بن جعفر، ثم أخاه عبد الله.

وأما رقية فكانت عند عثمان بن عفان (رضى الله عنه)، فولدت له عبد الله وتوفيت يوم جاء زيد بن حارثة بشيرًا بالفتح يوم بدر، فتزوج رضى الله عنه أم كلثوم أختها، وماتت عنده فى شعبان سنة تسع.

زوجـــــاته:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

زوجاته ﷺ: خديجة بنت خويلد رضى الله عنها عاشت معه قبل الوحى خمس عشرة سنة وبعده إلى ما قبل الهجرة بثلاث سنين وماتت عنده. ثم سودة بنت زمعة رضى الله عنها، كبرت

(١) وقد قال رضى الله عنه فى سبب زواجها: «والله ما بى حاجة إلى النساء ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبى وصهرى» رواه ابن عساكر عن عبد الله بن عمر (رضى الله تعالى عنه).

عنده فأراد أن يطلقها فوهبت يومها لعـائشة رضى الله عنها وقالت : لا حاجة لى فى الرجال و إنما أريد أن أحشر فى زوجاتك ﷺ .

ومن خصائصها أنها انفردت بالنبي ﷺ بعد موت خديجة ثلاثة أعوام ، وقد ماتت سنة خمس وخمسين من الهجرة .

ثم عائشـة بنت أبى بكر رضى الله عنها ، تزوجهـا ﷺ بمكة قبل الهجرة بسنتين ، وقيل : بثلاث وهى بنت ست أو سبع وبنى بها في المدينـة وهى بنت تسع ، ومات عنها وهى بنت ثمان عشـرة سنة . وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقيل غير ذلك ، ولم يتزوج بكرًا غيرها وتُكنى بـ «أم عبد الله» (١) .

ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، روُى أنه ﷺ طلّقها فنـزل جبريل فقـال : إن الله تبارك وتعـالى يأمرك أن تـراجع حفصة فإنها صـوّامة قوّامة ، وفي خبر قـال : رحمةً لعمر رضى الله عنه ، وتوفيت سنة خمس وأربعين وقيل غير ذلك .

وتزوج ﷺ أم حبيبة «رملة بنت أبي سفيان» رضى الله عنهما وهى بالحبشة وأصِدقها عنه ﷺ النجـاشي أربعمائة دينار ووِلِىَ نكاحها عثمـان بن عفان رضى الله عنـه ، تـوفيت رضى الله عنها سنـة أربع وأربعين ، وتزوج ﷺ أم سلمة هند بنت أميـة رضى الله عنها وماتت سنة اثنتين وستين وهى آخرهن موتًا ، وقيل ميمونة رضى الله عنها .

---

(١) كناها رسـول الله ﷺ بأم عبد الله ابن أختها أسماء وأبوه الزبيـــر ، وقيل لسقط كان لها .

وتزوج ﷺ زينب بن جحش رضى الله عنهـا ، وتوفيت بالمـدينة سنة عشرين وهى أولهن وفاة وأول من حمل على نعش . وتزوج ﷺ جويرية بنت الحارث سُبيت فى غزوة بنى المصطلق ثم أعتقها ﷺ وتـزوجها وتـوفيت سنـة ست وخمسين . وتـزوج ﷺ ميمونـة بنت الحارث رضى الله عنها خالة خالد بن الوليد رضى الله عنه وعبد الله بن عبـاس رضى الله عنهما وهى آخـر من تـزوج ﷺ وتوفيت سنـة إحدى وخمسين ، وقيل سنة ست وستين ، فإن ثبت ذلك فهى آخر من مات منهن .ـ هؤلاء غير خديجة اللاتى مات عنهن ـ.

وتـزوج ﷺ صفية بنت حيى بن أخطـب رضى الله عنها من ولـد هارون عليه الصلاة والسـلام . سبيت من خيبر فأعتقها ﷺ وجعل عتقهـا صداقهـا ، وتوفيـت سنة خمسين . وتـزوج ﷺ زينب بنت خزيمـة أم المساكين رضى الله عنهـا سنة ثـلاث من الهجرة . ولم تلبث عنـده ﷺ إلا شهـرين أو ثلاثـة ومـاتت . وهـؤلاء ثبت على التحقيق دخـوله بهن ومعـاشرتـه لهن وقبورهن معـروفة بـالبقيع إلا السيدة خديجة رضى الله عنها فإنها بالحجون بمكة والسيدة ميمونة فإنها بوادى سرف [1] ، قبل وادى فاطمة بقرب بمكة .

وتـزوج ﷺ فاطمـة بنت الضحاك وخيـرهـا ﷺ حين نزلت آيـة التخيير فاختارت الدنيا ففارقها ﷺ ثم كانت بعد ذلك تلتقط البعر وتقول : أنا الشقية اخترت الدنيا .

---

(١) سرف : بالسين بالمهملة .

وتـزوج ﷺ أسـاف أخـت دحيـة الكلبى رضى الله عنـه : وخــولـة بنت الهذيل، وقيل : بنت حكيم، وهى التي وهبت نفسهـا له ﷺ وقيل تلك أم شريك .

وأسماء بنت كعب الجـونية رضى الله عنها، وطلقها ﷺ قبل الـدخول . وامرأة من غفار فرأى ﷺ بها بياضًـا فألحقها بأهلها . وتزوج ﷺ أميمة فلما دخل ﷺ عليهـا قـالت : أعـوذ بـالله منك فقـال : منع الله عـائذة ألحقى بأهلك . وعالية بنت ظبيـان طلقها ﷺ حين دخلت عليه . وبنت السلط، وماتت قبل أن يـدخل عليها . ومليكـة الليثية، قال بعضهـــم : وهى التى استعـاذت فســـرحها ﷺ، وخطب ﷺ امـرأة من أبيها فوصفهـــا لـه ثم قال : وأزيـدك أنها لم تمـرض قط، فقال ﷺ : مـا لهذه عنـد الله من خـير فتركها (١) .

وكان صداقه لنسائه ﷺ خمسمائة درهم لكل واحدة . هذا أصح ما قيل إلا صفية وأم حبيبة .

إخوته من الرضـــاع:

« صلى الله عليه وآله وسلم » :

حمـزة وأبو سلمـة (عبد الله بن عبـد الأسـد) أرضعتهما معـه ﷺ ثـويبـة (جـارية أبى لهب) بلبن ابنهـا مسروح بن ثويبـة، وحمـزة وأبو سلمـة من السابقين الأولين .

وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (أرضعته ورسولَ الله ﷺ حليمةُ السعدية) وقد أسلم .

وعبد الله وآسية والشيماء (أولاد حليمة من زوجها الحارث بن عبد العزي السعدى) .

---

(١) روى ابن سعد عن عبد الله بن عبيد بن عمير مرسلاً ، : « لا خير فى مال لا يرزأ فيه وجسد لا ينال منه » وذلك لأن الأمراض والبلايا مكفرات للذنوب والخطايا .

وهؤلاء الثلاثة وأبوهم الحارث ذكرهم في الإصابة (ابن حجر) من جملة الصحابة وفي الأخير خلاف بين العلماء.

أخـــواله:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

أما أخواله فالأسود بن وهب جاء إلى النبي ﷺ وعلمه كلمات ولقنه دعاء نقله (الزرقاني) في شرح المواهب، وخاله أيضاً عبد يغوث بن وهب والد الأسود الذي كان من المستهزئين، وخالته فريعة بنت وهب.

مواليـــه:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

زيد بن حارثة، وأعتقه ﷺ وابنه أسامة، وثوبان، وأبو كبشة. سليم [شهد بدرًا] وأعتقه ﷺ وتوفي يوم استخلف عمر، وأُنَيْسة وأعتقه، وشقران [واسمه صالح] قيل ورثه من أبيه، وقيل اشتراه عبد الرحمن بن عوف وأعتقه. ورباح الأسود النوبي وكان يأذن عليه أحيانًا إذا انفرد وهو الذي أذن لعمر بن الخطاب بالدخول وأعتقه ﷺ. ويسار الراعي النوبي، [وقتله العرنيون]، وأبو رافع أسلم (وهبه له العباس) فأعتقه حين بشره بإسلام العباس وزوّجه سلمى (مولاة له) فولدت له عبيد الله.

وأبو مويهبة وأعتقه، وفَضالة (مات بالشام)، ورافع (مولى سعيد بن العاص) وأعتقه، ومدعم (وهبه له رفاعة

الجـذامى) قتل بوادى القـرى . وكركـرة (نوبى أهـداه له هـوذة بن على) وأعتقـه، وزيد (جـد بـلال بن يسـار)، وعبيد، وطهمـان، ومأبور القبطى (من هدية المقوقس)، وواقد، وأبو واقد، وهشام، وأبـو ضمـرة (من الفىء وأعتقـــه)، وحنين، وأبـو عثيب (واسمـه أحمر)، وأبو عبيـد، وسفينة (وكان لأم سلمة) فـاشترطت عليه أن يخـدم النبي ﷺ مدى حيـاته، فقـال لها لـو لم تشترطى على مـا فارقتـه . وكان اسمه ربـاحًـا، وقيل مهران، وأبو هنـد وأعتقه ﷺ، وأنجشة الحادى، وأبو لبُانة، وقد عدوا أكثر من ذلك .

ومن النســـاء سلمى (أم رافع زوج أبى رافع) ورثهـــا من أبيــه، ومـاريـة وريحانـة وقيصـر (أخت مـاريـة) وميمونـة بنت سعـد، وحضرة، ورضوى .

قـال ابن الجـوزى: مـوالى النبى ﷺ ثـلاثة وأربعـون، وإمـاؤه إحدى عشرة رضى الله عنهم أجمعين . واعلم أن هؤلاء الموالى لم يكونوا موجـودين فى وقت واحد للنبى ﷺ بل فى أوقات مختلفة . وذكر الشيخ صـديق حسن خان فى شـرحه على بلوغ المـرام: أنه ﷺ أعتق ٦٣ نسمة (عدد سنى عمره) .

خدمه ﷺ وبعض أصحاب الوظائف:

أنس بن مالـك، وهند وأسماء (ابنـا حارثـة)، وربيعة بن كعب

الأسلميـون، وعبد الله بن مسعـود، وعقبه بن عـامر، وبـلال، وسعـد (مـولى أبى بكـر) ومخـرمـة بن أبى النجـاشي، وكبيـر بن شداخ، والليثى، وأبو ذر الغفارى، وأيمن بن أم أيمن، وأسلع بن شريـك، ومهاجر (مـولى أم سلمة)، ونعيم بن ربيعـة الأسلمى، وأبو الحمراء (هلال بن الحارث)، وأبو السمح واسمه إياد.

ومن النسـاء: بركـة (أم أيمن الحبشيـة) والدة أسـامة بن زيـد، وخولة (جدة حفص)، وسلمى (أم رافع ـ زوج أبى رافع)، وميمونة بنت سعد (أم عياش) مولاة رقية بنت النبي ﷺ.

وكان يضـرب الأعناق بين يديـه على بن أبى طالب، والـزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، ومحمد بن سلمة، وعاصم بن ثابت، والضحاك بن سفيان، وكان قيس بن سعد بن عبادة بين يديه عليه الصلاة والسلام بمنزلة صاحب الشـرطة، وكان بلال على نفقاته، ومعيقيب بن أبى فاطمـة الدوسى على خاتمـه، وابن مسعود على سواكه ونعله وطَهُوره، وأبـو رافع (واسمه أسلم) على ثقله، وعقبة ابن عـامر الجهنى كـان صاحب بغلـة رسول الله ﷺ ويقود بـه فى الأسفار، وكان أسلم بن شريك بن عوف صاحب راحلة النبي ﷺ ينُزِل الرحل عنها، ويضعه عليها.

وكان خـالد بن يسـار بن عوف الغفـــارى هـو صاحب بُـــدن النبي ﷺ هو وحســان الأسلمى، وناجيـة بنت جندب الأسلمى، وكان ذر بن أبى ذر الغفارى هو راعى لقـاحِ رسول الله ﷺ بالغابة.

وكان البـراء بن مالك يحـدو بالـرجال، وأنجشـة يحدو بـالنساء.
وكان الضحاك بن سفيان بن كعب يقوم على رسول الله ﷺ بسيفه.
وكان بطلاً يعد بمائة فارس وحده وكان عبد الرحمن بن عوف أمين رسول الله ﷺ على نسائه، ولمـا أراد نساء النبي ﷺ الحج فخرجن فى الهـوادج عليهن الطيـالسـة، وكان أمـامهن عبـد الـرحمن بن عوف، ووراءهـن عثمان بن عفـان، وكانـا لا يدعـان أحدًا يـدنو منهن، وكان أبو بكر رضى الله عنه يعلِّم الوفود بنفسه، وأحيانًا يأمر من يفعل ذلك بتعليمهم كيـف يُحَيُّـون النبي ﷺ وكيف يسلِّمـون عليه، وكيف يجلسـون بين يديـه، كما ذكر ذلـك ابن إسحاق فى قصة وفـد ثقيف: «وأن أبا بكر خـرج إليهم يعلمهم ذلك»، وكان ﷺ يستخدم غـلامًا يهوديًا فى بعض شـؤونه المنزلية، وقـد عرض عليه الإسلام فأسلم ثم مات بعد ذلك.

وكان ﷺ يقوم بنفسه على أشياء ولا يكلهـا إلى أحد، كالصدقة والـوضوء بـالليل. روى ابن سعد عن زيـاد (مولى عيـاش بن أبى ربيعـة) قـال: خصلتـان كان لا يكلهمـا رسـول الله ﷺ لأحـد[1] الوضوء من الليل إذا قام وإعطاء السائل[2].

حَرَســـه:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

حـرسه سعـد بن معاذ يـوم بدر، وحـرسه أبـو بكر أيضًـا يومئـذ

(١) أى غالباً وإلا فقد يقوم بها غيره معه. مالكى (المؤلف).
(٢) لعل ذلك كان منعاً لإحراج السائل ورعاية لمشاعره.

بـالعـريش ، وذكوان بـن عبد قيس ، ومحمـد بن مسلمـة بأحـد ، والزبير يوم الخندق ، وعباد بن بشر، وسعد بن أبى وقاص ، وأيوب (بخيبر) ، وبلال (بوادى القـرى) ، ولما نزلت : «والله يعصمك من الناس» ترك ﷺ الحرس .

رســـله إلى الملوك :

«صلى الله عليه وآله وسلم» :

عمرو بن أمية الضمرى ، وهو أول رسول يبعثه ﷺ إلى النجاشى (أصحمة) ومعنـاه عطية ، فـوضع كتاب رسـول الله ﷺ على عينيه ونـزل من سريـره وجلس على الأرض وأسلم ومات فى حيـاة النبى ﷺ فى سنة تسع فصلى عليه [1] .

ودحيـة بن خليفـة الكلبى أرسله إلـى ملك الروم «قيصـر» وهـو هرقل . فثبتت عنـده نبوة النبى ﷺ فهم بـالإسلام فلم توافقـه الروم فخافهم على ملكه فأمسك .

وعبد الله بن حـذافة السهمى أرسله ﷺ إلى كسـرى ملك فارس فمزق الكتاب ، فقال ﷺ : مزق الله ملكه كل ممزق» .

وحاطب بن أبي بلتعة أرسله ﷺ إلى المقوقس فقارب الإسلام ، وأهدى النبي ﷺ مـارية وسيرين ، والبغلة الشهبـاء (دُلْدُل) وألف دينار وأثوابًا عشرين .

---

(١) أى صلاة الغائب ، وهى أول صلاة صليت على من غاب من موتى المسلمين .

وقد ذكر أهل السير أنه ﷺ بعث ستة نفر في يوم واحد سنة سبع فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم [1].

وعمرو بن العاص أرسله ﷺ إلى جيفر وعبد (ابنى الجلندى) ملكى عمان، فأسلما وخليا بين عمرو وبين الصدقه والحكم بينهم، فلم يزل حتى توفى النبي ﷺ وسليط بن عمرو العامري أرسله ﷺ إلى هوذة بن على صاحب اليمامة فأكرمه، وبعث للنبي ﷺ: يقول له: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا خطيب قومى وشاعرهم فاجعل لى بعض الأمر فأبى عليه السلام، ولم يسلم هوذة.

وشجاع بن وهب الأسدى أرسله ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغسانى (ملك البلقاء بالشام) فرمى بالكتاب، وقال: أنا سائر إليه فمنعه قيصر.

والمهاجر بن أبي أمية المخزومي أرسله ﷺ إلى الحارث الحميري في اليمن.

والعلاء بن الحضرمى أرسله ﷺ إلى المنذر بن ساوى (ملك البحرين) فأسلم.

وأبو موسى الأشعرى بعثه إلى اليمن، ومعه معاذ بن جبل، فأسلم عامة اليمن وملوكهم من غير قتال.

---

(٢) فتح الله عليهم فتعلموا لغة القوم، وهذا من معجزات النبى ﷺ.

كُتَّـــابه:

«صلى الله عليه وآله وسلم» :

ومن كتب له عليه الصلاة والسلام الخلفاء الأربعة، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وأبى بن كعب، وثـابت بن قيس بن شمـاس، وخالـد بن سعيد، وحنظلـة بن الربيع، وزيـد بن ثـابت، ومعـاوية بن أبى سفيـان، وشـرحبيل بن حسنـة، والعـلاء بن الحضـــرمى، وخالـــد بن الوليـــد، والمغيرة بن شـــعبة، وعبـــد الله بن رواحـة، وحـذيفة ابن اليمان، وكان معاوية وزيـد بن ثابت ألزمهـم بذلك وأخصهم به [1] .

---

(١) وذكر السيوطى فى الإتقان أكثر من أربعين كاتبًا للوحى .

من عجـــائب مولده

«صلى الله عليه وآله وسلم»

أخرج أبـو نُعَيْم عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ قـال : كان من دلالـة حمل آمنة بـرسـول الله ﷺ أن كل دابة لقـريش نطقت تلك الليلة وقالت : حُمِلَ برسول الله ﷺ وربِّ الكعبـة ، وهو إمام الدنيا وسـراج أهلهـا ولم يبق سـريـر لملك من ملـوك الـدنيـا إلا أصبح منكوسًا ، وفرّت وحوش المشـرق إلى وحوش المغرب بالبشارات ، وكـذلك أهل البحـار يبشر بعضهم بعضًـا ، ولـه في كل شهـر من شهور حمله نداء فى الأرض ونداء في السماء : أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبـو القاسم ﷺ ميمونًا مبـاركًا ـ الحديث . قلت : ذكـر هذه القصة الحافظ القسطلانى وقال : سندها ضعيف (١).

---

(١) مما ينبغى التنبه إليه أن كثيراً من المؤلفين فى السير والموالد والتاريخ أسرفوا فى ذكر العجائب التى اقترنت بميـلاده ﷺ وفيها الكثير مما لم يصح ، ومـا هو مختلق ، لكن هناك أشياء وأمور ثابتة صدقها التاريخ والواقع منها ارتجاس إيوان كسرى وسقوط شرفاته ، وغيض بحيرة سـاوة وخمود نار الفـرس التى لم تخمد من ألف عـام / انظر السيـرة النبوية للـدكتور محمد محمد أبو شُهْبَه ص ١٨١ .

من عجائب نشـــأته

«صلى الله عليه وآله وسلم»

أخرج البيهقي والصـابوني فى المائتين والخطيب وابن عسـاكر فى تـاريخيهمـا وابن طغـر بك السيـاق فى «النطق المفهـوم» عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت يارسول الله دعانى للدخول فى دينك أمـارة لنبـوتك، رأيتك فى المهـد تنـاغى القمر وتشيـر إليـه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال، قال: إنى كنت أحدثه ويحدثني ويلهينى عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجـد تحت العرش، قال البيهقى تفـرد بـه أحمـد بن إبراهيم الجيلـى وهو مجهـول، وقـال الصـابـونى: هـذا حـديـث غـريب الإسنـاد والمتـن، وهـو فى المعجـزات حسن، و (المنـاغـاة) المحـادثـة، وقـد نـاغت الأم صبيها: لاطفته وشـاغلته بالمحادثة والمـلاعبة. وفى فتح البارى عن سيرة الواقدي أنه ﷺ تكلم فى أوائل ما ولد (١)، وذكر ابن سبع في الخصائص: أنه فى مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة.

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عبـاس قال: كانت حليمة تحدث أنها أول ما فطمت رسول الله ﷺ تكلم فقال: الله أكبر كبيرًا

---

(١) وصل عدد الـذين تكلموا فى المهد إلى عشرة ذكـر ذلك الشنقيطى (رحمه الله) فى زاد المسلم ونظم السيوطى أسماءهم فقال :

تكلم فـى المهـــد النبى محمـــد ... ويحيى وعيس والخليل المكـــرم
ومُبـرِّى جـريج ثم شـاهـد يـوسف ... وطفل لـدى الأخـدود يـرويـه مسلم
وطفل عليـــه مـر بـــالأَمَـــةِ التى ... يقـــال لهـــا تـــزنى ولا تتكلم
ومـاشطـة فى عهـد فرعـون طفلهـا ... وفى زمن الهـــادى المبـارك يختم

والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فلما ترعرع كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم ـــ الحديث. كذا فى المواهب:

من عجائب المولد الشـــريف

ومن عجائب ولادته (عليه السلام) ما أخرجه البيهقى وأبو نعيم عن حبان بن ثابت، قال: إنى لغلام ابن سبع سنين، أو ثمان، أعقل ما رأيت وسمعت، إذا يهودى يصرخ ذات غداة: يا معشر يهود، فاجتمعوا إليه، وأنا أسمع، قالوا: ويلك، مالك؟ قال: طلع نجم أحمد، ولد بِه فى هذه الليلة.

وعن عائشة قالت: كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ قال: يامعشر قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلم، قال: انظروا فإنه ولد في هذه الليلة نبى هذه الأمة بين كتفيه علامة، فذهب اليهودى معهم إلى أمه، فأخرجته لهم، فلما رأى اليهودى العلامة خرّ مغشيًا عليه، وقال: ذهبت النبوة من بنى إسرائيل، يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب ــ رواه يعقوب بن سفيان بإسنادٍ حسن كما قاله في فتح البارى.

(كذا فى المواهب: ٢٣).

ليلة المولد وليلة القـــدر

اختلف في وقـت ميـلاده ﷺ قـال الحـافظ القسطـلانى : والصحيح أن ولادتـه عليه السـلام كـانت نهارًا . وقيل : ليـلاً . فإن قلت : إذا قلنا بأنـه عليه الصلاة والسـلام ولد ليـلاً ، فأيهما أفضل ليلة القدر، أو ليلة مولده ﷺ؟ .

أجيب بأن ليلة مولده عليه السلام أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة (١) :

---

(١) ورأيت فى نسخة علق عليهـا المؤلف بخطه : «وفهم بعض الجهال أن المفـاضلة بين ليلة القدر وليلـة المولـد المتكررة فى كل عـام وغاب عـن عقولهم أن المقصـود بليلة المولـد : أى التى مضت وانقضت ووقع فيها الميلاد حقيقة وهى كانت قبل ليلة القـدر قطعاً بلاشك» اهـ . هذا ولقد شنع بعض المعاصرين على مـا ذهب إليه المؤلف بأن ليلة الميلاد أفضل من ليلـة القدر ، ولم نجد لهذا التشنيع سبباً مقبولاً إلا أن يكون داء الصدر ومرض القلب ! !

فأولاً : السيد المؤلف لم يبتـدع هذا القول ولم يأت به من عند نفسه ويكفى أنـه سبقه إليه الإمام القسطلانى فى المواهب ، وذكر الإمام النبهانى فى جـواهر البحار أن الإمام الطحاوى نقله عن بعض علماء الشافعية .

ثانيـاً : القول بأن ليلة المـولد أفضل من ليلة القـدر لا يصادم نصًا شـرعيًا صريحًـا أو حتى غير صريح من كتـاب أو سنه ، فليس هنـاك ما يفيد أن ليلـة القدر هى أفضل الليـالى على الإطلاق بل الذى ورد أنها ليلة مبـاركة وأنها خير من ألف شهر وأنها ليلة نزول القـرآن الكريم ، وهذا كله لا يعنى أنه ليس هنـاك ليلة أفضل منهـا فقد نقل ابن القيم (رحمه الله) عن شيخـه ابن تيمية أنـه سئل أيهما أفضل ليلة الاسراء أم ليلة القدر ؟ فقال : إن ليلة الاسراء ــ إن قصد بها الليلة التى أسرى فيها برسول الله ﷺ وحصل له فيهـا ما لم يحصل فى غيـرها من غيـر أن يشرع تخصيصهـا بقيام ولا عبـادة فهذا صحيح . اهـ زاد المعاد حـ ١

فهذا ابن تيميـة يذهب إلى تفضيل ليلة الاسراء على ليلـة القدر لأنه حدث فيهـا للنبى ﷺ ما لم يحدث فى غيرها فكيف بالليلة التى كانت سببًـا لحدوث كل نعمة وفضيلة لهذه الأمة ومنها حدوث ليلة القدر ؟ .

ثالثًا : إذا كـانت ليلة القدر حازت هذا الشـرف كله بنزول القرآن فيهـا ، فكيف بليلة تجلى فيها الحق تبارك وتعالى على الوجود بميلاد سيد الكائنات الذى كان القرآن بعض معجزاته المؤيدة له؟=

أحدها: أن ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ وليلة القدر معطاة له، وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه، ولا نزاع فى ذلك، فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أفضل.

الثاني: أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره ﷺ فيها ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى فتكون ليلة المولد أفضل.

الثالث: أن ليلة القدر وقع التفضل فيها على أمة محمد ﷺ وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق، فكانت ليلة المولد أعم نفعًا، فكانت أفضل فيا شهرًا ما أشرفه وما أوفر حرمته. !

لياليه كأنها لآلىء فى العقود، ويا وجهًا ما أشرفه من مولود فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعًا وحسنه بديعًا.

يقول لنا لسان الحال منه

وقول الحق يعذب للسميع

= رابعاً: المؤلف (أمد الله فى عمره) لم يجعل هذا القول عقيدة واجبة الاتباع بل هو اجتهاد مشكور واعتقاد متروك لمن رزقه الله صفاء الفطرة ونقاء الطوية وشفافية الحس الإيمانى.

فـــوجهـى والــزمـــانُ وشهــــر وضعى

ربيـــعٌ فـــى ربيــــع فـــى ربيـــعِ

(كذا في المواهب : ٢٧)

من لطائف الميلاد النبـــوى

وإنمـا كان مـولده في شهـر ربيع على الصحيح، ولم يكن في المحـرم ولا في رجب ولا في رمضان ولا غيـرها من الأشهـر ذوات الشرف (١) ، لأنه عليـه السلام لا يتشـرف بالـزمان وإنمـا يتشرف الزمان به، وكذلك المكان، فلو ولد في شهر من الشهور المذكورة لتُـوُهِم أنه تشـرف بها، فجعل الله تعـالى مولـده عليه السـلام في غيرها، ليظهر عنايته به وكـرامته عليه، وإذا كان يوم الجمعة الذى خلق فيـه آدم عليه السـلام خص بسـاعة لا يصـادفها عبـد مسلم يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه، فما بـالك بالساعة التى ولد فيها سيد المرسلين، ولـم يجعل الله تعالى في يوم الاثنين ـ يـوم مولده ﷺ ـ من التكليف بالعبادات ما جعل في يوم الجمعة المخلوق فيه آدم من الجمعة، والخطبـة، وغير ذلك من العبـادات إكرامًـا لنبيه

---

(١) لابن الحاج في مدخلـه في ذلك رأى جميل : وهو أن الربيع مصدر أنـس ومظهر بهجة في لفظه ودلالتـه فناسب ذلك ولادتـه ﷺ ولأن في شريعة الـرسول ﷺ من الاعتـدال وموافقة النفـوس ما يتنـاسب ولطف وقت الـربيع ، ثم لأنه ﷺ لا يتشـرف بـالأزمنة أو الأمكنـة ، بل تتشـرف به الأزمنـة والأمكنة ، لعظيم مكـانته وجليل فضله ، وقـد اتفقوا على أن أشرف بقعـة في الأرض هى البقعة التى ضمت جسده الشـريف ﷺ ، فلماذا لا يكون الشهر الـذى ولد فيه من أفضل الشهور واليـوم الذى تشرف بولادته من أفضل الأيام ؟ [المدخل جـ ٢/ ٢٨ ط دار الحديث].

عليه السلام بالتخفيف عن أمته بسبب عنـاية وجوده، قال تعالى: ﴿وما أرسلنـاك إلا رحمـة للعـالمين﴾ ومن جملـة ذلك عـدم التكليف [1] .

حول قصة الغرانيـــق

خلاصة هذه القصة أنه ﷺ قرأ: ﴿والنجم إذا هوى﴾ حتى بلغ ﴿أفرأيتم الـلات والعزى ومناة الثالثـة الأخرى﴾ ألقى الشيطـان فى أمنيتـه، أى فى تـلاوتـه: تلك الغـرانيق العـلا. وإن شفـاعتهن لتـرتجى، فلمـا ختم السـورة سجـد ﷺ وسجد معـه المشـركـون لتـوهمهم أنه ذكـر آلهتهم بخيـر، وفشـا ذلك فى الناس، وأظهـره الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة، وكـان بها من المسلمين عثمان بن مظعـون وأصحـابه، وتحـدثـوا أن أهل مكة قـد أسلمـوا كلهم وصلـوا معـه ﷺ وقـد أمن المسلمون بمكـة، فأقبلـوا سـراعًـا من الحبشة.

والغرانيق فى الأصل: الذكور من طير المـاء، واحدها غرنوق، وغـرنيق سمى به لبيـاضـه، وقيل هو الكـركى، والغـرنوق أيضًـا:

---

(١) كل ما اختص به يوم الجمعة من فضائل جعل المؤلف سبب ذلك هو خلق آدم عليه السلام فى ذلك اليوم وأقول إكمالاً الفائدة: بـأن آدم عليه السلام ما استحق هذه الفضائل إلا لأن نور محمـد ﷺ كان فى صلبه، ومن عظيم نعمته سبحـانه وتعالى أنه اختص هـذه الأمة بهذا اليوم العظيم المبـارك وهداها إليه بعد أن ضـل عنه اليهود والنصارى فبدل اليهـود به يوم السبت والنصارى يوم الأحد.

الشاب الأبيض الناعم، وكانوا يـزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بـالطيور التى تعلـو فى السماء وترتفـع، ولما تبين للمشركين عدم ذلك، رجعوا إلى أشد مما كانوا عليه.

وقـد تكلم القـاضى عيـاض (رحمـه الله) فى الشفـا على هـذه القصة وتوهين أصلهـا بما يشفى ويكفى. وقال الإمام فخـر الدين الرازي (مما لخصته من تفسيره) هذه القصة باطلة موضوعة لايجوز القول بها ـ قال الله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى**﴾ وقال الله تعـالى: ﴿**سنقرئك فلا تنسى**﴾ وقال البيهقي: هـذه القصة غيـر ثابتـة من جهة النقل، ثم أخـذ يتكلم فى أن رواة هذه القصـة مطعونون. وأيضًـا فقد روى البخـاري في صحيحه: «أنـه ﷺ قرأ سـورة النجم وسجد وسجـد معـه المشركـون والإنس والجن، وليس فيـه حديث الغـرانيق. بل رُوِى هذا الحـديث من طرق كثيرة، وليس فيها ألبته حديث الغرانيق، ولاشك أن من جوز على الـرسـول الأعظم تعظيم الأوثـان فقد كفـر، لأن من المعلـوم بالضرورة أن أعظم سعيـه كان نفى الأوثان، ولو جـوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعـه، وجوزنا فى كل واحد مـن الأحكام والشرائع أن يكون كـذلك. ويبطل قولـه تعالى: «يـا أيها الـرسول بلغ مـا أنزل إليك من ربك وإن لـم تفعل فمـا بلغت رسـالته» فـإنه لا فـرق فى الفعل بين النقصـان فى الوحى وبين الـزيادة فيـه. فبهذه الـوجوه

عرفنا على سبيل الإجمال : أن هذه القصة موضوعة ، وقد قيل : إن هذه القصة من وضع الزنادقة ولا أصل لها ـ انتهى .

قلت : وقد ساق الحافظ القسطلانى كلامًا فى هذا الموضوع لا طائل تحته . وما نقلناه فى هذه المسألة هو الحق إن شاء الله تعالى (١) .

---

(١) لقد تطاول كثير من المستشرقين والمبشرين من أعداء الاسلام ومن تأثر بهم من أدعيائه على مقام النبى الأعظم ﷺ بسبب هذه القصة التى ذكرها بعض كتاب السيرة ، وبعض المفسرين ـ الذين لا تحقيق عندهم للروايات ، ولا يعنون بالتمييز بين الصحيح والضعيف ، والغث من السمين عنايتهم لحشد الروايات والإكثار منها ـ فى سبب رجوع مهاجرى الحبشة وأنه نزل بسببها آية الحج ، هذا وقد حكمت الصنعة الحديثية والقواعد الاصوليّة على بعض علمائنا كالحافظ ابن حجر والامام السيوطى (رحمهما الله) فقالوا : إن للقصة أصلاً تدل عليه كثرة الطرق التى رويت بها لكنهم أوّلوا هذه القصة بما يتفق مع عصمته ﷺ .

ونبين هنا بطلان هذه القصة سنداً ومتناً ولغة وعقلاً ، ثم نذكر التأويل الذى ارتضاه ابن حجر وما يلزم منه ونختم بالتفسير الصحيح لآية الحج . وهى قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ﴾ الآيات وأخرج البزار وابى مردويه عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأخرجها كذلك ابن أبى حاتم وابن جرير وابن المنذر عن شعبة أيضاً عن أبى بشر عن سعيد بن جبير ـ كما قال الحافظ ابن حجر ـ وقال البزار لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد ، وبعد أن ذكر الحافظ من خرج هذه القصة ومنهم ابن اسحق فى سيرته عن محمد بن كعب وموسى بن عقبه عن ابن شهاب ـ قال : وكلها ضعيفة أو منقطعة سوى طريق سعيد ابن جبير الأولى .

هذا وقد طعن فى هذه القصة كثير من المحدثين ومن المحققين الذين جمعوا بين المعقول والمنقول ، قال الامام ابن خزيمة : إنها من وضع الزنادقة ، وصنف فى ذلك كتاباً ، وقال الإمام البيهقى : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، وقال القاضى عياض فى الشفا : « إن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقه بسند متصل . الخ . =

= وكذلك أنكر هذه القصة الامام أبو بكر بن العربى والامام أبو منصور الماتريدى حيث قال : « والصواب أن قوله « تلك الغرانيق العلا » الخ من جملة إيحاء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقه حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين ليرتابوا فى صحة الدين » تفسير ابن كثير والبغوى .

ومما يدل على بطلان القصة من ناحية السند اضطراب الرواية فيها اضطراباً فاحشًا ، وليس من شك فى أن الاضطراب يذهب الثقة بها كما هو مقرر فى علم أصول الحديث .

وأيضا مما يدل على افتعال القصة ما ذكره الشيخ محمد عبده أن وصف العرب لآلهتهم بالغرانيق لم يرد فى نظمهم ولا فى خطبهم ولم ينقل عن أحد أن ذلك كان جارياً على ألسنتهم إلا ما جاء فى معجم ياقوت من غير سند ولا شىء من معانيه اللغوية يلائم معنى الإلهية والأصنام حتى يطلق عليها فى فصيح الكلام الذى يعرض على أمراء الفصاحة والبيان .

أما دليل بطلان هذه القصة من ناحية العقل فهو :

١ ـ أجمعت الأمة على أن عصمة الأنبياء أمر واجب من أمور الدين التى لا خلاف فيها والأخذ بهذه القصة هدم لهذا الأمر الواجب المجمع عليه وإذا كان المحققون يقولون : إن الخبر الثابت إذا كان حديث آحاد لا يصلح لإثبات أمر من أمور العقائد فكيف بهدم أمر معلوم من الدين بالضرورة بخبر ضعيف أو مختلق؟ .

٢ ـ إن قوله تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ﴾ ـ وهو ما صدرت به الآية ـ يدل على أن هذا لم يكن أمراً خاصاً به ﷺ بل كان عاماً فى كل رسول ونبى ، ومع هذا لم يأتنا نص من كتاب ولا سنة يفيد أن نبياً أو رسولاً من الأنبياء والرسل السابقين لسيدنا محمد ﷺ لبّس له الشيطان وتكلم على لسانه .

وأما التأويل الذى ارتضاه ابن حجر وتبعه السيوطى فهو أن الشيطان ترصد سكتة من سكتاته ﷺ أثناء قراءته فنطق بهذه الكلمات محاكياً نغمته ﷺ فظنها الناس من قوله ﷺ اهـ. [فتح البارى ج ١ ص ٣٥٥] وهذا تأويل ضعيف عند النظر والتأمل يوقع القائل به فيما فر منه وهو تسلط الشيطان على النبى ﷺ فالتسلط عليه بالمحاكاة كالتسلط عليه بالإجراء على لسانه كلاهما لا يجوز فقد أقر رئيس الشياطين بأنه لاسلطان له على عباد الله المخلصين فكيف بسيد الأولين والأخرين؟ وأيضا لو كانت القصة صحيحة لما كان هناك تناسب بينها وبين ما قبلها وما بعدها من الآيات فقبلها : «أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» وبعدها : « ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضيزى إن هى الا أسماء » الخ فيكون النظم على هذا مفككاً والكلام متناقضاً فكيف تقبله عقول السامعين وكيف يسجد له المسلمون والمشركون ؟ .

= وأخيراً نرى الأوفق والأصح فى تفسير آية الحج ما ذكره أهل العلم والمعرفة ومنهم الشيخ الدباغ ونقله عنه ابن المبارك فى كتاب الإبريز وخلاصته : أن الصواب فى هذه القصة مع ابن العربى وعياض ومن وافقهما فى نفى هذه القصة لا مع ابن حجر ، وقط ما وقع للنبى ﷺ شىء من هذا وإلا لارتفعت الثقة بشريعته وبطل حكم العصمة وصار كغيره من الناس يتسلط عليه الشيطان ، ومعنى التمنى فى الآية أن أى نبى ورسول يتمنى الإيمان لأمته ويحبه لهم ثم الحال يختلف فى أمته فمن كفر منهم فقد ألقى الشيطان الوساوس القادحة له فى الرسالة ، ومن آمن منهم ينسخ الله من قلوبهم هذه الوساوس الشيطانية ويُحكِمُ فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة . وما أجمل هذا التفسير الذى يتناسب مع الآية ويكون ما يلقيه الشيطان راجعاً لأفراد الأمة لا إلى نبيها ورسولها بدليل قوله تعالى : ﴿ ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفى شقاق بعيد ﴾ وإلى هذا (أى تفسير التمنى) مال الإمام البخارى رضى الله عنه في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ سورة الحج ، ونقل ذلك فى كتابه السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة (الدكتور محمد محمد أبو شهبة) .

إظهار حقيقـــــــة

إظهار حقيقـة ما ينسب إلى الإمـام أبى حنيفة «رضى الله تعـالى عنه» فى حق أبوى المصطفى ﷺ وثبـوت رجوع الملا على القارى عن رأيه فى حقهما، كتب عن ذلك الشيخ مصطفى الحمامى فى النهضة الإصـلاحية ما خـلاصة: «ظهـرت رسالة منسـوبة للشيخ «ملاّ على القارى» بعنوان: «أدلة معتقد أبى حنيفة الإمام فى أبوى الرسول عليه السلام» تكلم فيها عن والدى رسول الله ﷺ كلاماً كان الواجب ألا يتكلمه لأن هذا الكلام يؤذى حضرة سيد الوجود مولانا رسول الله ﷺ ومنكر عظيم أن يؤذى حضرة الرسول ﷺ.

فقد أخرج ابن أبي الدنيا وابـن عساكر أن درة ابنة أبى لهب مرت برجل فقـال: هذه ابنة عدو الله أبى لهب، فأقبلت عليـه فقالت: ذكر الله أبى لنسابتـه وشرفه، وترك أباك لجهـالته، ثم ذكرت للنبي ﷺ فخطب النـاس فقال: «لا يؤذين مسلـم بكافر» معنـى هذا لا تذكروا الكفـار ذكراً يشمئز منه المؤمن ويتـألم به وليس بكثير على المـؤمن أن يُكرم حتـى لا يتعرض لأقـاربـه الكفار تعـرضـاً يؤذيـه ويغضبه، وإذا كان هذا فى أى مؤمن بالنسبة لأهله الكافرين فأولى ثم أولى أن يراعى مع رسـول الله ﷺ فالأدب الإسلامى أن لا يـذكر أهله ﷺ الـذين ماتـوا على الكفر ذكـراً لا يليق بقرابتـه ﷺ فكيف بأبويه الكريمين العظيمين؟.

وأخرج ابن مـردويه عن ابن عمر وأبى هـريرة، وعمار بن يـاسر (رضى الله عنهم) أنهم قالـوا: «قدمت دُرّة بنت أبى لهب مهـاجرة فقال لهـا نسوة: أنت دُرّة بنت أبـى لهب الذي يقـول الله (أى فيه) «تبت يدا أبي لهب» فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فخطب فقال: «أيها الناس مالى أُوذَى فى أهلى، فوالله إن شفـاعتى لتنال بقرابتى حتى إن حكمًا، وحاء، وصدا وسلبها (أسماء قبـائل) تنالها يوم القيامة بقرابتى، وهذا الحديث نص فى المـوضوع. فإنه ﷺ اهتم بمسألة ذكر عمه أبى لهب بمـا ذكر، حتى قام خطيبًا بين النـاس - ينهاهم عن مثل ذلك بقوله: (أيها الناس: مالى أُوذى فى أهلى).

وإذا كان هذا غضبه من أجل أبى لهب، وقد مات كافرًا قطعًا، فكيف يكون غضبه من أجل أبويـه الكريمين العظيمين، وقد ماتا على الفطرة؟ كما سيأتي الكلام عن ذلك. إن شاء الله.

إن غضبه ﷺ لابد أن يكون عظيمًـا على من يشير أىَّ إشارة إلى إهانة حضرتَىْ هذين الوالدين العـزيزين اللذين أكرمهما الله إكرامًا لا يضاهى بإكرام بإبراز سيد الوجود وصفوة الخلق ﷺ. ولاشك أن فاعل ذلـك إنما تسبب فى لعن نفســه وطردها مـن رحمة الله، فإن ربنا يقـول فى كتابه: ﴿إن الـذين يؤذون الله ورسـوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابًا مهينًا﴾. ولننتقل من هذا إلى الكلام عن هذه المسألة فنقول: «من الافتراء الفاحش على الإمام الأعظم أبى حنيفـة النعمان (رضـى الله عنه): أن يسنـد إليـه أنه يعتقـد أن

أبوى رسول الله ﷺ غير ناجيين يوم القيامة. بل هما مع الكفار فى نار جهنم خالدين فيها أبدًا، نعم ذلك افتراء عظيم على هذا الإمام العظيم، وإذن من الإفك أن تُعَنْوَن تلك الرسالة بهذا العنوان: (أدلة معتقد أبى حنيفة الإمام فى أبوى الرسول عليه السلام) على أن معتقده فيهما أنهما كافران.

فإن قال القارىء: إن ملا على القارى، نقل فى صدر هذه الرسالة: أن هذا قاله فى كتابه الفقه الأكبر، مانصه: «ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر» وإذا كان هذا قوله فى كتابه المنسوب إليه فكيف تسميه افتراءً عظيمًا؟ وأنا أقول: إن الذى قاله الرجل فى الفقه الأكبر ليس ما ذكر. بل الذى قاله، نصه: «ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الفطرة وأبو طالب مات كافرًا). هذا الذى رأيته أنا بعينى فى الفقه الأكبر للإمام أبى حنيفة ـ رضى الله عنه ـ رأيته فى نسخة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ترجع كتابة تلك النسخة إلى عهد بعيد، حتى قال لى بعض العارفين هناك إنها كتبت فى زمن العباسيين، وهذه النسخة ضمن مجموعة رقمها ٣٣٠ من قسم المجاميع بتلك المكتبة، فمن أراد أن يرى هذه النسخة من الفقه الأكبر بعينه فعليه بتلك المكتبة. وهو يجدها. هناك بهذا النص الذى نقلناه هنا. ولا يظن القارىء أن رؤيتى هذه ترجع إلى عهد بعيد لا يظن هذا وليتأكد أنها كانت فى موسم الحج الفائت (سنة ١٣٥٤ هـ) بينها

وبين وقت كتابة هذا يوم الخمس ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ هـ خمسة شهور وبضع شهر، لأنى كنت بالمدينة إلى أوائل شهر ذى الحجة من سنة أربع وخمسين [١] .

ومن تأمل وجد أن النقل الذى بنسخة «ملا على قارى»، به بليتان :

البلية الأولى، أنه كذب ـ يخالف النسخة القديمة التى مر ذكرها .

والبلية الثانية، أن التدليس دخله، فإن الذى يقرأ ﴿وأبو طالب مات كافرًا﴾ بعد النص الذى نقله (ملا على) يقول : معترضًا حالاً: إذا كان والدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر وأبو طالب كذلك، فكان حق الكلام أن يكون هكذا : «ووالدا رسول الله ﷺ وأبو طالب ماتوا كفارًا» لا أن يذكر كفر أبويه ﷺ وحده، ويذكر كفر أبى طالب عقبه وحده .

أما نسختنا هذه فواضح جدًا ما بها من إفراد كفر أبى طالب، فإن الحكمين حينئذ مختلفان فيذكر ما يقيد إيمان أبويه ﷺ ثم ينص على كفر أبى طالب .

ولعل القارىء يتبادر إلى ذهنه أن لفظ (الكفر) الذى ينقله : «ملا على»، حُرِّف عن لفظ (الفطرة) الذى بنسختنا التى نبهناك

---

(١) الكلام للسيد مصطفى الحمامى وليس للسيد محمد علوى المالكى كما يتوهم وذلك بسبب طول النقل .

عليها. ونقلنا لك هذا منها ـ فإن اللفظين بينهما قرب ظاهر، وهل ذلك التحريف مقصود؟ إن حذف الحكم على أبى طالب يقول ذلك. نقول هذا ولا ندرى هل هذا الحذف من المؤلف أم من الناشر؟.

وهذه الرسالة باطلة من أصلها لأن صاحبها رجع عما كتبه بتلك الرسالة بما كتبه فى شرحه على الشفا للقاضى عياض، وكلامه هذا فى موضعين من هذا الشرح:

الموضوع الأول برقم ٦٠١ والموضع الثانى برقم ٦٤٨ من طبعة استانبول الصادرة ١٣١٦ هـ فأما الموضع الأول فذكر صاحب الشفا: «أن أبا طالب قال للنبى ﷺ وهو رديفه بذى المجاز عطشت وليس عندى ماء. فنزل النبي ﷺ وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء، فقال: اشرب، قال بعد هذا «ملا على قارى» ما نصه: «قال الدلجى: الظاهر أن هذا كان قبل البعثة، يعنى فيكون من الإرهاصات، ولا يبعد أن يكون بعد النبوة فهو من المعجزات، ولعل فيه إيماء إلى أنه سيظهر نتيجة هذه الكرامات من بركة قدم سيد الكائنات فى أواخر الزمان قريب الألف من السنوات عين فى عرفات، تصل إلى مكة وحواليها من آثار تلك البركات، هذا وأبو طالب لم يصح إسلامه، وأما إسلام أبويه ففيه أقوال. والأصح إسلامهما على ما اتفق عليه الأجلة من علماء الأمة كما بينه السيوطى فى رسائله الثلاث المؤلفة».

وأما الموضع الثانى، فقال فيه الشيخ (رحمه الله) ما نصه: «وأما ما ذكروا من إحيائه عليه الصلاة والسلام، أبو يه، فالأصح أنه وقع على ما عليه الثقات من الجمهور كما قال السيوطى فى رسائله الثلاثة المؤلفة، اهـ.

وبهذا فقد كفانا مؤلف الرسالة نفسها وهو الشيخ «ملا على القارى» مؤنة الرد عليها برجوعه إلى الحق والصواب، وهكذا كان العلماء الأكابر لا ينتظر منهم إلا الرجوع إلى الصواب إن أخطأوا، والإنابة إلى ربهم إن عصوا، والمبادرة إلى الكمال إن عرجوا إلى نقص، والنهوض إلى الذروة إن سقطوا فيما هو أحط من ذلك المقام الأسمى.

وليس هذا فقط ما يدل على نجاة أبو يه ﷺ بل هناك طريق آخر يدل على نجاتهما ـ رضى الله عنهما ـ وهو أنهما ماتا فى فترة لم يكن فيها رسول الله ينذر أهلها، ويعلمهم ما هو الواجب عليهم نحو ربهم، ولا نحو بعضهم بعضًا، وطال عليهم الأمد، وهو بتلك الحالة، فإنهم من عهد سيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم الخليل ﷺ ـ لم يرسل إليهم رسول. وإذن هما معذوران عند ربهما، كسائر العرب الذين كانوا فى تلك الفترة. وأحب أن تطيل النظر فى قوله تعالى: ﴿**يس والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين، على صراط مستقيم * تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قومًا**

ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾ ألا ترى أن قوله تعالى: **﴿لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾** يعتذر عن غفلتهم وبعدهم عن الواجب لمولاهم أصولاً وفروعًا، بأن آباءهم لم يأتهم نذير بإنذاره، فيعلموا أن لخالقهم عليهم حقوقًا يجب أن تراعى فى باطنهم وظاهرهم، فلما كان آباؤهم هكذا نشأوا على ما كان عليه آباؤهم من ترك الواجبات.

ولعلك فهمت من الآية فرقًا عظيمًا بين الولد ينشأ بين والدين صالحين أو بين والدين فاسقين، فإن الأول ينشأ عارفًا الدين حريصًا على اتباعه كوالديه، والثانى بالعكس. ومن هذا ما يحكيه ربنا عن قوم السيدة مريم ـ رضى الله عنها ـ إذ يقولون لها قبل أن تبين لهم الحقيقة: «يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًا». أى عجيب فعلك هذا المنكر، وأبواك ما كانا من أهله، ويصرح بنفى العذاب عن أولئك العرب ـ أهل تلك الفترة ـ قوله تعالى: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً». يقول ربنا: أنا لا أعذب أحدًا من عبادى على تركه أى أصل أو أى فرع، إذا كان بعيدًا عن عهد الرسول، وبدلت الشرائع المتقدمة، ولم أبعث إليه رسولاً ينبهه ويفهمه أن ما تركه لا يجوز تركه، فإن تعذيبه حينئذ يكون على غير جريمة فى نظره، وربنا الحكم العدل لا يعذب، على غير جريمة أبدًا، وأبواه ﷺ ككل معاصريهما لم يكن فى زمنهم شرائع غير مبدلة، ولا كان رسول، بل بعث ﷺ بشريعته

بعد موتهما بزمن طويل، فإن والده توفى وهو ﷺ فى بطن أمه، وأما أمه فماتت وهو فى نصف العقد الأول من حياته الكريمة أو يزيد قليلاً، وإذن هما ناجيان لا يعذبهما الله تعالى، كإخوانهم أهل هذه الفترة، وأكثر علماء الأمة رضى الله عنهم على هذا.

ولعلك تقول: قد وردت أحاديث تدل على أن بعض أهل تلك الفترة معذبون، فيقاس الباقى على ذلك البعض.

وإنّا نقول: إن تلك الأحاديث لم ترتفع عن درجة الآحاد من الأحاديث، وهل تقف تلك الآحاد أمام كتاب الله تعالى؟ لعلك تبادر إلى قولك: لا ثم لا، ويمكنك أن تقول: على فرض صورة التعارض، لا تعارض، وتقف تلك الأحاديث عند الأشخاص الذين ذكرتهم لمعان فيهم وحدهم يستحقون بها النار، وإذن كيف يصح القياس على أنه لا قياس فى مثل هذا؟. ولعلك تقول: إن والديه ﷺ ورد ما يمسهما فى إيمانهما.

وإنا نقول لعل الذى ورد كان قبل أن يحييهما الله تعالى للإيمان به ﷺ فإن هذا الإحياء كان ولا شك [على ما عليه الأجلاء من الأمة وهم الجمهور الثقات ـ كما يصفهم «ملا على قارى»] وكيف إذن يمس إيمانهما بعد هذا الإحياء؟ ولا تغفل عما قلناه قبلاً من أن الآيات القطعية دلت على نجاتهما، فلا يعارضها ذلك الذى ورد آحادًا. على أن ذلك الوارد تكلم على قيمته العلماء كلامًا يجعلك لا تلتفت إليه. كيف لا وللحافظ السيوطى وحده رسائل ثلاثة فى

هذا الموضوع كما قال مولانا الشيخ ملا على قارى. بقى أن يقال: على رجوع ملا على قارى عن رسالته. نحن لا ندرى أيُّ الأمرين المتأخر ليكون عليه المعوّل، أهى الرسالة؟ وإذن ملا على قارى يكون قد رجع عن القول بنجاة الوالدين (رضى الله عنهم) أم ما قاله فى شرح الشفا؟ وإذن يكون قد رجع عن القول بأنهما من الكفار وصمم على القول بإيمانهما، وإذ نتكلم عن هذه النقطة نقول:

الأمر ظاهر على تقدير أن المتأخر كلامه على الشفا، أما على تقدير أن الرسالة هى المتأخرة فالأمر يبدو فى بادىء النظر صعبًا، والذى يعطى الموضوع حظه من النظر والتأمل يراه فى غاية السهولة، فإن الشيخ صرح فى شرحه على الشفا أن القول بإسلام الوالدين متفق عليه بين الأجلة من الأمة، وهو ما عليه الجمهور من الثقات، وإذن لو رجع عن هذا إلى القول الثاني الذى تتضمنه الرسالة يكون مخالفًا لما اتفق عليه الأجلة، والذى عليه الجمهور من الثقات، وأى قيمة لقول يخالف فيه قائله ما اتفق عليه الأجلة من الأمة؟ إنه قول فى ناحية وجمهور الثقات من الأمة فى ناحية أخرى. إنه إذن يكون قد رجع عن الحق، وقال ما بطلانه من أوضح الواضحات، فإذا أضفت إلى هذا أن أبا حنيفة ـ رضى الله عنه ـ يقول: إن الوالدين ماتا على الفطرة (أى الإسلام) بطل قول ملا على قارى وأين ملا على من الإمام الأعظم؟ وإن ملا على لم يكتب رسالته إلا بعد أن رأى تلك الكلمة المحرفة منسوبة إلى

الإمـام ـ رضى الله عنـه ـ فلمـا رآهـا كتب ما كتب متكئًـا على أبى حنيفـة ، ومستندًا إليـه ، وقد تقـدم الجـواب عنها ، وأنهـا محرفـة الأصل لها ، وقد ذكر الآلوسى وهـو أحد أئمة السلف الثقات ـ فى تفسيره عند قوله تعالى : «وتقلبك فى الساجدين» أن القول بإيمان أبويـه ﷺ قول كثيـر من أجلّة أهل السنة ، ثم قـال ما نصـه : «وأنا أخشى الكفر علـى من يقول فيهما ــ رضى الله عنهما ــ على رغم أنف على القارى وأضرابه بضد ذلك .

وبعد فإن الله تعـالى جعل نبيه ﷺ رحمة للعالمين ، ولقـد كان والله رحمة حتى لعميه أبى طالب وأبـى لهب اللذين رأياه بأعينهما وسمعا دعوته بأذنيهما وصمما على الكفر به حتى ماتا .

إن هذين لقـرابتهما منـه ﷺ جاءت السنـة النبويـة تخبر أن الله يُخفف عن الأول العذاب دائمًا ، ويقال : إنه يخفف عن الثاني فى بعض الأوقـات . بل كان واللهِ رحمـة لكل الكفار الـذين جاهـروه بالتكذيب ، فإن الله تعالى يقول فيهم : «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهـــم» إذن كيف لا يكون ﷺ رحمـــــة لوالديه وقـد ماتا على الفطـرة كما يعتقـد الإمـام الأعظم (رضى الله عنـه) وجمهور الأمـة الثقات [١]؟ .

---

(١) (خلاصة الكلام فيما يجب نحو والدى المصطفى عليه الصلاة والسلام) .

لقد أحسن المـؤلف (أكرمـه الله) فيما ذهب إليه وقـرره بشأن الأبوين الكـريمين اللذين خرج منهما منبع الأنوار كلها وأصل الرحمات جميعها . =

= لكن بقيت عدة نقـاط يجب التنبيه إليها حتى نخلص إلى الأدب والتوقيـر لحرمة النبى الأمين صلى الله عليه وآله وسلم .

أولاً : أرى أن الخوض فى الحكم على أبويهﷺ بعدم النجاة يعد تطاولاً على مقام النبوة وإيذاءً لحضـرته ﷺ ــ بل كان ينبغـى أن يكون العلم بنجـاتهما مسلماً ومعلـوماً عنـد أهل الإيمان فلا يحتاج إلى بحث وما دفع المؤلف إلـى الكتابة عن هذه المسألة إلا أننا نعيش فى عصر كثر فيه الجفـاء وتطاول فيه الأدعياء فكان لزامًا علينـا جميعاً أن نزيل الشبهة التى تعلق بها هؤلاء الناس .

ثانيـا : الأدلة القطعية تثبت نجاتهمـا فكيف نلجأ إلى معارضتها بأخبار شـاذة وأحاديث آحاد ؟

هل بعد قـوله تعـالى : ﴿ وما كنا معـذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ نص أو خبـر يتمسك به أحد؟ اللهم إلا من كان متعامياً عن الحقائق أو فى نفسه شىء يحجبه عن رؤيتها .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القـرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ ثـم تعالــوا نتسـاءل ! ! إذا كـان الله لا يعـذب المشركين والكفـار الـذين اتخـذوا آلهة من دونـه وسجدوا للأصنام وشربوا الخمر واقتـرفوا ظاهر الإثم وباطنه ، حتى يبعث إليهم رسولا ؟ مع أنه ثبت شـركهم وكفرهم وسـوء فعالهم فهم ليسـوا بمعذبين إلا إذا أتاهـم رسول يقيم عليهم الحجة وصـدق الله إذ يقول : « رسلاً مبشرين ومنـذرين لئلا يَكون للناس على الله حجـة بعد الرسل » فـالسؤال الذى نتحـدى به من يقول بـأن أبويه ﷺ فى النـار ، بأى ذنب استحقا أن يكونا فى النـار ؟ هل يستطيع أن يثبت أنهما كانا مشركين أو كـافرين ؟ هل يستطيع أحد أن يثبت أنهما عبدا الأصنام أو سجدا لها أو شربا الخمر أو اقترفا الزنا ؟ .

بل الذى يطـالع كتب السير يجـد ما يـدل على مكارم صفاتهمـا وطيب فعالهمـا وطهارة أصلهما ورجاحة عقلهما . ولم ينقل عنهما تعظيـمٌ لوثن أو سجودٌ لحجر مما يجعلنا نقطع بأنهما كانا على الفطرة التى فطر الله الناس عليها وهى توحيد الخالق جل جلاله .

إذاً فلم يثبت عليهما شىء يستحقان به دخول النار ولا الخلود مع الكفار، هل ذنبهما هو خروج الرحمة المهداة من بينهما ؟ اعتبروا يا أولى الأبصار ! .

هذا وقـد قسم الشيخ محيى الدين بن عربى أهل الفتـرة فى الباب العاشر من الفتـوحات إلى ثلاثة عشر قسماً ، حكم لستة أقسام بالسعادة وأربعة بالشقاء وثلاثة بأنهم تحت المشيئة ، وقال الشيخ الشعرانى فى اليـواقيت والجواهر (جـ ٢ ص ٥٨ ــ ٥٩) ما رأيت هذا التقسيم لأحد غيره . =

= فأمـا السعداء . ١ ـ قسم وحد الله بنور وجـده فى قلبه ـ ويدخل فى هـذا القسم والدا المصطفى ﷺ ـ كقس بن سـاعدة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيـل ، فإن قساً كان إذا سئل هل لهذا العالم إلـه ؟يقول : البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام علـى المسير الخ وأما سعيد بن زيد فكان يسجـد ويقول : إلهى إله إبراهيم ودينى دين إبـراهيم كما فى صحيح البخارى ... وقـال الشيخ محيى الـدين : يسمى من وحد الله تعـالى مثل قس صـاحب دليل ممتـزج بفكر وذلك لأنه ذكر المخلـوقات واعتبر فيها ، ولذلك يبعث أمة وحـده كما ورد لا تابعًا ولا متبوعاً .

٢ ـ قسم وحد الله بمـا تجلى فى قلبه من النور الذى لا يقدر على دفعـه من غير فكر ولا روية ولا نظر ولا استدلال . فهذا على نور من ربه .

٣ ـ قسم ألقى فى نفسـه واطلع من شدة نـوره وصفاء سره على منـزلة سيدنـا محمد ﷺ وسيادته وعمـوم رسالته باطنـاً من زمن آدم الى زمانه (أى الذى ألقى فى نفسـه) فآمن به (أى بمحمد ﷺ) فى عالم الغيب على شهـادة منه وبينة من ربه وهو قولـه تعالى : ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه (أى يشهد له فى قلبه بصدق ما كوشف له فهذا يحشر يوم القيامة فى ضياء من خلفه وفى باطنية محمد ﷺ .

٤ ـ قسم اتبع ملة حق ممن تقـدمه كمن تهود أو تنصر أو اتبع ملـة إبراهيم ... وإن كان ذلك ليس بواجب عليه إذ لم يكن ذلـك الرسول مبعوثًا إليـه ، فهذا يحشر مع تبع ذلك النبى يوم القيامة .

٥ ـ قسم طالع فى كتب الأنبيـاء فعرف شرف سيدنا محمد ﷺ فـآمن به وصدق وإن لم يكن دخل فى شـرع نبى قط ممن تقدم لاسيمـا إن كان قـد أتى بمكارم الأخـلاق كحكيم بن حزام وأضرابه فهذا يحشر مع المؤمنين بسيدنا محمد ﷺ لا مع العاملين بشريعة .

٦ـ قسم آمن بنبيه (الذى أرسل إليه) وأدرك رسالة محمد ﷺ وآمن به فله أجران .

وأما الأشقياء .

١ـ قسم عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقى مطلق .

٢ـ قسم أشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقى .

٣ـ قسم عطل بعد ما أثبت لا عن استقصاء نظر أو تقليد فذلك شقى .

٤ـ قسم أشرك عن تقليد محض فذلك شقى .

وأما من هو تحت المشيئة . =

= ١ـ قسم أشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذى تعطيه قوته .

٢ ـ قسم عطل بعد ما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التى هو عليها مع ضعفها بالنسبة لمن فوقه .

٣ـ قسم عطل فلم يقر بوجود عن نظر قاصر ذلك القصور بالنظر إليه لضعف مزاجه عن قوة غيره . فهذه أقسام الفترات بين إدريس ونوح وبين عيسى ومحمد ﷺ . ا هـ.

هذا ومما يدل على أن الأبوين الشريفين بل وجدَّه عبد المطلب (رضى الله عنهم) كانوا على التوحيد ما جاء عنهم فى كتب السير فقد قال عبد المطلب عندما جاء أبرهة بجيشه لهدم الكعبة : أما الإبل فإنها لى وأما البيت فإن له ربًا سيحميه . فهل مثل هذا القول يصدر عن مشرك عابد وثن ؟ وإلا كان قد توجه إلى الأصنام والآلهة التى كانت حول الكعبة . وجاء عن عبد الله والد النبى ﷺ لما راودته امرأة عن نفسها على أن تعطيه مائة من الإبل وذلك لما رأت نور النبوة فى وجهه ﷺ فقال .

أما الحرام فالممات دونه   والحل لا حل فأستبينه
يحمى الكريم عرضه ودينه   فكيف بالأمر الذى تبغينه؟

فمثل هذا الخلق الرفيع لا يمكن أن يصدر عن المشركين عبدة الأصنام الذين يفعلون كل منكر وقبيح ولا يترفعون عن شيء من هذا .

وما جاء عن أمه آمنة (رضى الله عنها) من الأخبار فى شأن حمله ﷺ وولادته الكثير مما نقلته كتب السير أنها رأت كأن نوراً خرج منها أضاءت له قصور الشام .

وما أخرجه ابن سعد عن الواقدى بسنده أنها آتها آت بين النائم واليقظان فقال لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، فقولى : «أعيذه بالواحد من شر كل حاسد» الخصائص للسيوطى جـ ١ أليس هذا كله كافيا فى أنها رضى الله عنها كانت مؤمنة موحدة ؟

فهل بعد هذا كله لمجرد حديث حكم العلماء بشذوذه ومنهم من تأوله فى أبى طالب نترك الأدلة القطعية ونلغى عقولنا ؟

ثالثاً : ينحصر استدلال القائلين بأن والدى الحبيب ﷺ فى النار فى حديثين من الآحاد الشاذ :

(أولهما) : حديث مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً : « استأذنت ربى أن أستغفر لأمى فلم يأذن لى ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لى » .

ولا يستدل بهذا الحديث على أن والدته ﷺ فى النار لأمور . =

= ١ ـ إذنه تعالى لرسوله ﷺ بزيارة قبرها يدل على أنها ليست كافرة لأنه نهاه عن أن يقوم على قبور الكفار والمنافقين بقوله تعالى : « ولا تقم على قبره » الآية .

٢ ـ ليس فى هذا الحديث الظنى الشاذ تصريح بأن أمه ﷺ فى النار وإنما هو استنباط سقيم مبعثه مرض فى القلوب .

٣ ـ لا يدل عدم الإذن له ﷺ بالاستغفار لأمه على شركها أو كفرها لأنه يحتمل أنه لم يؤذن له فى ذلك الوقت ثم أُذن له بعد ذلك كقوله تعالى : ﴿أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . . ﴾ الآية مع أنه قبل ذلك كان يطلب من النبى ﷺ قتال الكفار فيقول : لم يؤذن لى بعد ، أو أن النهى عن الاستغفار يكون لرفع توهم أن أمه (رضى الله عنها) ممن أخطأ وأذنب فاستحق العذاب فيحتاج إلى استغفار ، قال تعالى : «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً» .

(ثانيهما) : حديث : أن رجلاً قال : يارسول الله أين أبى ؟ قال : (فى النار) فلما قفّى دعاه فقال : (إن أبى وأباك فى النار) رواه مسلم . والجواب على هذا الحديث من وجوه .

١ ـ يحتمل أن النبى ﷺ أراد بقوله : (أبى) عمه أبا طالب ، وهذا من الشائع فى لغة العرب تسمية العم أباً ومن ذلك قوله تعالى : ﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل . . ﴾ الآية ، فإسماعيل عم يعقوب (عليهما السلام) .

هذا الحديث قال عنه الشيخ السيوطى فى مسالك الحنفا فى والدى المصطفى : قوله ، « إن أبى وأباك فى النار » لم يتفق عليه الرواة ، وإنما ذكره حماد بن سلمة عن ثابت ، وقد خالفه معمر عن ثابت ، فلم يذكر : إن أبى وأباك فى النار ولكن قال له : إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار ، وهذه اللفظة لا دلالة فيها على والده ﷺ بأمر ألبتة ، وهو أثبت من حيث الرواية ، فإن معمراً أثبت من حماد ، وإن حماداً تكلم فى حفظه ، ووقع له أحاديث مناكير ذكروا أن ربيبه دسَّها فى كتبه ، وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم ومن ثمّ لم يخرج له البخارى شيئاً ، ولا أخرج له مسلم فى الأصول إلا من روايته عن ثابت .

وقد قال الحاكم فى المدخل : ما خرج مسلم لحماد فى الأصول إلا من حديثه عن ثابت وقد أخرج له فى الشواهد عن طائفة ، وأما معمر فلم يتكلم فى حفظه ولا استنكر شىء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبى وقاص بمثل رواية معمر عن ثابت عن أنس ، فروى البزار والطبرانى والبيهقى من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهرى ، عن عامر بن سعد عن أبيه : أن أعرابيًا ، قال لرسول الله ﷺ أين أبى ؟ قال : فى النار قال : فأين أبوك ؟ قال : حيثما مررت بقبر كافر . الخ =

= وهذا الإسناد على شرط الشيخين ، فتعين الاعتماد . على هذا اللفظ وتقديمه على غيره ا هـ «مسالك الحنفا» هذا وقد عرف العلماء الحـديث الشاذ بأنه ما خالف فيه الثقة من هو أوثق منه وهذا ينطبق على الحديث المتقدم فـى صحيح مسلم . وبهذا يرتفع الإشكال الذى أوقع الكثيرين فى الحكم بأن والـدى المصطفى ﷺ فى النار، نعوذ بالله سبحـانه وتعالى من هذا القول الشنيع ونستغفره سبحانه وتعالى ونتوب إليه .

رابعاً : علينا أن نسلك فى مثل هذه الأمور ما سلكه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الـدين وأن نكف عن لغو القول وسوء الخصام وأن نحفظ أنفسنـا من الوقوع فى الزلل والبهتان .

يا والدَى المصطفى

قال العلامة السيد محمد أمين كتبى ، فى الأبوين الكريمين :

يـــا والـــد المصطفى نلت الكمـــالات
وجئت بـــالخيـــر للمـــاضى ولـــلآت

مـا مثل ما نلت من فضل وقـد جمعت
لك المفـــاخـر بـــابن كـاملِ الـــذات

لقــــد سمــوت علـى الآبــاء منقبـــة
كبـرى وذكـــراً جميـلاً فـى السمـوات

يـــا بعل آمنـــة من خُصِّصَت شـــرفـــاً
حمـــاكمـــا الله عـن كل الخطيئـــات

آمنتمـــــا بـــرســـول الله معجـــزة
وأنتمـــا الآن فـى فـــردوس جنـــات

وقـــد رأيت السيـــوطىّ الإمـــام بنى
بيتـــاً من العلم من أقـــوى الـروايـــات

وقـــال : إن نجـــاة الـوالـــدين غـــدت
حقـــاً بتحقيـق ســـادات و إثبـــات

فـانظـــر رسـائلـه إن شئـت تلف بهـا
نـــور اليقيـن على تلك الـــرســـالات

وذاك معتقــدى حقــاً ومستنــدى
مــدعمــاً بأحــاديثٍ وآيــات
والمصطفى مَعَ بِــرّ الــوالــدين لــه
أعلى المنــاصب فى كل المقــامات
يــابعل آمنـــةٍ وهى التى نظــرت
نــور الشــآم على بعـد المســافـات
من كـان أهـدى إلـى الأديـان مكْرُمـة
فأنــت أهــديتهم أسنى الهــديــات
أبشـــر فإن عطـــاء الله ليس لـــه
حـــد ويأتى بـأنـــواع المســـرات
وأنــت أولى بفضـل الله مـن بشــــر
لم يبلغــوا بعض هـاتيك المــزيـات
وهكـــذا أم خيــر الخلق فهْى لهــا
حق التقـــدم فـى كل الفضيـــلات
يــابنت وهب ملكت الخيـر أجمعــه
بــوضع من جــاء بـالسبع القــرآءات
وجــاء بـالمعجــزات الجُمِّ أيسـرهــا
نبع الميـــاه وتسليم الجمـــادات

وطـــاف كل سمـــاء وارتقى فـــرأى

وكلم الله فـى ليل المنـــاجـــات

هــذا هــو الحق مــا للشك فيــه إذًا

من ملجـإٍ عـــاصم أو مــن مغـــارات

يـــامن رأى ليلـــة الإثنين رافلـــة

من وضعــه فى ثيــاب سنــدسيــات

يـــامن رأى ليلــه الإثنيــن حــاليـــة

من ذكـــره بعقــود جـــوهــريـــات

يـــامن رأى ليلــة الإثنيــن خـــالـــدة

بيمن طـــالعهـــا بيــن البـــريـــات

يا أشـرف الخلق قد فقت الـورى نسباً

أبـــاً وأمـــاً وأجـــداداً وجَـــدَّات

لبَيّت فى صلـب إليـــاس وكـــان لـــه

بـــذاك ذكـــر جميل فى السيـــادات

أَهْـدى إلى البيت بُـــدْنـا وهْـو أول من

أهـــدى ففـــاز بفضل الأسبقيـــات

****

حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وحفظ جسمه من الآفات الأرضية ونحوها

كتب فى هذا البحث الإمام الحافظ الفقيه ابن حجر الهيثمى، قصيدة غراء، وشرحها العلامة محمد حبيب الله الشنقيطى. شرحاً موجزاً[1]، ذكرنا أكثره بعد القصيدة.

أما القصيدة فهى:

تواترت الأدلة والنقول ... فما يُحْصِى المصنِّف ما يقول
بأن المصطفى حيٌّ طَرِيٌّ ... هلال ليس يَطْرُقه أفولُ
وأن الجسم منه بقاع لحدٍ ... كوردٍ لايُدنِّسه الذُّبول
وأنَّ الهاشمي بكل وصفٍ ... جميلٍ لا يغيره الحلول
وأن الدود لا يأتى إليه ... كذا الآفاتُ ليس لها وصول
ولم تأكل له الغبراء لحماً ... ولا عظماً، وأُثْبِتَ ما أقول
وتأتيه الملائك كل وقت ... تحييه، وتسمع ما يقول
وتأتيه بأرزاق حسانٍ ... وبرٍّ حيث يأمرها الجليل
وصومٌ ثم حجٌ كل عام ... يجوز عليه بل لايستحيل
ويطهر للصّلاة بماء غيب ... ويقضيها بذا ورد الدليل
يصلى فى الضريح صلاةَ خمس ... دواماً لا يَمَلُّ ولا يميلُ
كذا الأعمال تعرض كل يوم ... عليه كى يُسَرَّ بها الرسول

---

(١) قامت مكتبة دار جوامع الكلم بطباعة هذه الرسالة تحت عنوان دافعة الشقاق والخلاف فى حياة الأنبياء فى قبورهم.

فإن كـانت صلاحـاً قام يـدعو إلى المـولى ليقبلَ مـا يقـول
وإلاّ غيـر ذلك فهـو يـدعـو ليغفـرهـا وقـد صفح الجليل
وبقعتـه التى ضمتـه حقـاً ريـاض من جنـان تستطيل
كذا اللحـد الذى ضم الطَّوايا تشـرف حين حل بـه النـزيل
وأفضل مـن سمـوات وأرضٍ وأمـلاك بأفـلاك تجـول
ومن عـرش ومن جنـات عـدنٍ وفـردوس بهـا خيـر جـزيل
وفى القبـر الشـريف تـراه حيـاً إلى كل البقـاع لـه وصـول
وكل الأنبيـاء كـذاك حقـاً بأجـداث لهـم ظل ظليـل
ولم تعلـم مقـابـرهـم بأرض يقينـاً غيـر مـا سكن الـرسول
وفى حَبْـرون أيضـاً ثَمَّ غـارٌ بـه رسل كـرام والخليل
ولـولا أنـه حى حَـرِىٌّ بإدراك كمـا نقـل الفحـول
لما سعـت الشمـوس إليـه حقاً تسلم حيـن تطلع أو تـزول
ومـا كـان الحجيج إليـه يسعى ويـرجـو أن يكـون لـه قبُـول
كذاك النـوق فى الـوادي ينادى لها الحادى وطـاب لها المقيل
تمـد رقـابهـا شـوقـا إليـه وأدمعهـا كسيل إذ يسيـل
ويلقـاهمُ إذا وفـدوا عليـه وينظـرهم إذا ازدحم القُفـول
ويسمعهم إذا صلـوا عليـه بأذْنيـه فقصـرْ يـا ملـول
ومن لـم يعتقـد هـذا بطـه يقينـاً فهـو زنـديق جهـول

عُبيُـــــدٌ هيتمى مستجيـــــر   بمن حُطَّتْ بسـاحته الحمـول
عليــــه الله صلـى كل وقـت   مـدى الأيـام ما شُـدتْ حمـول
وآلٍ والصحـــابــة مـــا تــدانى   من الأقطـــار سيـل إذ يسيل

****

شرح قصيدة ابن حجر الهيتمى

فى إثبات حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

شرح هذه القصيدة العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى، وقد قرأت شرحه هذا، واستفدت منه هذه الفوائد الآتية:

قوله: (الـذُّبول) أى الجفاف واليبس على طول الزمـان. وقوله (وأُثِبتَ ما أقول) أى ثبت قولى بالأحـاديث الصحاح. كما أخرجه النسائي فى سننـه فى «كتاب الجمعـة»، فقد روى النسـائي هنا، عن أوس بن أوس أن رسول الله عليه الصـلاة والسلام قال: (إن الله عـز وجل قـد حـرم على الأرض أن تـأكل أجسـاد الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام).

وأخرجه ابن ماجه فى سننه فـى باب ذكر وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ورواه أيضًا فى كتاب الجمعـة عن شداد بن أوس عنه عليه الصلاة والسلام، ورواه غيرهما كأبى داود.

وقد جاء فى حياة الأنبياء أحاديث كثيرة من جملتها أنه ﷺ رأى موسى يصلى فى قبره، وغير ذلك.

قوله : (وتأتيه بأرزاق) أى لأنه جمع له بين الشهادة والنبوة لأنه ثبت عنه أن أكلة خيبر كانت سبباً لشهادته ﷺ مع كون حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى قبورهم أعلى من حياة الشهداء، وقد قال تعالى: «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون» والرزق ليس مقصوراً على رزق الحياة الدنيا، وإلى كونه مقتولاً بالسم يشير قوله تعالى: «أفإن مات أو قتل» : الآية» ففيها إشارة إلى أنه إن كان مات على فراشه بحسب الظاهر فهو مقتول بحسب الواقع فى نفس الأمر.

قوله : «وصوم ثم حج : البيت» أى لما ثبت من حياته هو وغيره من الأنبياء فى قبورهم حياة حقيقية بأبدانهم [1] ، ولا يلزم من ذلك أن تكون أبدانهم محتاجة إلى الطعام والشراب الدنيويين، لأن

الكلام على الحياة البرزخية وحياة الأنبياء فى قبورهم

يخطىء كثير من الناس فى فهم المراد بحياة الأنبياء فى قبورهم فيظنون أنها كحياتنا التى نعيشها فى هذه الدنيا ومن هنا يأتى اللبس والإنكار والاعتراض . وإننا إذ نقرر هذه المسألة نقول :

أولاً : ما معنى الموت ؟

يظن الكثيرون أن معنى الموت هو عدم الحياة وأن الميت معدوم أو عدم قد بلى ولا وجود له ومن هنا جاء التخليط والتخبط وسوء الفهم ، والحقيقة أن هذا الفهم من الناحية الشرعية الثابتة بالنص القاطع خطأ محض ... !!

فمفهوم الموت شرعاً أمر وجودى لا عدمى لقوله تعالى : « الذى خلق الموت والحياة ... » الآية فالموت مخلوق وهو أمر وجودي لا عدميّ، وحقيقة الموت هى انتقال من عالم إلى عالم ومن حياة إلى حياة، وتبديل نشأة بنشأة كما قال تعالى : ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ﴾ . =

= وقد تكون الحياة بعد الموت أكمل وأتم وإلى هذا يشير ما يروى عن الإمام على (كرم الله وجهه) بقوله :

« الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » .

ثانيا : وهذه الحياة التى بعد الموت هى ما يسمى بالحياة البرزخية ، وهى عامة لكل الناس مسلمهم وكافرهم ، طائعهم وعاصيهم وإن بليت أجسامهم وفنيت أجسادهم .

وعلى هذا فهي تكون :

للأنبياء ، كما أشار إلى ذلك حديث مسلم الذى رواه أبو هريرة وذكره المؤلف وحديث مسلم كذلك الذى رواه أنس بن مالك فى حياة سيدنا موسى عليه السلام وأنه قائم يصلى فى قبره وغير ذلك من الأحاديث .

وللشهداء ، كما صرح قوله تعالى ﴿ ولا تقولوا لِمَنْ يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ وإذا كان هذا فى الشهداء فالأنبياء أعلى منزلة وأكمل حياة من الشهداء ، وللكفار : يحدثنا القرآن الكريم عن قوم فرعون فيقول : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ ، وللعصاة والمذنبين : فقد أخرج البخارى (رضى الله عنه) : أن النبى ﷺ مر بقبرين فأخبر أنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير » الحديث . وهل يعذب من ليس فيه حياة؟ .

ثالثاً : تعلق الروح بالبدن فى البرزخ نوع آخر من التعلق مغاير للتعلق الدنيوى مغايرة كلية يكون من قبل الروح لا من قبل البدن ، أى أن البدن فى هذا الموطن لا يقتضيه كما اقتضاه فى الدنيا ، ولذا كان غير مشروط بالبنية والتأليف ولا بتلك الآلات والقوى وما يتبعه من الحياة كذلك ، ومن تأمل كيف أنشأ الله الجنين فى بطن أمه وكيف أعده لتعلق النفس به . . الخ عرف أن التعلق البرزخى وآثاره مغاير للتعلق الدنيوى وأن هذه النشأة على عكس النشأة الأولى ، فهو تعلق روحانى محض مهما كان البدن بقى أو تفرق ، قرب أو بعد فعند اتصال الروح به يحيا حياة برزخية يشعر بواسطتها بنعيمه أو بعذابه ، فالنعيم والعذاب لابد أن يقعا على حى شاعر حياة وشعوراً لائقين به وبموطنه الخاص . (راجع المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية) محمد حسنين مخلوف . =

= رابعــاً : إذا كانت الحيــاة البرزخيــة عامــة لكل الناس مسلمهم وكــافرهم ، طــائعهم وعاصيهم ، فإن حيــاة كل نوع تغاير النوع الآخــر فهى حياة متفاوتة ففى الأنبيــاء أتم منها فى الشهداء وفى الشهداء أتم منها فى غيرهم على تفاوت فى ذلك الغير لكنهم جميعاً يشتركون فى وصف الحيــاة، وهذه الحياة حيــاة حقيقية فى كل نــوع وإن كنا لا نحس بهــا لأن البرزخ شىء آخر بمعزل عن أذهاننا وإدراكنا ، وقــد جعل الله أمر الآخرة وما يتصل بها غيباً ، يتضح هذا عند قراءة قوله تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾ فــالملك ينزع الروح من الميت ويخــاطبه والحاضــرون لا يرون ولا يسمعون .

خامساً : ما يمتاز به الأنبياء فى حياتهم البرزخية

١ـ لا تأكل الأرض أجسادهم (كما ورد فى الأحاديث الذى ذكرها المؤلف) .

٢ ـــ حياتهم أكمل وأفضل وأقــوى من حياة غيــرهم وأن مــوتهم إنما هــو راجع إلى أنهم غيبوا عنا بحيث لاندركهم ، وإن كانوا موجودين أحياء .

سادساً : قد يكشف الله لمن يشاء من عباده عن بعض أســرار هذه الحياة البرزخية ، فقد ذكــر ابن تيمية الحــرانى : أن سعيد بن السيب كــان يسمع الأذان لكل وقت بأذنيه من القبــر الشريف زمن وقعة الحرة ، لأنه مكث فى المسجــد ثلاثه أيام لا يستطيع الخروج . . إلى غير ذلك مما رآه وسمعــه الأولياء الصــالحون وقد ذكــر العلماء من ذلك الكثيــر والكثير . [راجع الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية] .

ذلك عادى لا عقلى، فالملائكة عليهم السلام أحياء ولا يحتاجون إلى الطعام والشراب وليسا مقصورين أيضًا على طعام الدنيا وشرابها.

قوله: «ويقيضها» أى الصلاة، أى يؤديها تلذذاً بها لا وجوبًا عليه. وقوله: «يصلى فى الضريح صلاة خمس» وليست الصلوات الصادرة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد موتهم على سبيل التكليف، بل على سبيل التلذذ بها، فيصير ذلك من جملة النعيم لهم، وفى صحيح مسلم مرفوعاً: «إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس».

قوله: «كذا الأعمال تعرض كل يوم: البيت» يشير به إلى أحاديث وردت فى ذلك منها: ما أخرجه ابن سعد فى طبقاته عن بكر بن عبد الله المزنى مرسلاً: «حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنت مت كانت وفاتى خيراً لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم»[1] اهـ.

---

(١) حديث عرض الأعمال على النبى ﷺ

قال الحافظ ابن حجر الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ٢٤ عن هذا الحديث رجاله رجال الصحيح، وهذا الحديث رواه البزار فى مسنده كما فى كشف الأستار ١/ ٣٩٧ بإسناد رجاله رجال الصحيح، وقال السيوطى فى الخصائص ٢/ ٢٨١ سنده صحيح وقال الحافظان العراقيان - الزين وابنه ولى الدين - فى طرح التثريب (٣/ ٢٩٧) إسناده جيد، ورواه ابن سعد بإسناد حسن مرسل (كما ذكر المؤلف) وصنف الشيخ عبد الله الغمارى رسالة فى بيان صحته، لكن ادعى بعض المعاصرين ضعف هذا الحديث لأنه يعارض حديثاً آخر فى الصحيح وهو: « يذاد عن الحوض أقوام يوم القيامة فأقول يارب أمتى، فيقال لى: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك: فأقول: سحقاً لمن بدل بعدى » رواه البخارى.

أجاب عن هذا التعارض المزعوم الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ١١/ ٣٨٥، فقال: إن الذين يذادون هم المنافقون والمرتدون فهؤلاء لا تعرض أعمالهم عليه فى الدنيا لخروجهم من أمته حقيقة فبهذا يجمع بين الحديثين وينتفى التعارض.

قال العزيـزى فى شرح الجامع الصغير، وذلك فـى كل يوم كما ذكـره المؤلف، وعـده من خصوصيـاته، وتعـرض عليه أيضـاً مع الأنبياء والآباء يوم الاثنين والخميس ا هـ بلفظه.

قال الحفنى فى حاشية الجامع الصغير فى معنى: تحدثون إلخ أى تذكرون لى ما يشكل عليكم، ويحـدث لكم أى يذكر لكم من قبلى ما يزيل عنكم، ا هـ المراد منه.

قولـه: (رياض) لما صحَّ عنـه (القبر روضة من ريـاض الجنة) الحديـث، وإذا كان كذلك فبقعتـه التى ضمت جسده الشـريف رياض من جنات إلخ كما قال الناظم (رحمه الله تعالى).

قوله (وأفضل من سموات وأرض . . . البيت).

قـال القسطـلانى فى المـواهـب اللـدنيـة: «وأجمعـوا على أن الموضع الذى ضم أعضاءه الشريفة ﷺ أفضل بقاع الأرض، حتى موضع الكعبة، كمـا قاله ابن عساكر والبـاجى والقاضى عياض، بل نقل التـاج السبكى كما ذكـره (السيـد السمهودى فى «فضـائل المـدينـة») عن ابن عقيل الحنبلى أنهـا (أى البقعة التى قُبـر فيهـا رسول الله ﷺ) أفضل من العرش، وصرح الفاكهانى بتفضيلها على السموات، ولفظـه، وأقول (أنـا): وأفضل من بقاع السمـوات ثم قال: ولا أرى من تعرض لذلك، والـذى أعتقده أن ذلك لو عرض على علمـاء الأمـة لم يختلفوا فيـه وقـد جاء أن السمـوات شـرفت

بمواطىء قدميـه، بل لو قـال قائل: إن جميع بقـاع الأرض أفضل من جميع بقاع السموات لتشرفها بكونه ﷺ حالاً فيها لـم يبعد، بل هـو عندى الظـاهـر المتعين» اهـ وحكـاه بعضهم عن الأكثـرين لخلق الأنبياء منهـا، ودفنهم فيها، ثم قـال بعد ذكـر الخلاف فى ذلك، أى (مـا عـدا مـا ضم الأعضـاء الشـريفة). قـال شـارحـه (الزرقانى): فإنه أفضل إجماعًا، وإلى ما ذكره أشار بقوله:

جـزم الجميـع بأن خيـر الأرض مـا
قـد حـاط ذات المصطفى وحـواهـا
ونعم لقـد صـدقـوا بسـاكنهـا علت
كـالنفس حين زكت زكى مأواهـا (١)

---

(١) أفضلية البقعة التى ضمت أعضاءه الشريفة ﷺعلى ما عداها من البقاع.
أولاً يجب التنبيـه إلى أن أفضليـة هذه البقعـة بـاعتبـار السـاكـن فيها ﷺ لا لـذاتهـا حتى يفهم المعترض مـاساقـه المؤلف من نقول أكـابر العلمـاء بشأن أفضليتها على جميع البقـاع حتى موضع الكعبة والسموات، والعرش وغير ذلك، وما نقله ابن القيم فى بدائع الفوائد يوضح هذا، فقد نقل عن ابن عقيل من كبار أئمـة الحنابلة أنـه سئل أيهما أفضل حجرة النبى ﷺ أو الكعبـة؟ فقال: ان أردت مجرد الحجرة فـالكعبة أفضل وإن أردت وهو فيها فلا والله لا العرش وحملتـه ولا جنة عدن ولا الأفلاك الـدائرة لأن بالحجـرة جسـداً لو وزن بالكـونين لـرجح». [انظر بدائع الفـوائد جـ ٣ ص ١٦٨ ط القاهرة].
ثانيا: جاء فى كتاب عـدة الأنابة فى أماكن الإجابة [مخطوط ـ بمكتبـه الأزهر] للعارف بالله عبد الله بن إبراهيم ميرغنى الحسينى.
أن الإمام الشافعى رضى الله عنه والدارقطنى قـالا عن حديث أصحاب السنن: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خـرجت» هذا الحديث يدل على فضل مكة على سائر البقـاع إلا ما ضم أعضاءه الشريفة ﷺ فإنه أعظم منهـا بالإجماع بل ذلك أفضل من العرش وما حواه بلا نزاع.
هذا وقد نقل القاض عياض فى الشفا الإجماع على ذلك.

قوله : «وفى القبر الشريف تراه حياً» فمن جملة أدلة ذلك ما رواه البيهقى فى كتاب «الأنبياء» وصححه من حديث أنس رضى الله عنه أنه ﷺ قال : «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» كذا رواه أبو يعلى والبزار وابن عدى وقد ألف البيهقى كتاباً عظيماً فى حياة الأنبياء ، جمع فيه أدلة كثيرة صريحة فيما أشار له العلامة ابن حجر فى هذه القصيدة من «حياة الأنبياء» وسائر تصرفاتهم فى قبورهم ، وللجلال السيوطى رسالة فى ذلك سماها «إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء» وقد طبعت بمطبعة هندية وهى فى خزانتى حرسها الله (١) .

قال القسطلانى فى المواهب اللدنية : ولاشك أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة مستمرة ، ونبينا ﷺ أفضلهم (أى بالنصوص والإجماع) و إذا كان كذلك فينبغى أن تكون حياته أكمل وأنعم من حياة سائرهم ا هـ قلت : ولا سيما إن نظرنا إلى كونه قتل بسم اليهودية . كما صح عنه عليه الصلاة والسلام .

قوله : (وكل الأنبياء كذاك حقاً) .

التشبيه فى كونهم أحياء يصلون فى قبورهم مثل نبينا محمد ﷺ لأنهم جميعاً عليهم الصلاة والسلام أحياء فى قبورهم ، ففى

---

(١) وهذه الرسالة أيضا طبعت فى مصر بـ مكتبة عالم الفكر ميدان سيدنا الحسين بتحقيق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود .

صحيح مسلم عن النبى ﷺ مـن روايـة أبي هـريـرة رضى الله عنـه قال: «وقد رأيتنى فى جماعـة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى، فإذا رجل ضرب جعد كأنه مـن رجال شنوءة، وإذا عيسى بن مريم عليه السـلام قائم يصلى أقـرب الناس بـه شبهـاً عروة بن مسعـود الثقفى، وإذا إبـراهيم عليـه السـلام قائم يصلـى أشبه النـاس بـه صاحبكم» [يعنى نفسه] فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة قال لى قائل يامحمد: هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فنادانى بالسلام اهـ.

وأخرج مسلم فى باب فضائل موسى عليه السلام من رواية أنس ابن مالك رضى الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: مررت على موسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره». وفى رواية لمسلم عن أنس أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت على موسى وهو يصلى فى قبره» اهـ.. إلى غير ذلك.

قوله: «وفى حَبْرون» بفتح الحاء المهملة ثم موحدة ساكنة وهى بلدة إبـراهيم الخليل عليه الصـلاة والسلام، وكـونه عليـه الصلاة والسلام هـو وابنه إسحاق وابنـه يعقوب وابنه يـوسف عليه وعليهم الصـلاة والسلام فى داخل الـدائر الذى بنـاه عليهم سليمان عليـه الصلاة والسلام فى الغار الـذى فى وسط مسجد الخليل الآن وهو محقق كما جزم به ابن الحاج فى المدخل وجزم به غيره أيضاً.

قولـه : «لما سعت الشموس» أى العلماء بشـد رحالهم لزيـارته عليه الصلاة والسلام ، فالعلماء هم الشموس الساعية إليه بعد موته ﷺ .

قوله (وينظرهم إذا ازدحم القفول) .

وذلك كمـا قالـه القسطلانـى وغيره : «عبـارة عن إقبال خـاص والتفات روحـانى يحصل من الحضـرة النبوية إلـى عالم الـدنيا ، وقوالب الأجسـاد الترابية ، وتَنَزُّل إلى دائرة البشـرية ، حتى يحصل عند ذلك رد السلام ، وهذا الاقبال يكون عـاماً شاملا حتى لو كان المسلمون فى كل لمحة أكثـر من ألف ألف لوسعهم ذلك الإقبال النبوى والالتفات الروحانى ، ولقد رأيت من ذلك ما لا أستطيع أن أعبر عنه ا هـ بلفظه .

****

«مس الشباك النبوى والتمسح به»

ينبغى للـزائر أن لا يقبل القبر الشـريف ولا يمسحه بيـديه، ولا يلصق بطنـه وظهـره بجـداره أو بـالحاجـز المستـور بـالكسـوة أو الشباك، فإن كل ذلك مكروه، لما فيه من استعمال خلاف الأدب فى حضرته ﷺ، وقصد التبرك لاينفى الكراهة، لأنه جهل بما يليق من الأدب، ولا اغترار بمـا يفعله أكثر العوام، فإن الصـواب الذى قـالـه العلماء وأطبقـوا عليـه خـلافـه، كما صـرح بـه النـووى فى إيضاحه.

وأطـال ابن حجر فى المنح والجـوهر ، فى تـرجيحه، قـال في الإحياء: «مس المشاهد وتقبيلها عادة اليهود والنصارى» ا هـ وذكر سيدى عبد الوهاب الشعرانى ما يوافق ذلك.

وعن الزعفـرانى: أن ذلك من البدع التى تنكـر شرعـاً، فحينئذ يكون الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر فى حياته ﷺ وهذا هو الصواب المعتمـد كما تقدم، فلا تغتـر بالجهلة العـوام الذين يفعلون خلاف ما ذكرناه، بل اتبع الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ، والأدب فيما وافق الشرع لا فيما أحدثه الإنسـان من غير أن يشمله دليل شرعى، هذا وكالقبر الشريف فى جميع ذلك مشاهد الأنبياء والأوليـاء.

نعم . إن غلبه حال صحيح أو وجد صادق فلا كراهة فى جميع ما يصدر عنه اعتراض عليه ، فمن كان له فى ذلك قصد صالح ، وحمله عليه فرط الشوق والحب الطافح ، جاز له ذلك ، سيما لمن هو على قدم الوقوف فى مقام الخضوع والإنكسار، ورفع الأكف بالذل والافتقار، إذ كما يطلب الخضوع بالقلب يطلب كذلك بالجوارح .

وإن تمريغ الخد والوجه واللحية بتراب الحجرة الشريفة وأعتابها فى زمن الخلوة المأمون فيها توهم عامى محذوراً شرعياً يسببه أمر محبوب حسن ، فلا اعتراض على فاعله فقد تغلب المحبة والشوق على بعض الناس فترفع الحجب عن نظره وبصره فيكون كالمشاهد لوجهه المكرم ﷺ المماس لحبيبه حتى يخرجه ذلك عن قياس العادات إلى حقائق النازلات ، أذاقنا الله سبحانه وتعالى ذلك والمحسنين إلينا وذرارينا بمنه وجوده وكرمه آمين .

وعلى ذلك يحمل ما جاء عن بلال (رضى الله عنه) من أنه لما زار النبي ﷺ قادماً من الشام جعل يبكى ويمرغ وجهه على القبر المعظم .

وعن ابن عمر (رضى الله عنه) أنه وضع يده اليمنى عليه ، وعن أبى أيوب الأنصارى (رضى الله عنه) أنه التزمه ووضع وجهه عليه .

وعن فاطمة (رضى الله عنها) أنـه ﷺ لما دفن أخذت قبضة من تراب قبره الشريف وجعلتها على عينهـا وبكت وقال منشدة هذين البيتين :

مـاذا على من شم تـربـة أحمـدٍ أن لايشم مـدى الـزمـان غـواليـا
صبت عليّ مصـائب لــو أنهـا صُبّت على الأيـام عـدن ليـاليـا

وقد وضع الشيخ الإمام السبكى وجهـه على بساط دار الحديث التى مستهـا قدم الإمام النـووى (رحمه الله تعـالى) كما أشـار إلى ذلك بقوله :

وفى دار الحــديث لطيف معنى إلى بســط لهــا أصبــو وآوى
لعلى أن أنـــال بحــــرّ وجهى مكــانــاً مسه قــدم النَــواوى

وكان سيدى العارف بالله «الحســن البكرى» يمرغ وجهه ولحيته على البيت الحرام، وبحجـر إسماعيل، ونحـو ذلك. قال بعض العلماء: وجواز هـذا بحسب حال الفاعل ـ كمـا رأيت ـ فإن أهل الأدب يعرفون الأدب، وغيرهم ينبغى لهم الزجر عن هذا.

لكن قال الحـافظ ابن حجر (رحمـه الله): استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأســود جواز تقبيل كل ما يستحق التعظيم من آدمى وغيره. فأما تقبيل الآدمى فمعلوم من «كتاب الأدب» وأما غيره فقد سئل أحمد بن حنبل (رحمه الله) عن تقبيل منبر النبي ﷺ

المنيف وقبره الشريف، فلم ير فى ذلك بأساً، وذكر الخطيب ابن جملة: أن عبد الله بن أحمد بن حنبل (رضى الله عنه) قال: سألت أبى عن الرجل يمس منبر النبى ﷺ ويفعل بالقبر مثل ذلك، يريد بذلك التقرب إلى الله تعالى، فقال: لا بأس بذلك .

ونقل عن أبي الصيف اليمنى (أحد علماء مكة المشرفة) من علماء الشافعية: جواز تقبيل المصحف، وكتب الحديث، وقبور الصالحين، وقول هؤلاء كلهم أعنى الحافظ ومن بعده صريح فى جواز هذا من كل أحد.

نعم قولهم المذكور بالجواز، لا ينافى الكراهة فإنه يجوز فعل الشيء وهو مكروه [١]، وقصد التبرك والاستشفاء لاينفى الكراهة لأنه جهل بما يليق من الأدب كما علمت.

فلا عبرة بذلك القصد فى نفى الكراهة زجراً لهم عن التهجم علي مقامه ﷺ بما لم يؤذن لهم فيه. فثبت بهذا أن قول هؤلاء المذكورين محمول أيضاً على من به استغراق فى المحبة وشدة الشوق فى الذى يحمله على ذلك، فإن الشغف الذى يحصل

---

(١) يقصد المؤلف (أكرمه الله) بهذا أن القائلين بالكراهة ليس لذات الأمر فى نفسه وإنما لما يقع بسببه من سوء الأدب وما لا يليق من الجهلة والعوام فإذا أمن هذا انتفت الكراهة وعاد الأمر إلى الجواز .

حتى للمحب قد يستغرقه يكون ما يفعله لا يلام عليه، فإنه قد تعتريه حالات لا يطيق دفعها، إلا بأن يحدث منه فعل ذلك.

ولا شك أن الاستغراق فى المحبة يحمل على الإذن فى ذلك، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم، والناس تختلف مراتبهم فى ذلك، كما تختلف فى حياته ﷺ فأناس حين يرونه ﷺ لا يملكون أنفسهم، بل يبادرون إليه، وأناس فيهم أناة يتأخرون، والكل على خير.

أفاد هذا كله السيد السمهودى فى «ذروة الوفا بما يجب لحضرة المصطفى» وابن حجر فى «الجوهر» والفاكهي فى «حسن التوسل».

****

«زيارة النبى ﷺ من أفضل الأعمال (١)
فى رأى الحافظ ابن القيم»

قال الإمام الحافظ ابن القيم في قصيدته المشهورة بالنونية :

فإذا أتينا المسجد النبوى صلّـ ـــــينا التحيـــة أولاً ثنتـــان

---

(١) قال القاضى عياض « رحمه الله » : زيارة قبر النبى ﷺ سنة مجمع عليها وفضيله مرغوب فيها . وقال بعض المالكيـة : إنها واجبـة ، لحديث ابن عمر (رضى الله عنـه) أن النبى ﷺ قال : من حج ولم يـزرنى فقد جفانى » قالوا : جفاء النبى ﷺ محرم ، وترك المحرم واجب ، اهـ وإلى هذا أميل رعاية لحق المصطفى ﷺ وتعظيماً لحرمته ، وإذا كان ﷺ شـرع وسن لنا زيارة الأموات عموماً ، فما بالك بزيـارة سيد الوجود ﷺ الذى هو سبب كل خير وجود ؟ وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد حثنا على المجىء إليه فى قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيما ﴾ فينبغى ألا ينازع أحدٌ فى شأن الزيـارة بعد هـذا ، وقد اعتـرض البعض بأن قوله تعـالى ﴿ جاءوك ﴾ خـاص بحياتـه ﷺ لأن العرب لا تقول : جاءك إلا فى حياتك ، فنقول لهم لقد ثبتت حياة الأنبياء فى قبورهم وتكلمنا عن ذلك فيما سبق ، فعلى هذا فالآية تشمل المجىء إليه حياً وميتاً ﷺ فإنه ﷺ يستغفر لأمتـه وهو فى برزخه وتعرض عليه أعمالها ـ كما سبق بيانه . . ص ٧٢ ـ وقد حكى ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير هذه الآية قصة العتبي أنه رأى اعرابيّا أمام قبر النبى ﷺ يخاطب النبى ﷺ ويتلو ويستشهد للمجىء إليه بهذه الآية الكريمة ثم يتوسل به ﷺ ويستشفع لذنبه : القصه

هذا : وإذا كانت الـزيارة مشروعة ومسنونة وهى لا تتأتـى لمن بعدت مسافته إلا بشد الرحـال فما توقف عليه الأمـر المشروع والمسنون فهو مشـروع ومسنون أيضًا وهـؤلاء الذين يحتجون بمنع الزيـارة بحديث : « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . . . » الحديث احتجاجهم باطل وفهمهم سقيم فالحديث لا يتكلم عن القبور وإنمـا يتكلم عن المساجد ، وقد كـان النبى ﷺ يركـب ناقتـه إلى مسجد قباء وهو ليس من المسـاجد الثلاثة مما يدل على ان الحديث ورد لبيان أفضلية المساجد الثلاثة ، لا للنهى عن شد الرحال إلى المساجد الأخرى ، وأيضا لو أخذنا بعموم الحديث اللفظى ، كما يفهم من يعترض على شد الرحال لزيارته ﷺ لوجب أن تتوقف سـائر المواصـلات عن العمل فى العالم كلـه إلا إلى المساجـد الثلاثـة ولا يقول بهـذا إلا من فقد عقله . ويؤيد هذا ما أخرجه الإمام أحمد فى المسند عن شهر بن حوشب قال : سمعت أبا سعيد وذكرت عنده الصلاة والسلام فى الطور فقال : قال رسول الله ﷺ : «لا ينبغي للمطى أن يشد رحاله إلى مسجد تبتغي الصلاة فيه غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى» قال الحافظ ابن حجر : وشهر حسن الحديث وإن كان فيه بعض ضعف [انظر لمزيد الفائدة كتاب المفاهيم للمؤلف ص ٢٥٩ ـ ٢٦٢ ط الرابعة] .

بتمـام أركـان لهـا وخشـوعها وحضور قلب فعل ذى الإحسان
ثم انثنيـا للـزيـارة نقصـد الـ قبر الشـريف ولو علـى الأجفان
فنقـوم دون القبر وقفـة خـاضع متـذلـل فى السـر والإعـلان
فكأنه [1] فى القبـر حـى نـاطق فـالـواقفـون نـواكـس الأذقـان
ملكتهمُ تلك المهـابة فـاعترت تلك القـوائم كثـرةُ الـرَّجفـان
وتفجـرت تلك العيـون بمائهـا ولطـا لما غـاضت على الأزمـان
وأتى المسلم بـالسـلام بهيبـة ووقـارِ ذى علم وذى إيمـان
لم يرفع الأصوات حول ضريحه كـلا ولم يَسجُـد على الأذقـان
كـلا ولم ير طـائفاً بـالقبر أسْـ بـوعـاً كأن القبـر بيت ثـان
ثم انثنى بـدعـائه متـوجهـاً لله نحـو البيـت ذى الأركـان
هـذه زيـارة مـن غـدا متمسكـاً بشـريعـة الإسـلام والإيمـان
من أفضل الأعمال هاتيك الزيا رة وهى يـوم الحشر فى الميـزان

«القصيدة النونية لابن القيم ص : ١٨١»

من آداب الزيارة النبـويه

أن لا يرفع صـوته بمسجـد رسول الله ﷺ فقـد ثبت أن المنصور أمير المؤمنين، ناظر مالكاً فيه، فقـال له : «يا أميـر المؤمنين : لا ترفع صوتك فى هذا المسجد النبوى، فإن الله تعالى أدب قوماً، فقال تعالى : ﴿**إن الذين يغضـون أصواتهم عنـد رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**﴾ الآية، وذّم قوماً فقال تعـالى :

(١) كان الأولى أن يقول : « فلأنه» لثبوت حياته ﷺ في قبره كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة.

﴿إن الـذين ينـادونك من وراء الحجرات أكثـرهم لا يعقلـون﴾ الآيـة. وإن حرمتــه ميتـــاً كحـرمتـه حيـــاً. فاســـتكان لـذلك المنصور [١].

فـانظر يـا أخى هذا الأدب العظيم من الإمـام مالك والمنصـور رحمهما الله تعـالى: وفى البخاري عـن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه أنه قـال لرجلين من أهل الطائف: لو كنتمـا من أهل البلد لأوجعتكما ضرباً ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله ﷺ.

وفى ذروة الوفـا للسمهودى، روى عن أبى بكـر الصديق (رضى الله عنه) أنـه قال: لاينبغى رفع الصـوت على النبى ﷺ لا حياً ولا ميتاً. وأن عـائشة ـ رضى الله عنها ــ كانت إذا وتد الوتـد أو ضرب المسمار فى بعض الدور المطيفة بالمسجد النبوى الشريف ترسل إليهم أن لا تؤذوا رسول الله ـ ﷺ ـ قلت: وإنما فعلت عائشة رضى الله عنها ذلك طلباً للاقتصـار على قدر الحاجة فى ذلك لأن فعل مـا زاد عليـه فى تلك الحضرة الشـريفـة ليس من الأدب وهـو ﷺ يتأذى ممن لا يرعى كمال الأدب معه لأنه حى فى الدارين.

---

(١) وبقية الحوار كما رواه القـاضي عياض (فى الشفا): «وقال يا أبا عبـد الله استقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ فقال: ولم تصرف وجهـك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليـه السلام إلى الله تعالى يوم القيـامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ الآية [الشفـا بتعريف حقوق المصطفى جــ ٢ ص ٣٥ ط دار التراث] وهذه القصـة ذكرها أيضـاً الإمام السبكى فى شفاء السقـام والسيد السمهودى فى خـلاصة الوفـا والمحدث القسطـلانى فى المواهب اللدنيـة وابن حجر الهيتمى فى الجوهر المنظم وقال: «رواية ذلك عن مالك جاءت بالسند الصحيح الذى لا مطعن فيه. وقال الخفاجى فى نسيم الرياض: «فى هذا رد على ابن تيمية فى قوله: «إن استقبال القبـر الشريف فى الدعاء أمر منكر لم يقل به أحد ولم يرو إلا فى حكايـة مفتراة على مالك [يعنى هذه القصة] وأنها كـذب محض مجازفة من ترهاته وقـوله: «لم ينقل ولم يرو باطل فإن مـذهب مالك وأحمـد والشافعى (رضى الله عنـه) استحباب استقبال القبـر الشريف في السـلام والدعـاء وهو مسطر فى كتبهم وصرح به النووى فى أذكاره وإيضاحه [نسيم الرياض جـ٣ ص ٤٠٣، ٤٠٤ ط المشهد الحسينى].

تخصيص الزائرين بشفاعة خاصــة

«من زار قبرى وجبـت له شفاعتى» رواه ابن عـدى والبيهقي عن ابن عمــر (رضى الله عنهمـا) وروى البيهقـى عن أنس (رضى الله عنـه) «من زارنى بـالمدينـة محتسبـاً كنت لـه شهيداً وشفيعـاً يـوم القيامة».

معنى وجبت له شفاعتى : أى حَقَّتْ وثبتت ولزمت له شفاعتى، أى سؤالى الله تعـالى أن يتجاوز عنه. قـال السبكى : يحتمل كون المراد بخصـوصه بمعنى أن الـزائرين يخصون بشفـاعة لا تحصل لغيـرهم عمومـاً ولا خصوصـاً، أو المـراد: يفردون بشفـاعة عمَّـا يحصل لغيرهم، ويكـون إفرادهم بذلك تشريفـاً وتنويهاً بهم، أو المراد: ببركة الزيارة يجب دخولهم فى عموم من تنالهم الشفاعة، وفائدة البشرى أن يموت مسلماً.

والحاصل أن فائدة الزيارة: إما الموت على الإسلام مطلقاً لكل زائر.

وإما: شفاعة تخص الزائر أكثر من العامة.

وقولـه: شفاعتى، بـالإضافـة إليه تشـريف له ﷺ إذ المـلائكة وخـواص البشـر يشفعـون، وللزائر نسبـة خـاصـة فيشفع ﷺ فيـه بنفســه. وقـولـه ﷺ فى الحـديث الآخــر: «من زارنى بـالمـدينـة محتسباً» - أى فى حياتى وبعد وفاتى متحسباً أى ناوياً بزيارته وجه

الله وثوابـه ـ كنت لـه شهيداً وشفيعـاً ـ أى شهيـداً للمطيع ، شفيعاً للعـاصى ، وهذه خصـوصيـة زائدة على شهادتـه ﷺ على جميع الأمم ، وعلى شفاعته العـامة ، قال العلماء : وزيـارة قبره الشريف ﷺ من كمـالات الحج ، بل زيـارتـه عنـد الصوفيـة فـرض [1] ، وعندهم الهجرة إلى قبره ﷺ ميتاً كهى إليه حيًّا .

قال الحكيم الترمذي : زيارة قبر المصطفى ﷺ هجرة ، فحقيق ألاّ يخيب زائريه ، بل يوجب لهم شفاعة تقيم حرمة زيارتهم .

---

(١) لأن ترك الزيارة عندهم جفاء والجفاء لـه ﷺ محرم وترك المحرم فرض ، وهذا ليس بحاجة إلى نص من كتاب أو سنة كما يريد أهل الجفاء ويرحم الله القائل :

إليك و إلا لاتشد الركائب * وعنك و إلا فالمحدث كاذب

هذا وقد ذهب بعض الفقهـاء المالكية إلى وجوب الزيارة لـه ﷺ كما هو مبين فى بعض كتب المناسك المطولة وقد أشار القاضى عياض إلى ذلك فى الشفا .

عقد لذلك الإمام الزركشى فصلاً خـاصاً، وقد اختصرته وذكرت منه المهم الأقرب إلى الموضوع والصحة فى هذه المسائل :

الأول : أنـه أنشـأ أصل مسجـدهـا علـى يـد سيـد المـرسلين المهـاجرون الأولـون والأنصار المتقـدمون خيـار هذه الأمـة، وفى ذلك من مزيد الشرف على غيره ما لا يخفى.

واشتمالهـا على بقعة هى أفضـل بقاع الأرض بالإجمـاع، وهى المـوضع الـذى ضم أعضاء النبى ﷺ، حكى الإجمـاع القـاضي عياض وغيره، وفى ذلك قال بعضهم :

جزم الجميع بأن خير الأرض ما   قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت   كـالنفس حين زكت زكى مأواهـا

الثاني : تحريم صيدها وشجرها على الحلال والمحرم كمكة، خلافاً لأبى حنيفة لقوله : ﷺ : إن إبراهيم حرم مكة، وإنى حرمت المدينة. (مابين لابتيها لايقطع عضـاهها، ولا يصاد صيدها) رواه مسلم.

الثالث : يحرم نقل تـراب حرم المـدينة أو أحجـاره إلى الخارج عن حرم المدينة، وهذا مبنى على عموم تحريم ما بين لابتيها.

الرابع : يستحب المجاورة بالمدينة لما يحصل فى ذلك من نيل الدرجات، ومزيد الكرامات .

الخامس : أن الصلاة فى مسجد النبي ﷺ تربو على الصلاة فى غيره بألف صلاة على ما سبق تفصيله، ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة : «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» قال النووى : وهذا التفضيل يعم الفرض والنفل كمكة .

هكذا قال في شرح مسلم، وذكر فى شرح المهذب : والتحقيق أن صلاة النفل فى بيته أفضل منْ المسجد، وأن حرم المدينة ليس كمسجدها فى المضاعفة .

السادس : أن الله سبحانه عوض قاصده عن الحج والعمرة بأمرين وعد عليهما ذلك الثواب، أما الحج، فذكر ابن الجوزى بإسناده عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : «من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فى مسجدى حتى يصلى فيه، كان بمنزلة حجة، وأما العمرة فبزيارة مسجد قباء، ففى الصحيح : «صلاة فى مسجد قباء كعمرة» .

وفى الصحيح عن ابن عباس (رضى الله عنهما) كان رسول الله ﷺ يأتى مسجد قباء راكباً، وماشياً فيصلى فيه ركعتين [وفى رواية كان يأتيه كل سبت] ويستحب ذلك .

السابع : يستحب الانقطاع بهـا ، ليحصل له الموت بهـا ، وقد كان المهاجرون إلى المدينة يكرهون أن يموتوا بغيرها ، ويسألون الله عز وجل أن يتوفاهم بها . وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطـاب أنه كان يقول : «اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك ، واجعل موتى فى بلد رسولك» .

وبوَّب عليه النووى فى الأذكار: باب استحباب دعاء الإنسان أن يكون موتـه فى البلد الشريف . وعن نافع عن ابن عمـر قال : قال رسول الله ﷺ : «من استطاع أن يموت بـالمدينة فليمت بها ، فإنى أشفع لمن يموت بهـا» رواه الترمذي وقـال : حسن صحيح غريب من هـذا الـوجـه وفى الباب عن سبيعـة بنت الحـارث الأسلميـة ، وسئل عنه الدارقطنى فى العلل الكبير فقرر صحته بما يطول ذكره .

الثامن : اختصاص أهلها بمـزيد الشفاعة والإكـرام على غيرهم من الأمم .

ففى معجم الطبـرانى من حـديـث القـاسم بن حبيب عن عبـد الملك بن عباد عن عبد الله بن جعفـر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ، ثم أهل مكة ، ثم أهل الطائف» وأخـرجه البـــزار فى مسنـــده بـالواو [1] ثم قـال :

---

(١) أى أهل المـدينـة وأهل مكـة وأهل الطـائف ، فالعطف بـالـواو لا بثم ا هـ مـالكى (المؤلف) .

وعبد الملك بن عباد لا نعلمه روى عن النبي ﷺ إلا هذا الحديث بهذا الإسناد.

وفى الصحيحين عن أبى هريرة وغيره: «من صبر على لأواء المدينة وشدتها كنت له شهيداً، (أو شفيعاً) يوم القيامة».

التاسع: وجود البركة فى صاعهم، ومدهم، ومكيالهم، لأن النبي ﷺ دعا لهم بالبركة فيه.

العاشر: تخصيصها بالبقعة التى بين القبر والمنبر ـ ففى الصحيح: «ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة».

الحادى عشر: أن الدجال لا يدخلها كما لا يدخل مكة، ففى الصحيحين من حديث أنس مرفوعاً: «إن الدجال لايطأ مكة ولا المدينة، وأنه يجىء حتى ينزل فى ناحية المدينة، فترجف ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق» وفى رواية البخاري عن أبي بكر عن النبي ﷺ: «لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان» وفى رواية مسلم عن أبى هريرة: «أن رسول الله ﷺ قال: «يأتى المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك»، وفى الصحيحين أيضاً: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة».

الثاني عشر: أن الطاعون لا يدخل المدينة، وهذا من خصائصها ففى الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» وفى رواية للبخارى من حديثه «لا يقربها الدجال، ولا الطاعون إن شاء الله». والأنقاب جمع نقب (بكسر النون وضمها) وهو الطريق على رأس الجبل، وقال الأخفش أنقاب المدينة: طرقها وفجاجها.

الثالث عشر: أنها تأكل القرى، ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهى المدينة.

الرابع عشر: أنها كالكير فى إزالة الخبث عنها، ففى الصحيحين من حديث جابر: أن أعرابياً بايع النبي ﷺ على الإسلام فأصابه وعك بالمدينة فقال: يامحمد أقلنى بيعتى، فأبى رسول الله ﷺ فخرج الأعرابى فقال رسول الله ﷺ: إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وتنصع طيبها».

الخامس عشر: أنه لايدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، كما ثبت فى الصحيح، وفى معناه قولان أحدهما:

أنـه مخصوص بمـدة حياتـه ﷺ، الثانى دائم أبـداً: ومعنى قولـه راغباً عنها أى زاهداً فيها.

السادس عشر: أنه لايريد أحد أهلهـا بسوء إلا أذابه الله فى النار ذوب الرصـاص وذوب الملح فى الماء، كمـا ثبت فى الصحيح، قال القـرطبي: ظاهره أن الله يعـاقبه بـذلك فى النار، ويحتمل أن يكون ذلك كنـاية عن إهلاكـه فى الدنيا، أو تـوهين أمره، وطمس كلمته، كمـا قد فعل الله ذلك بمن غزاها، وقـاتل أهلها، كمسلم بن عقبة، إذ أهلكه الله وصرفه عنها، وكإهلاك يزيد بن معاوية إثر إيذائه أهل المدينة، إلى غير ذلك.

السابع عشر: يستحب الصيام بالمدينة والصدقة على سكانها، وبرهم فهم جيـران رسول الله ﷺ خـاصة أهل المدينـة. وقد روى الطبرانى بإسنـاد ضعيف أنه ﷺ قال: «رمضـان بالمدينـة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان».

الثامن عشر: روى عن مالك (رضى الله عنـه) أنه كـان لا يركب بالمدينـة بغلة، فقيل له فى ذلك؟ فقال: لا أطأ راكباً مكـاناً وطئه رسول الله ﷺ ماشياً، وكان لا يرفع صوته فى مسجد رسول الله ﷺ ويقول: حـرمة الرسول حيـاً وميتاً سواء، وقد قـال تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض**﴾.

التاسع عشر: لا يجتهد فى محراب رسول الله ﷺ لأنه صواب قطعاً. إذ لا يقر على خطأ، فلا مجال للاجتهاد فيه، حتى لا يجتهد فيه باليمنة واليسرة، بخلاف محاريب المسلمين، والمراد بمحرابه ﷺ مكان مصلاه، فإنه لم يكن فى زمنه عليه السلام محراب.

تمام العشرين: يستحب الغسل لدخول المدينة، قاله أبو بكر الخفاف (من الشافعية) وصرح به النووى فى مناسكه أيضًا.

الحادى والعشرون: روى البخاري: «من تصبّح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر» قاله أبو بكر البرقانى فى مستخرجه على الصحيحين فى رواية مكى بن إبراهيم، قال هاشم: لا أعلم إلا أن عامراً ذكر من عجوة العالية. قال الحميدى: وهو من أفراد مسلم عن أبى طوالة، عن عامر بن سعد عن أبيه، أنه سمع رسول الله ﷺ قال: (من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سُم حتى يمسى، وفى لفظ للحاكم: «من التمر البرنى» وفى العلل الكبير للدارقطنى: «من أكل مما بين لابتى المدينة سبع تمرات على الريق» وفى لفظ من عجوة العالية». وفى كتاب الأطعمة لعثمان بن سعيد الدارمى من حديث شريك بن عبد الله بن أبى عتيق عن عائشة مرفوعاً: فى عجوة العالية شفاء أو ترياق أول البكر على الريق» ومن حديث

شهر بن حوشب عن أبى سعيد وأبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «العجوة من الجنة، وفيها شفاء من السم» قال الخطابي: كونها عوذة من السحر والسم إنما هو من طريق التبرك لدعوة رسول الله ﷺ التى سبقت فيها، لا لأن طبع التمر أن يفعل شيئاً من ذلك، والعجوة من أجود تمر المدينة.

الثاني والعشرون: روى بن أبي خيثمة عن يعقوب بن حميد حدثنا كثير بن جعفر بن أبى كثير عن زياد بن زيد عن سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال: «من كان له بالمدينة أصل فليمسك، ومن لم يكن فليجعل له بها أصلا ولو قصرة» قال الخطابي: القصرة النخلة، وقرأ الحسن: «إنها ترمى بشرر كالقصر» وفسروه بأعناق النخل.

الثالث والعشرون: ظاهر كلام الأصحاب استحباب صلاة العيد فى مسجد المدينة، لكن روى أبو داود وابن ماجه من حديث أبى هريرة قال: «أصابنا مطر فى يوم عيد، فصلى بنا رسول الله ﷺ فى المسجد» أخرجه الحاكم فى المستدرك، وقال: صحيح الإسناد وظاهره أنه كان يفعلها فى المصلّى وكأنه لضيق المكان عليهم.

الرابع والعشرون: روى ابن أبى خيثمة فى تاريخه الكبير، عن مالك: أن المدائن كلها افتتحت بالسيف، والمدينة افتتحت

بالإيمـان، ثم ساق بسنده إلى مـالك عن هشام بن عـروة عن أبيه عن عائشة قالت: «كل البلاد افتتحت بالسيف والرمح، وافتتحت المدينة بالقرآن».

الخامس والعشرون: نقل عن مالك: أن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة قدم إجماعهم.

السادس والعشرون: قال ابن كج: لـو نذر زيـارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفـاء بها، وجهاً واحداً، وحكى فيما إذا نـذر زيارة قبر غيره وجهان فى لزوم الوفاء، وأقره الرافعى وغيره.

السابع والعشرون: ينبغى للزائر الغريب أن يسلم على النبي ﷺ كلما دخل المسجد أو خرج، وأما أهل المـدينة فقد كره لهم ذلك مالك وغيـره، إلا إذا سافر أحـدهم أو قدم من سفر، قـال: وإنما ذلك للغرباء ـ يعنى السلام عند كل دخول وخروج.

قال الباجى: «لأن الغرباء قصدوا لذلك، وأهل المدينة مقيمون فيها، والصـواب، استحباب دخـول القريب والغـريب، فإنه ﷺ استحب السلام لكل وارد عليـه قريباً وغريباً، ومـن الأدب معاملته بذلك بعد وفاته.

الثامن والعشرون: يكـره الخـروج من مسجـد النبـي ﷺ بعـد الأذان، وهذا وإن كان عـاماً فى كل مسجد، إلا أنه يتـأكد ههنا. ففى معجم الطبرانى الأوسط من حديث عبد العزيز بن أبى حاتم،

حدثنى أبى وصفوان بن سليم عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال: قـال رسول الله ﷺ: «لا يسمع النـداء فى مسجدى هـذا ثم يخرج منه إلا لحاجة ثم لا يرجع إليه إلا منافق».

التاسع والعشرون: ليعلم المقيم بها عظم محلها، ويعتقد فيها غـاية الإجـلال والتعظيم، ويحـذر من إحـداث حـادث بها ولـو يسيراً، كمـا روى أن عبد الـرحمن بن مهدى كلمـا قدم المـدينة، ودخل المسجـد، وضع شيئاً كـان عليـه بين الصفـوف، فأمر بـه مالك فأخذ فقيل لـه: إنه فلان، فعاتبـه. وقال: أتفعل مثل هذا؟ أو مـا علمت أن النبى ﷺ قال: «من أحـدث فيهـا حدثـاً أو آوى محـدثاً فعليـه لعنة الله والمـلائكة والنـاس أجمعين» فانظـر كيف جعل مــالك رحمـه الله هـذا الفعـل اليسيـر، داخـلاً فـى عمـوم الحديث.

وجاء أنه استفتى مالك (رحمه الله) فى رجل قـال: تربة المدينة غير طيبة، أنه أفتى بضربه.

الثلاثون: ينبغى قصد المدينة للتعلم أو التعليم، ففى سنن ابن ماجه، عن أبى بكر بن أبى شيبة، حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن حميد بن صخـر عن المقبرى عن أبى هريرة قـال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من جـاء مسجدى هذا لم يأته إلا لخيـر يتعلمه أو

يُعَلِّمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره».

الحادى والثلاثون: ذكر صاحب المباهج: أن العطر والبخور يوجد لهما من التضوع والرائحة الطيبة بطيبة أضعاف ما يوجد فى سائر البلاد، وهى فى نفسها طيبة وإن لم يكن فيها شيء من الطيب، ولله در القائل:

ماذا على من شم تربة أحمد

ألا يشم مدى الزمان غواليا

هذا آخر ما اخترناه ولخصناه من خصائص المدينة المنورة مما فصله الإمام الزركشى فى كتابه «إعلام الساجد».

****

فضل المنبــــر الشريف

مما يدل على فضل منبر رسول الله ﷺ تغليظ اليمين عنده، وقد ورد ذلك فى الحـديث عن جابـر مـرفوعـاً: «لا يحلف أحد عنـد منبرى هذا على يمين آثمة ولو على سواك أخضر إلا تبوأ مقعده من النار» أخرجـه مالك وأبو داود والنسائي وابن مـاجة، وصححه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهم، وروى أبو أمامة بن ثعلبة مرفوعا: «من حلف عند منبرى هـذا بيمين كاذبة يستحل بها مَـال امرىء مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[1]. الفتح ٥/ ٣٨٥ .

استحباب زيارة قبر النبى ﷺ عند الحنابلة

قال الإمـام ابن قدامـة الحنبلى: ويستحب زيارة قبـر النبى ﷺ لما روى الـدارقطنى بإسناده عن ابن عمر قال: قـال رسول الله ﷺ «من حجَّ فزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى».

وفى روايـة: «من زار قبـرى وجبت له شفـاعتى» رواه باللفـظ الأول سعيد: حـدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجـاهد عن ابن عمر، وقال أحمـــد فى رواية عبد الله عن يـزيد بن قسيط عن

---

(١) يؤخذ من هذا مضاعفة الإثم وتغليظ الـذنب عند الأماكن المعظمة والبقاع المقدسة كما أن أجـر الحسنات وجـزاء الطاعـات يضاعف بمكـة والمدينـة وبيت المقدس ووردت بذلك أحاديث وأخبار صحاح .

أبي هـريرة أن النبى صلى الله عليـه وآله وسلم قـال : «ما من أحـد يسلم عليَّ عند قبرى إلا ردَّ الله عليَّ روحى حتى أرد عليه السلام» .

وإذا حج الـذى لم يحج قط ـ يعنى مـن غير طـريق الشام ـ لا يأخـذ على طريق المـدينـة ، لأنى أخاف أن يحـدث به حـدث ، فينبغى أن يقصد مكة من أقصر طريق ، ولا يتشاغل بغيره ، ويروى عن العتبى . قـال : كنت جالسـاً عند قبـر النبى ﷺ فجاء أعـرابى فقال : السـلام عليك يارسول الله سمعت الله يقـول : «ولو أنهـم إذ ظلموا أنفسهـم جاءوك فاستغفروا الله واستغفـر لهم الرسول لوجدوا الله توابـاً رحيماً» وقـد جئتك مستغفراً من ذنبى مستشفعـاً بك إلى ربى ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنـت ساكنه فيه العفـاف وفيه الجـود والكرم

ثم انصـرف الأعـرابى فغلبتنى عينى فنمت فـرأيت النبى ﷺ فى النـوم . فقـال : ياعتبى ألحـق بالأعـرابى فبشره أن الله قد غفـر له (ج ٣ ص ٥٥٧) .

****

فضل الركائب التى تحمل الزائرين

قال القاضى عياض فى الشفا :

حكى عن بعض المريـدين أنه لما أشرف على المـدينة المنورة أنشأ يقول متمثلاً :

رفع الحجاب لنـا فلاح لنـاظرى قمـــر تقطّع دونـــه الأوهـــام
وإذا المطىُّ بلغن أرض محمـــد فظهورهـن على الرجـال حرام
قربننا من خيـر من وطىء الثرى فلهـا علينـا حـرمـة وذمـام

الحرمة « الاحترام » والذمام العهد » .

قـالِ الشيخ النبهـائى فى المجمـوعـة جــ ٤ ص ٨٣ : البيتـان الأخيران هما من كلام أبى نواس فـى مدح الأمين بن هارون الرشيد ، وقـد أصاب هـذا الشيخ الذى نقلهمـا إلى مـدح النبى فإنه هـو المستحق للمدح بهما عليه الصلاة والسلام .

****

كرامات لزائر قبر رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

قال بعضهم لزائر قبر الرسول ﷺ عشر كرامات[1] :

إحداهن : يعطى أرفع المراتب .

الثانية : يبلغ أسنى المطالب .

الثالثة : قضاء المآرب .

الرابعة : بذل المواهب .

الخامسة : الأمن من المعاطب .

السادسة : التطهير من المعايب .

السابعة : تسهيل المصائب .

الثامنة : كفاية النوائب .

التاسعة : حسن العواقب .

العاشرة : رحمة ربِّ المشارق والمغارب .

ولقد أجاد من قال :

هنيئًا لمن زار خير الورى ... وحط عن النفس أوزارها

فإن السعادة مضمونة ... لمن حلّ طيبة أوزارها

(١) يخصص هذا الفضل بمن زاره صادقًا محتسباً ، وعليه فيكون الأجر على قدر نية الزائر فلا مفهوم لهذا العدد بل ما عند الله لا يحصر ولا يعد لمن كمل عنده الاستعداد فى طلب المدد وهذا مقصود المؤلف .

هيئة الروضة النبوية وتحديدها

اختلفوا فى هيئة الروضة وتحديدها على أقوال :

(الأول) : أنها ما سامت كلاً من طرفى المنبر والحجرة ، فتؤخذ مستوية فيدخل فيها محاذاة الحجرة من جهة الشمال وإن لم يسامت المنبر ، ومحاذاة طرف المنبر من جهة القبلة وإن لم يسامت الحجرة لتقدمه فى جهة القبلة ، فتكون الروضة مربعة وهى الثلاثة الأروقة ، رواق المصلّى الشريف ، والرواقان بعده إلى صف اسطوانة الوفود ، وهى التى خلف اسطوانة الحرس ، وذلك هو مسقف مقدم المسجد فى زمنه ﷺ .

ويدخل فيها حينئذ موقف الصف الأول مما يلى الحجرة وجميع المصلى الشريف ، وهذا هو الأولى بالاعتماد .

وظاهر ما عليه غالب العلماء وعامة الناس كما فى المنح ورجحه السمهودى فى الخلاصة وأصلها ، وتبعه جمع ممن بعده من أئمتنا وغيرهم .

(**وعلامة حد الروضة**) الآن كما جاء فى النزهة على هذا القول الراجح الأساطين المرخمة بالرخام الأبيض والأحمر المذهبة إلى حد النصف منها وعلى أطرافها قصيدة باللغة التركية مكتوبة بالنقر فى حد الرخام من أعلاه محيطة بها كالطراز مطلية بماء الذهب ، يقال أنشأها السلطان سليم خان ، ودليل هذا القول قوله ﷺ : «ما

بين بيتى ومنبـرى روضة من ريـاض الجنـة » وهو حـديث صحيح متفق عليه .

(الثانى) : أنها ما سامت الحجـرة الشريفة والقبر المنيف فقط فتؤخذ غير مستوية فتكـون متسعة من جهة الحجرة ضيقه من جهة المنبر ، فتكـون منحرفة الأضـلاع لتقدم المنبر الشـريف فى جهة القبر وتأخر الحجرة الشريفة فى جهة الشام ، فتكون كشكل مثلث ينطبق ضلعـاه على قـدر امتـداد المنبر النبـوى الشـريف ، وهـو خمسة أشبـار ، كما حـرره السمهودى ودليل هـذا القول التمسك بظاهـر لفظ البينية الحقيقيـة من الحـديث المار ، وحينئـذ يخرج عنهـا مـوقف الصف الأول ممـا يلـى الحجـرة ، فيكـون ليس من الروضة .

(الثالث) : أنها تعـم جميع المسجد المـوجود فى زمنـه وهو الـذى جزم بـه السمعانى وغيـره . ونقله الـريمى عن الخطيب بن جملة ، واستدل له بقولـه ﷺ : « ما بين بيتى ، وهو مفرد مضاف يفيد العمـوم فى سائر بيوتـه ﷺ ويفسر هذا (وإن لم يستـدل به) رواية صحيحة لأحمد : ما بين هـذه البيوت » يعنى بيوته ﷺ « إلى محل منبرى » .

(الرابع) : أنها تعم جميع المسجد فى زمنه وبعده ، ونقل رده السمهودى .

وقد يجمع بين الـروايات السابقة بأن الروضـة تطلق على أماكن متفاوتـة فى الفضل ، فأفضلهما مـا بين القبر والمنبـر ، ثـم ما بين بيوتـه ﷺ كلها والمنبر ، ثم بقيـة المسجد فى زمنه ﷺ ثم مـا زيد عليه بعده ، ثم ما كان خارجه إلى المصلى .

(وانظر الذخائر القدسية لعبد الحميد قدسى) ص ١٢٧ .

****

معنى كون الروضة النبوية من الجنة

اعلم وفقك الله أنَّـه قد اختلف فى المـراد بقـوله ﷺ : « مـابين بيتى ومنبـرى روضة من ريـاضة الجنـة » هل هو على الحقيقـة أو على المجاز ، فـالذى عليه مـالك هو الأول ، فقال : إنهـا روضة من رياض الجنة تنقل إليهـا وليست كسائر الأرض تذهب وتفنى » ووافقـه على ذلك جماعـة من العلمـاء ، وصححه ابن الحـاج ، وقـال ابن أبى جمـرة : « ويحتمل أن تلك البقعـة نفسهـا الآن من الجنة ، كما أن الحجر الأسود منها ، وتعود روضة فيها .

وقيل : مجاز ، بمعنى أن العبـادة فيها تـؤدى إلى الجنة أو هى كروضة من الجنة فى نزول الرحمة وحصول السعادة بملازمة العبادة فيها سيما فى عهده ﷺ .

وقد رجح الحـافظ ابن حجر العسقلانى القـول الأول فى موضع من الفتح . ونظر فى الثـانى وقال : إذ لا اختصـاص لذلك بتلك البقعة ، والخبر مسوق لشرف تلك البقعة على غيرها . اهـ .

فالأول هـو الأرجح لوجـوه ، وذلك لأن الأصل عـدم المجاز إذ لامقتضى لصـرف اللفظ عن ظاهـره ولعلو منـزلة ﷺ وليكـون بينه وبين الأبوة الإبراهيمية فى هذا شبـه ، فالخليل خص بالحجر من الجنة والحبيب ﷺ بالروضة منهـا ، وأيضًا المخبر بأن الروضة من الجنة هو المخبر بأن الحجر والمقام منها .

ولا ينافى كون الـروضة من الجنة حقيقة حصـول الجوع والعرى فيها لاتصـافها بصفـة دار الدنيـا ، كما أن الحجـر الأسود ومقـام إبراهيم من الجنة لكنهما لما نزلا بهـذه الدار اتصفا بصفاتها ، فلا يلزم من انتفـاء الجوع والعرى عمن حـل فى الجنة انتفاؤهمـا فيما نقل منهـا ، وإلا لنفى كون الحجـر والمقـام من الجنة حقيقـة ولا قائل به والله سبحانه وتعالى أعلم .

(الذخائر القدسية)

****

المسجد النبوى الشريف

المدرسة الأولى فى الإسلام

المسجد النبوى الشريف هو مهبط الوحى ، وتاج التاريخ الرائع وفجر الحضارة الإسلامية ، والمدرسة الأولى فى الإسلام التى تخرج منها بدور العلماء والأبطال المجاهدون والقواد الفاتحون .

كم جلس فيه الرسول الأكرم يفقِّه ويُعَلِّمُ ويَسُوسَ ويهيىء الرجال الذين اصطفاهم الله العليم لدينه وغذاهم القرآن الكريم بهديه وربَّاهم المعلم الأعظم بتزكيته وسنته فى حجر التقوى ومنبت الإيمان فنشأوا رجالاً «صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدَّلوا تبديلاً »، هؤلاء الأحرار الذين فطموا أنفسهم عن الشهوات ، فانطلقت تسبح فى ملكوت الله تذعن للحق وتصدع بالتوحيد ، وتنادى بمكارم الأخلاق ، أولئك الأبطال الذين كانوا السبب فى هداية الأمم وبنوا مجدًا شامخًا ونصروا الأخلاق الفاضلة فنهضت بعد كبوتها وسمت إلى أفق الفخار والخلود .

هذا المسجد النبوى : انظر إليه تغشاه الروعة والهيبة ويحوطه الجمال والجلال ، هل انقطع عنه دوىُّ القرآن منذ نزل فيه أو توقف فيه ذكر الله تعالى بعد أن نشأبه ؟ إنه لم يزل ولن يزال مأرزًا للإيمان ومعقلاً للفضيلة ودارًا للعلم ومشهدًا دينيًا يأخذ بالنفوس

فلا تملك حين تـراه إلا أنها تأنس تارة وترهب أخـرى ، تفرح طورًا وتبكى حينًا ، وتقدم وتحجم تتمثل لها مواكب الذكر والفكر فتمر بها سراعًا ، وتظهر لها أحـداث التاريخ فتمتلىء عظة وعبرة ، هنا مجلس الرسـول ﷺ مع أصحابـه فى روضته التى هى مـن رياض الجنة حيث كان يبلغ رسالات ربه وهذا مصلاه الذى كان يقف فيه لمناجاة مولاه فتقر بذلك عيناه .

وهذا منبره الذى كان يخطب عليه ، كأنه منذر جيش ، يقول : صبَّحكم ومسَّاكم فتوجل القلوب وتذرف العيون وترتعد الفرائض ، وهذه حجراته التى كان يأوى إليها فتستقبله أمهات المؤمنين فيتلو فيهن من آيـات الله والحكمة ، « رحمت الله وبـركاتـه عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد » .

وهذا مصلى تهجده الذى يصلى فيه نافلة من الليل ، يسأل من ربه المقام المحمود ، والهـداية للأمة وإظهار الديـن ، يدعو ليلاً ونهارًا ، ويتضرع سرًا وجهارًا ، وهذه سـارية السيدة عائشة (رضى الله عنها) وتلك سارية أبى لبـابة (رضى الله عنه) وهذه دار ابن عم الرسـول ، ومأوى البتول ، حيث نشـأ السبطان سيدا شبـاب أهل الجنة وريحانتا رسول الله ﷺ من الدنيا .

وهذه خوخـة الصديق الذى سعد هو والفـاروق بصحبته وجواره فى الدنيا والبرزخ والأخرى (رضى الله عنهما) هذه دار الإيمان فيها

مساكن الصحابة هى ـ **غيل الأسد** ـ [1] ، وذلك البقيع الذى دفن فيه ألوف من أصحاب الشفيع عليه الصلاة والسلام ، وهذا أُحـد جبل أهل الإيمـان يشرق منـه نور التـوحيد ، وبقـربه كـان صـراع الحق والباطل ، فنكص البـاطل مدبرًا زهـوقًا وثبت الإيمان مـؤيدًا محفوظًا .

وهذا العقيق (الوادى المبارك) منزل الرسول ﷺ ومصلاه .
أجل . هذا مسجد بناه نبى التوحيد وبنته أيدى أهل اليقين .

الله أكبـر هـذا المسجـد العطـر   وهـذه طيبـة الفيحـاء تـزدهـر
وهذه الـروضة الغنـاء قد ظهـرت   من جنة الخلد : لا هم ولا كدر
هــذا العقيق وذا سلع وذا أحــد   يـزهو بإيمـانـه والخلد ينتظـر
هذه الربوع التى كان الحبيب بها   يـرعى القلوب وتـرعـاه فتدكـر

لقـد حظيت بصيـام رمضـان عـدة سنين فـى هـذا البلـد الطيب ، فأقـول : هنا فرض الله علينـا الصيام والـزكاة ، وهـذا باب جبريل حيث تـردد بالتنزيل على السيـد الأعظم الجليل ، مجالس أنس ، ومـرابع قدس ، ومنـازل قرآن ، ومـواقف ذكرى ، مـا أجل هذه البشـرى وما أعظم تلك الذكرى ! ! أيـام وصل ووصال ، هى أشرف سنى عمرى وواسطة عقد فخرى فى ضيافة أهل طيبة جيران المصطفى ، وأهل الصدق والكمال والوفا .

---

(١) أي موضع الأسد ، لأنهم حماة الدين وحراس الشريعة .

فيـا سـاكنى أكنـاف طيبـة كـلكم

إلى القـلب مـن أجـل الحبيب حبيب

***

هناؤكمـو يـا أهـل طيبـة قـد حقَّـا

فبالقرب من خير الورى نلتمس السبقا

فيـــا راحـــلاً عنهـا لأمـر تـريـــده

أتطـلب مـا يفـنى ، وتـترك مـا يبـقى

****

بناء المسجد الشريف

لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة كان يصلِّى حيث أدركته الصلاة ، فأراد بناء مسجد للصلاة فيه ، وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة يصلى بالناس ، يجمع بهم فى مسجد بناه فى مربد سهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمرو، فسأل ﷺ أبا أمامة أن يبيعه أرضًا متصلة كانت فى يده ليتيمين ، فعرض عليه أسعد أن يأخذها ويغرم عنه ثمنها لليتيمين ، فأبى ﷺ ذلك ، وابتاعها بعشرة دنانير أداها من مال الصديق (رضى الله عنه) .

وكان موضع المسجد نخلاً وخربًا وقبور المشركين ، فأمر عليه السلام بالقبور فغيبت وبالعظام فنبشت ، وبالخرب فسويت ، وبالنخل فقطعت ، وجعلت عمداً للمسجد ، وأمر بعد ذلك باتخاذ اللّبن فاتخذ ، وبنى به المسجد ورفع أساسه بالحجارة ، وسقفه بالجريد ، وجعلت عمده جزوعًا (لما شكوا الحر) ، فلما وكف عليهم طينوه بالطين ، وجعلوا وسطه رحبة ، وقد عمل فيه المسلمون فكانوا يحملون لبنة ، وكان عمار بن ياسر يحمل لبنتين : لبنة عنه ولبنة عن النبى ﷺ ، وكان عليه السلام يحمل معهم اللّبِن ويقول :

هذا الحمال لا حمال خيبر   هذا أبَرُّ ربُّنَا وأطهر

ويقول :

اللهم إن الأجـر أجـر الآخـرة فـارحم الأنصـار والمهـاجـرة

«رواه البخارى» .

ووضع الرسول ﷺ رداءه وهو ينقل فقالوا :

لئن قعـدنـا والنبـى يعمل فـذاك منـا العمـل المضلل

واستمر المسجـد على ما هـو عليه فى زمن الصـديق رضى الله عنه لاشتغالـه بحروب الردة ، وأما الفاروق رضى الله عنـه فوسعه ، وزاد فيه دار العباس رضى الله عنه وبناه سيدنا عثمان رضى الله عنه فى خلافته بالحجارة والقصَّة [1] ، وجعل عمده حجـارة ، وسقفه بالسَّاج [2] ، ونقل إليه الحصبـاء ، من العقيق ، ولم يـزل الخلفاء والملوك يهتمون بعمارة المسجد النبـوى الشريف ويبذلون نفائس الأموال فى ذلك .

---

(١) القَصَّة بالفتح الجصُّ وهى لغة حجازية .
(٢) نوع من الشجر.

المدينة المنورة تحتفل بمقدم النبى

صلى الله عليه وآله وسلم

روى البيهقى «فى دلائل النبوة» بسنده إلى البراء بن عازب ، قال : «أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير وابن أمِّ مكتوم ، وكانا يقرآن القرآن ، وفى رواية : «فجعلا يقرئان الناس القرآن ، ثم جاء عمار بن ياسر وسعد وبلال ، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين ، ثم جاء رسول الله ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء قط فرحتهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يسعون فى الطرق ويقولون : جاء رسول الله ﷺ .

وفى رواية أخرى قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة فى الطريق ، وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون : «جاء رسول الله ﷺ جاء محمد ، الله أكبر ، جاء محمد ، جاء رسول الله ﷺ » فلما أصبح انطلق فنزل حيث أُمِر . رواه البخارى عن عبد الله بن رجاء ، وأخرجه مسلم من وجه آخر عن إسرائيل : أنبأنا أبو عمرو الأديب ، قال : أنبأنا أبو بكر الإسماعيلى قال : سمعت أبا خليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة جعل النساء والصبيان يقلن :

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع**
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع**

وفى روايـــة عن أنس قــال : « إنى لأسعى فى الغلمــان وهم يقـولون : جـاء محمد ، فأسعـى ولا أرى شيئًا ثم يقـولون : جـاء محمد ، فأسعى ولا أرى شيئًـا ، حتى جـاء النبى ﷺ وصاحبـــه أبـو بكر فكنـا فى بعض جـدر المـدينة ثم بعثنـا رجـلاً من بعض البـادية ليـؤذن بهمـا الأنصار ، فـاستقبلهمـا زهاء خمسمـائة من الأنصـار ، حتى انتهوا إليهمـا ، فقـالت الأنصار : انطلقـا آمنيْن مطاعيْن ، فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم ، فخرج أهل المدينة حتى إن العـواتق لفوق البيوت ترائينـه ، يقلن : أيُّهم هو ؟ أيُّهم هو ؟ قال : فما رأينا منظرًا شبيهًا به يومئذ ! قال أنس : «فلقد رأيت يوم دخل علينا ويوم قبض ، فلم أر يومين شبيهًا بهما» .

وفى روايـة أخـرى قـال أنـس : « شهـدت يـوم دخل النبى ﷺ المدينة فلم أر يومًا أحسن ولا أضوأ منه » .

وفى روايـة عن أنس قـال : « قدم رسـول الله ﷺ المـدينة فلمـا دخل المدينة جاءت الأنصار برجالها ونسائها فقالوا : إلينا يا رسول الله فقال : دعوا الناقة فإنها مأمورة ، فبركت على باب أبى أيوب ، قال : فخرجت جوارى بنى النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن :

نحن جـوارٍ مـن بنى النجــار يــا حبـذا محمــدٍ من جــار

فخرج إليهن رسول الله ﷺ فقال أتحبونني ، فقالوا : إي والله يا رسول الله . فقال : أنا والله أحبكم أنا والله أحبكم ، أنا والله أحبكم . (ثلاث مرات) .

****

من آداب الزيارة النبوية

ينبغى لمن وفقه الله تعالى ، ووصل إلى المدينة المنورة أن يتمسك بالآداب الشرعية فى تلك الرحاب الطاهرة والمنازل المباركة ، فيستشعر شرف المكان بالفضل الثابت بالعيان .

فإذا دخل المسجد النبوى ، يدخل بسكينة ووقار واحترام وهدوء تام ، ولا يرفع صوته ، لأن رفع الصوت فى المسجد منهى عنه ، وهو فى مسجد النبى ﷺ أشد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وقد ثبت أن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) رأى رجلين يرفعان أصواتهما فى المسجد ، فقال: لو أعلم أنكما من أهل البلد لأوجعتكما ضربًا ، إن الأصوات لا ترفع فى مسجده ﷺ ، فما يفعله بعض جُهَّال العامة من رفع الصوت من أقبح المنكرات ، اهـ.

وليست هناك صيغة مخصوصة للزيارة يسن التزامها ، أو التقيد بها ، بل لو صلى على النبى ﷺ بأى صيغة أو أسلوب كفى ، ويكفيه أن يقتصر على قوله : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر الصديق ، السلام عليك يا أبا حفص عمر ، كلَّما دخل المسجد ، فقد كان ابن عمر إذا دخل المسجد يقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «إذا قال في سلامه : السلام عليك يا رسول الله يا خِيرة الله من خلقه ، يا أكرم الخلق على ربه ، يا إمام المتقين ، فهذا كله من صفاته ، بأبي هو وأمي ﷺ » .

وينبغي أن يحترس ممَّا يفعله بعض الجهال أمام الحجرة من تمسح ونحوه ، فلا يتسلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها ، وألاَّ يتصنع وجدًا أو حالاً أو شوقًا كاذبًا ليفعل ذلك ، فإن المتشبع بما ليس عنده كلابس ثوب زور .

وقد حفظ الله تلك الرحاب من كل ما ينافي التوحيد ، ولا يوجد بين الأمة المسلمة ـ بحمد الله ـ من يعتقد فيه ، أو في قبره ﷺ اعتقادًا باطلاً ، استجابة لدعائه ﷺ حين قال : اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد » وتحقيقًا لما أخبر به أنه : « لا يجتمع دينان بجزيرة العرب ، وأن الشيطان قد أيس أن يعبد بالجزيرة إلهًا » .

ولا تظنن أن ما يفعله بعض الناس مما ظاهره ينافي التوحيد إلا صادرًا عن جهل يحتاج إلى تعليم وتنبيه .

قال الشيخ ابن القيم :

ولقد نهانا أن نصير قبره عيدًا حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر ، الذى قد ضمه وثنًا من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءَه وأحاطه بثلاثةٍ جدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان

وينبغي للمسلم أن يتأدب فى تلك الحضرة ملاحظًا أنه ﷺ يشعر به ويعرفه ، ويرد عليه السلام ، ويعلم موقفه ، وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا .

قال الشيخ ابن القيم :

فإذا أتينا المسجد النبوى صلّـ ـينا التحية أوّلاً ثنتان
ثم انثنينا للزيارة نقصد القـ ـبر الشريف ولو على الأجفان
فنقوم دون القبر وقفة خاضع متذلل فى السر والإعلان
فكأنه فى القبر حى ناطق فالوا قفون نواكس الأذقان
ملكتهم تلك الهابة فاعترت تلك القوائمَ كثرة الرَّجفان
وتفجرت تلك العيون بمائها ولطالما غاضت على الأزمان
وإنى المسلِّم بالسلام بهيبة ووقار ذى علمٍ وذى إيمان
لم ترفعِ الأصوات حول ضريحه كلا ولم يسجدْ على الأذقان

إلى آخر القصيدة :

وينبغي لمن وصل إلى المدينة المنورة أن يجتهد فى المحافظة على الصلاة بالمسجد النبوى المشرف ، فقد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام» (١) .

---

(١) متفق عليه ورواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجة وابن حبان والبيهقى فى شعب الإيمان ، وللحديث روايات مختلفة ومعناها جميعاً واحد .

قال النووى : وهذا التفضيل يعم الفرض والنفل . ويعم المسجد القديم وما أضيف إليه من جديد الآن وقبل الآن ، فقد روى عنه ﷺ أنه قال : «لو بنى هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدى » وهذا الحديث إن صح فهو من أعلام نبوته ﷺ .

وينبغى أيضًا أن لا ينسى روضة الجنة فى الدنيا ، ففى الصحيح مرفوعًا : « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » وفى لفظ : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة» وأن يجتهد فى الصلاة فيها ، لكن بشرط ألا يؤذى أحدًا بالمزاحمة والمدافعة ولا يتأخر فى الحضور إلى المسجد، ثم يتوجه إلى الروضة للصلاة فيها فيؤذى المصلين ، ويتخطى الرقاب ، ويقطع الصفوف ، ويشوش على الذاكرين ، ويسبب المخاصمة والمجادلة التى قد تخرج إلى المشاتمة والقول القبيح ، فهو بهذا قد ارتكب الحرام للوصول إلى السنة ، فوقع فى الشر من حيث أراد الخير .

****

المدينـة المنورة ، الدار الطيبـة والبقعة المحببـة المطيبة ، دار السنة والهجرة ، ومـدخل الصدق والإيمان . سماهـا الله تعالى : «طابة» فى الصحيح وسماهـا رسول الله ﷺ : «طيبة » وكان يطلق عليها من قبل : يثـرب ، وسميت فى القرآن كذلك ، حكـاية عن قول من قالها من المنافقين ، والذين فى قلوبهم مرض ، وقد جاء النهى عن تسميتها بـذلك ، لأنه مأخوذ من «الثرب » وهـو الفساد أومن « التثريب» وهو التوبيخ والمـلامة ، وكان رسول الله ﷺ يكره الاسم الخبيث .

روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث البراء بن عازب (رضى الله عنـه) قـال : قال رسـول الله ﷺ : «من سمى المـدينـة يثـرب فليستغفر الله ، هى طابة » .

وجاء أن من قـال : يثرب فكفـارته أن يقـول : «المدينـة » عشر مرات .

والمدينـة حرم مقـدس مشرف ، ثبت تحريم صـورها وشجـرها على الحلال ، والمحرم لله ، كما هو مـذهب الجمهور لقوله ﷺ فى الصحيح (كمـا عنـد مسلم) : «إن إبـراهيم حـرم مكـة وإنى

حرمت المدينة ، ما بين لا بيتها حرام لا يقطع عضاها [1] ولا يصاد صيدها » ا . هـ . لكن مكة يضمن صيدها وشجرها ، وفى ضمان صيد المدينة وشجرها خلاف .

والمدينة المنورة بلدة مباركة الطعام والشراب ، لأن النبى ﷺ دعا لأهلها بالبركة فى صاعهم ومدهم ومكيالهم، والمدينة المنورة محفوظة لا يدخلها الدجال ، ففى الصحيحين قال رسول الله ﷺ : «إن الدجال لا يطأ مكة ولا المدينة وأنه يجىء ينزل فى ناحية المدينة ، فترجف ثلاث رجفات ، فيخرج إليه كل كافر ومنافق » .

وفى رواية : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة » .

والمدينة المنورة محفوظة لا يدخلها الطاعون ، ففى الصحيحين قال ﷺ : « على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » والأنقاب جمع نقب ، وهو الطريق على رأس الجبل ، وأنقاب المدينة طرقها وفجاحها .

والسر فى ذلك الطاعون وباء عند الأطباء ، وقد صح أنهم لما قدموا المدينة وأصابتهم أمراض عظيمة وحمى شديدة دعا لهم

---

(١) كل شجر يَعْظُم وله شوك .

النبى ﷺ فكشف ذلك عنهم ، وقال : « اللهم انقل وباءها إلى خم » وخم مكان على ثلاثة أميال من الجحفة التى هى جهة رابغ .

قال القرطبى : الطاعون هو الموت العام الفاشى ، نعنى بذلك أنه لا يكون بالمدينة من الطاعون مثل ما يكون فى غيرها من البلاد، كالذى وقع فى عمواس ، وقد أظهر الله صدق رسول الله ﷺ فإنه لم يسمع من النقلة ولا من غيرهم من يقول : إنه وقع فيها طاعون عام ، وذلك ببركة دعائه ﷺ حيث قال : « اللهم صححها لنا » .

والمدينة المنورة لا تقبل خبثًا ، فهى كالكير فى إزالة الخبث عنها ، كما فى الصحيحين : أن أعرابيًا بايع النبى ﷺ فأصابه وعك بالمدينة ، فقال : يا محمد أقلنى بيعتى ، أى أعفنى من مبايعتك ، فأبى رسول الله ﷺ ، فخرج الأعرابى ، فقال ﷺ : «إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وتنصع طيبها ، أى يخلص وتشتد رائحته ، قال بعضهم : هذا خاص بزمن حياته ﷺ وصحح النووى أنه عام يشمل كل زمان .

فقد جاء فى الحديث الصحيح : « لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها ، كما ينفى الكير خبث الحديد » قال الزركشى : هذا والله أعلم : زمن الدجال .

والمدينة المنورة لا يَدَعُها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من

هو خير منه ، ومعنى ذلك أن الذى يخرج عن المدينة راغبًا زاهدًا فيهـا ، إنما هـو جاهل بفضلها ، وفضل القيام بها ، أو كافر بذلك، وكل واحد من هـذين إذا خرج منهـا ، فمن بقى من المسلمين خير منه وأفضل منه على كل حال . وقد قضى الله تعالى بأن مكة والمدينة لا تخلوان من أهل العلم . والفضل والدين ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وفى المدينة المنورة المسجد الذى أسس على التقوى مسجد قباء الذى جاءت الإشارة إليه فى قوله تعالى : ﴿**لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه**﴾ .

وقد سأل أبو سعيد (رضى الله عنه) رسول الله ﷺ عن المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال : « هو مسجدكم هذا » وجاء فى رواية أخرى : أنه المسجد النبوى » .

والحق أن كلاً منهما أسس على التقوى . وقد أخرج الترمذى أن النبى ﷺ قال : « الصلاة فى مسجد قباء كعمرة » .

وأخرج ابن ماجة بسند جيد عن سهل قال : قال رسول الله ﷺ : « من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له أجر عمرة » ورواه أحمد والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وقد كان ﷺ يأتى مسجد قباء راكبًا وماشيًا كل سبت ، وتارة يوم الاثنين ، وصبيحة اليوم السابع عشر من رمضان فيصلى فيه .

وقد حث ﷺ على الإقامة بها ، ووعد من صبر على لأوائها وشدتها أن يكون له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة . ودعا على من أحدث بها وأساء وأتى إثمًا ، أو أعان على ذلك فقال : « من أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً » أى لا يقبل منه فرضًا ولا نفلاً .

ودعا على من آذى أهلها وأرادهم بسوء بأن يذيبه الله فى النار ذوب الرصاص ، أو ذوب الملح فى الماء » قال : « اللهم اكفهم من دهمهم ببأس » رواه البزار بإسناد حسن .

****

رأى ابن الجوزى فى الاحتفال بالمولد النبوى

قال العلامة الجردانى فى « فتح العلام بشرح مرشد الأنام» : ومن أجل ما ابتدع بل من أجل القربات والطاعات ما جرت به العادة من العناية بالمولد الشريف ، والفرح فيه بسيد السادات ، وإطعام الطعام ، ومواساة المحاويج وقراءة قصة المولد الشريف .

قال ابن الجوزى : ومما جرب : «أن من عمل المولد كان أمانًا له فى ذلك العام ، وبشرى عاجلة بنيل المرام » . وقد جاء أنه ﷺ لما ولد ذهبت ثويبة ، (جارية أبى لهب) فبشرت مولاها أبا لهب بولادته ﷺ فأعتقها وأمرها برضاعته ، فجوزى بأن يخفف عنه فى النار . كل ليلة اثنين ، فإذا كان هذا حال من صرح القرآن بذمه ، فما ظنك بالمسلم الذى يفرح بمولده ﷺ ، ويبدى ما تصل إليه قدرته فى محبته ، لعمرى إنما يكون جزاؤه من الله الكريم ، أن يدخله بفضله جنات النعيم .

ومن أجلّ ما ابتدع أيضًا ما جرت به العادة من قيام الناس ، حين ذكر مولده ﷺ فيستحب ذلك ، لما فيه من تعظيمه ، وإظهار الفرح به ، والسرور ، بل وأفنى بعض الحنفية بكفر من يتركه ، حين يقوم الناس ، ولعمرى إذا لم يُقَم لقدومه ، ولو عند ذكر مولده ، فلمن يقام ، لكن ذكر العلامة الحلوانى فى مواكبه : « أنه ينبغى أو يجب تركه إذا ذكر الخطيب ذلك ، أو أدى القيام إلى التشويش وعدم الإنصات . ا . هـ .

من أحسن الصيغ للسلام على النبى

صلى الله عليه وآله وسلم

ومن أحسن مَا يقول الزائر : السلام عليك يا سيدى يا رسول الله ، سمعت الله يقول : [أو يا خير الرسل . إن الله أنزل عليك كتابًا صادقًا] قال فيه ، « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا » وقد جئتك مستغفرًا من ذنبى ، مستشفعًا بك إلى ربى ، وفى رواية أخرى : «إنى جئتك مستغفرًا ربك عز وجل من ذنوبى » .

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه

فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

فقد جاء عن محمد العتبى (شيخ إمامنا) (رضى الله عنهما) أنه سمع أعرابيًا قال ذلك عند القبر المكرم ، وانصرف ، فرأى العتبى رسول الله ﷺ فى المنام ، يقول : يا عتبى ألحق بالأعرابى ، وبشره بأن الله قد غفر له .

وروى بعض الحفاظ عن أبى سعيد السمعانى ، أنه روى عن على كرم الله وجهه : أنه بعد دفنه ﷺ بثلاثة أيام جاءهم أعرابى ،

فرمى نفسه على القبر الشريف (على ساكنه الصلاة والسلام) ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ، قلتَ : فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله تعالى كما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك قوله تعالى : «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا » وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى إلى ربى ، فنودى من القبر الشريف أنَّه قد غفر لك .

ذكر هذه القصة شارح الإقناع ، وتقى الدين بن تيمية وابن القيم وابن عساكر وابن الجوزى ، وأقرها الحافظ ابن كثير ، ويتأكد تجديد التوبة فى هذا الموقف الشريف ، وسؤال الله تعالى أن يجعلها توبة نصوحًا ، والاستشفاع به ﷺ فى قبولها ، والإكثار من الاستغفار والتضرع بتلاوة الآية المذكورة . وأن يقول بعدها : وقد ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا ، وأتيت بجهلى وغفلتى أمرًا كبيرًا ، وقد وفدت عليك زائرًا وبك مستجيرًا ، وجئتك مستغفرًا من ذنبى ، سائلاً أن تشفع لى إلى ربى ، وأنت شفيع المذنبين ، المقبول الوجيه عند رب العالمين ، وها أنا ذا معترف بخطىء مقر بذنبى ، متوسل بك إلى ربى ، وأسأل الله البر الرحيم بك ، أن يغفر لى ، ويميتنى على سنتك ومحبتك ، ويحشرنى فى زمرتك ، ويوردنى وأحبائى حوضك ، غير خزايا ولا نادمين ، واشفع لى يا رسول الله رب العالمين ، وشفيعَ المذنبين ، فها أنا ذا فى حضرتك

وجوارك، ونـزيل بابـك ، وعلقت بكرم ربى الـرجاء ، لعله يـرحم عبـده وإن أسـاء ، ويعفو عمـا جنى ، ويعصمـه فى مـا بقى من الدنيا ، ببركتك وشفاعتك يا خاتم النبيين ، وشفيع المذنبيين .

أنت الشفيــع وآمــالــى معلقــة

وقـد رجــوتك يــا ذا الفضل تشفع لى

هــذا نــزيلك أضحـى لا مــلاذ لــه

إلا جنــابك يـــا ســؤلى ويـــا أملى

وقال غيره :

ضيف ضعيف غـريـب قـد أنـاخ بكم

ومستجــير بــكم يـــا ســادة العـرب

يا مكـرمى الضيف يا عـون الزمـان ويا

غــوث الفقير ومـرمى القصـد والطلب

هـذا مقــام الـذى ضـاقت مــذاهبـه

وأنتُــم فى الرجــا من أعظــم السبب

أو يقول بعد الآيـة المذكورة أيضًا : نحن وفـدك يا رسول الله ﷺ وزوارك ، جئناك لقضـاء حقك ، والتبرك بـزيارتـك ، والاستشفاع

بك ، ممـا أثقل ظهورنـا ، وأظلم قلوبنـا ، فليس لنا يـا رسول الله شفيع غيرك نؤمله ، ولا رجاء غير بابك نصله ، فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربِّكَ ، واسأله أن يمن علينا بسـائر طلباتنا ، ويحشرنا فى زمرة عباده الصالحين ، والعلماء العاملين .

****

فضائل نبـــوية قرآنية

قال بعضهم :

ألم يُرضك الـرحمن فى سورة الضحى
وحـاشــاك أن تـرضى وفينــا مُعـذَّبُ
أترضـى مـع الجـاه المنيــع ضَيـَاعنـا
ونحــــن إلـى أعتــاب بـــابك نُنْسَب
أفضهــا عـلينـــا نفحــة نبـــويـــة
تــلم شتـــات المسلمـــين وتَـــرْأبُ

وقال غيره :

قرأنـا فـــى الضحـى ولســوف يعطـى
فَسَـــرَّ قـــلـــوبنَـــا ذاك العطــــــاء
وحـــاشـــا يـــا رســـول الله ترضـــى
وفينــــا مـــن يعـــذَّب أو يســـاء

وقال غيره :

كيف السبيـل إلى تقصى مــــدح من
قـــال إلالـــه لـــه ــ وحسبـك جـاها ــ :

إن الــذيـن يبــــايعــونـك إنمــــا

ــ فيمـــا يقـــول ــ : « يبـــايعـــون اللهَ »

وقال الشيخ القلقشندى الأديب الكبير المصرى :

إنــى أؤمــل مـــا أرجــو بطلعتـــه

فوجهـــه النـيِّر المـــأمـــون مـــأمـــولُ

مـــاذا أقـــول ومـا فى زخــرف الشّعـرا

مِن بعـــد مـــا فُصِّلَتْ حَـــمَ تنزيـــلُ

« كيف كانت عبادة رسول الله ﷺ قبل البعثة »

إن العلماء اختلفوا : هل كان ﷺ قبل بعثه متعبدًا بشرع من قبله أولا ؟ . فقـال الجمهـور : لم يكن متعبـدًا بشىء ، واحتجـوا بأن ذلك لـو وقع لنقل ، ولمـــا أمكن كتمـه ، ولا ستـره فى العـادة ، ولافتخـر أهل تلك الشريعـة ، واحتجوا بـه عليه ﷺ فلمـا لم يقع شىء من ذلك علمنا أنـه لم يكن متعبدًا بشـرع نبى قبله ، وذهبت طائفة : إلى امتناع ذلك عقلاً ، قالوا : لأنه يبعد أن يكون متبوعًا ، وقد عرف تابعًا . وذهب آخرون إلى التوقف فى أمره ﷺ وترك قطع الحكم عليه بشىء فى ذلك لأنـه لا قاطع من الجـانبين وإلى هذا ذهب إمام الحرمين .

وقال آخرون : كان عامـلاً بشرع من قبله ، ثم اختلفوا ، فتوقف

بعضهم عن التعيين وأحجم ، وجسر عليه بعضهم . ثم اختلف المعينون ، فقيل : نوح ، وقيل : إبراهيم ، وقيل : موسى ، وقيل عيسى ، وقيل : آدم عليهم الصلاة والسلام ، فهذه جملة المذاهب فى هذه المسألة ، وأظهرها الأول ، وهو الذى عليه الجمهور ، وأبعدها مذهب المعينين ، إذا لو كان شىء لنقل كما مر .

وزعم بعض من لا تحقيق عنده ولا اطلاع على حقائق الكتاب والسنة : أن نبينا ﷺ كان على شريعة إبراهيم ﷺ وليس له شرع منفرد به ، وإنما المقصود من بعثته ، إحياء شرع إبراهيم تمسكًا بظاهر قوله تعالى : ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا ﴾ فزعمه بالغلط بل بالخرافة أشبه ، ومن ثمَّ قالوا : إن مثله لا يصدر إلا من سخيف العقل ، كثيف الطبع ، وإنما المراد بهذه الآية : الاتباع فى التوحيد الخاص بمقام الخلة الذى هو مقام إبراهيم المشار إليه بصيغة : «حنيفًا وما كان من المشركين﴾ والمتسبب عن تفويضه المطلق لما ألقى فى النار ، وجاء إليه جبريل عليهما السلام قائلاً له : ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، فوصل غاية من التفويض لم يصل إليها أحد قبله ولا بعده إلا نبينا محمد ﷺ فإنه وصل إليها وارتقى بغايات لا يعلمها إلا خالقه وبارئُه المنعم عليه بما لم يؤته لغيره .

ومن ثمَّ يقول إبراهيم «عليه الصلاة والسلام» عند مجىء الناس إليه فى ذلك الموقف العظيم للشفاعة العظمى فى فصل القضاء قائلين له : إن الله اصطفاك بالخلة : «إنما كنت خليلاً من وراء وراء ، فأعلمهم أنه وإن كان خليلاً لكنه متأخر الرتبة عن غيره ، المنحصرة فى نبينا ﷺ ونظير تلك الآية السابقة : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» فالمراد الأمر بالاقتداء فى التوحيد وما يليق به من المقامات العلية التى ترجع إلى الأصول لا إلى الفروع ، إذ كان منهم من ليس رسولاً أصلاً كيوسف «عليه السلام» على قول، والباقون كانت فروع شرائعهم مختلفة ، فاستحال حمل الأمر على الاقتداء بهم على ذلك .

وقال شيخ الإسلام « السراج البلقينى » فى شرح البخارى : «ولم يجىء فى الأحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده ﷺ قبل البعثه ، لكن روى ابن اسحق وغيره أنه ﷺ كان يخرج إلى حراء فى كل عام شهرًا من السنة يتنسك فيه ، وكان من نسك قريش فى الجاهلية أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين ، حتى إذا انصرف من بيته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة .

وحمل بعضهم التعبد على التفكر ، قال : وعندى أن هذا التعبد يشتمل على أنواع ، وهى الاعتزال عن الناس ـ كما صنع إبراهيم ﷺ باعتزال قومه ، والانقطاع إلى الله تعالى ــ فإن انتظار

الفـرج عبـاده ، كمـا رواه على بن أبى طـالب (كــرم الله وجهـه) مرفوعًا، وينضم إلى ذلك التفكـر ، ومن ثَمَّ قال بعضهم : كانت عبادته ﷺ فى حراء التفكر .

(انظر فتاوى ابن حجر الهيثمى) .

****

صلوات مأثورة لرؤية الحبيب

«صلى الله عليه وآله وسلم»

نقل الشيخ الغزالى فى الإحياء عن بعض العارفين نقلاً عن العارف المرسى (رضى الله عنه) أن من واظب على هذه الصلاة : وهى : « اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم : فى اليوم والليلة خمسمائة مرة ، لا يموت حتى يجتمع بالنبى ﷺ يقظة » .

ونقل عن الإمام اليافعى فى كتابة « بستان الفقراء » أنه ورد عن النبى ﷺ أنه قال : « من صلى على يوم الجمعة ألف مرة بهذه الصلاة وهى : « اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبى الأمى» فإنه يرى ربه فى ليلته ، أو نبيه ، أو منزلته فى الجنة ، فإن لم ير فليفعل ذلك فى جمعتين ، أو ثلاث أو خمس ، وفى رواية زيادة « وعلى آله وصحبه وسلم » .

وفى كتاب « الغنية » للقطب الربانى سيدى عبد القادر الجيلانى [حديث] عن الأعرج عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى ليلة الجمعة ركعتين ، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة ، وخمس عشرة مرة « قل هو

الله أحــد » ، ويقول فى آخـَر صــلاته ألف مـرة « اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى ، فإنه يرانى فى المنام ولا تتم له الجمعة الأخرى إلا وقد رآنى ومن رآنى فلــه الجنة وغفر له مـا تقدم من ذنبه وما تأخر » ا . هـ .

****

مقام العبودية (أشرف مقاماته ﷺ)

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

قوله : بعبده ، لم يقل بنبيه ولا برسوله ، إشارة إلى أن وصف العبودية أخص الأوصاف وأشرفها لأنه إذا صحت نسبة العبد لربه بحيث لا يشرك فى عبادته له أحدًا ، فقد فاز وسعد ، ولذا ذكره الله تعالى فى المقامات الشريفة كما هنا .

وفى مقام الوحى قال : «فأوحى إلى عبده ما أوحى» الآية .

وفى مقام الدعوة قال الله تعالى : « وأنه لمَّا قام عبد الله يدعوه » ولذا قال القاضى عياض (رحمه الله تعالى) :

ومما زادنى شرفًا وتيها وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى وأن صيرت أحمد لى نبيًّا

وهناك وجه آخر وهو خوف ضلال أمته به ﷺ كما ضلت أمة عيسى به عليه السلام ، حيث قالوا : ابن الله .

وقوله : بعبده أى بروحه وجسمه على الصحيح ، ثم قال عند قوله تعالى : « إنه هو السميع البصير » المشهور أن الضمير عائد على الله تعالى ، أى هو السميع للأقوال ، البصير بالأحوال والأفعال ، وقيل : الضمير عائد على النبى ﷺ ، وحكمة الإيتان

بهذْين الـوصفين : « الثناء على رسـول الله ﷺ ، حيث شاهـد ما شاهـد ، وسمع ما سمع ، ولم يـزغ بصره ولم يدهش سمعـه فهو نظير قوله تعالى : « ما زاغ البصـر وما طغى » إشارة إلى علو مقامه ورفعة شأنه ﷺ فيكون ﷺ قد وصف بأنَّه السميع والبصير .

****

« اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الفتح لما أغلق» ، أى أنه ﷺ فتح ما كان غير مفتوح من الشرائع لأن رسالة كانت بعد الفترة (زمن الجاهلية) وفتح الله به على عباده أنواع الخيرات وأبواب السعادة الدنيوية والأخروية ، فكل الأرزاق من كفه ، وفى الحديث : « أوتيت مفاتيح خزائن السموات والأرض » أى التى قال الله تعالى فيها : « له مقاليد السموات والأرض»، أى مفاتيحها، فقد أعطاها عز وجل لحبيبه ﷺ . وفى الحديث أيضًا : «الله معط وأنا القاسم » .

« والخاتم لما سبق » من النبوة والرسالة فإنه لا نبى بعده ولا رسول يجدد شريعته ، وعيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل من السماء يكون على شريعة نبينا ﷺ ومن أمته ، كما أن الخضر و إلياس يعبدان الله بشريعته ومن أمته .

«والناصر الحق بالحق»، أى ناصر الدين الثابت عند الله ، الذى قال الله تعالى فيه : « ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه » أى إنه فى نصره لدينه ﷺ ملازم للحق ودائر معه ومقوى للدين الحق بالحجج الحقة وبالقتال الحق المأمور به من الله، أو المراد بالحق الثانى هو الله تعالى ، لأنه اسم من أسمائه ، فيكون

المعنى المؤيد للدين بربه تعالى : ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾ « والهادى إلى صراطك المستقيم ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم » (١) .

---

(١) والجملة الأولى من هذه الصلاة مذكورة فى الصيغة التى كان يعلمها الإمام على بن أبي طالب (رضى الله عنه) وقد رواها ابن كثير فى تفسيره عند قوله تعالى : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى . . . ﴾ الآية وقال : قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى : سلامة الكندى هذا ليس بمعروف ولم يدرك علياً . ا هـ وسلامة الكندى هذا من التابعين وهو الذى روى الصيغة عن الإمام علي (رضى الله عنه) : قال الشيخ على القارى فى شأن الحديث : وهو موقوف وقد صح سنده قال الدلجى : لكن أُعِل وإن صُحِحَ سنده بأن روايته عنه مرسلة إذ لم يدركه . ا هـ وهو مردود بما ذكره ابن حبان أنه روى عن على وروى عنه نوح بن قيس الطاحى . ا هـ ومثل هذا لايقال فى الإرسال . انتهى كلام القارى جـ ٢ من شرح الشفا ص ١٢٤ .

هذا وقد اعترض البعض على فضيلة المؤلف فى شرحه لهذه الصلاة عندما قال : إن مقاليد السموات والأرض (أى مفاتيحها) أعطاها الله عز وجل لنبيه ﷺ وجعلوا المعنى بعمومه وظنوا أن مقاليد السموات والأرض بمعنى الأمر والتدبير والخلق والايجاد وهو اعتراض غير صحيح وحاشا أن يعتقد هذا مسلم أو يقول به .

وقد جاء فى لسان العرب : المقاليد هى المفاتيح جمع إقليد بمعنى مفتاح وهى أيضا ، الخزائن جمع مقلاد بمعنى خزانة ، اهـ . ومعنى الآية أن الله وحده له مفاتيح السموات والأرض وخزائنها وليس لأحد سواه يقول تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ ويقول سبحانه : ﴿وان من شىء إلا عندنا خزائنه ﴾ . ومما لاشك فيه أن الله تعالى له أن يعطى من مفاتيح علمه وخيره من يشاء من عباده منةً منه وفضلا يقول تعالى ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول ﴾ وأعظم وأكرم من اصطفى وارتضى من رسله حبيبه محمد ﷺ . وروى البخاري عن عقبة بن عامر (رضى الله عنه) خرج النبي ﷺ يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر. فقال : إنى فرطكم وأنا شهيد عليكم إنى والله لأنظر إلى حوضى الآن وإنى قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض . (كتاب المناقب وكتاب الجنائز وكتاب المغازى) [فتح البارى جـ٦ / ٤٧٩] .

وأخرج الطبرانى عن ابن عمر (رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ قال : أعطيت مفاتيح كل شىء إلا الخمس : (التى فى قوله تعالى : ان الله عنده علم الساعة) الخ .

وأخرج الطبرانى أيضًا والإمام أحمد عن ابن عباس « رضى الله عنهما » عن النبى ﷺ : أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء قبلى ، نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد وجعل لى التراب طهوراً وجعلت أمتى خير الأمم » واذا كان الأمر كذلك فأى غضاضة ونكارة فى قول المؤلف : إن الله أعطى حبيبه ﷺ مقاليد السموات والأرض بمعنى المفاتيح ؟ .

يا أيها الرسول بلغ

﴿ يا أيهـا الرسـول بلغ ما أنزل إليك من ربـك و إن لـم تفعل فما بلغت رسـالتـه والله يعصمك من النـاس ﴾اعلم أن مـا أوحى إلى رسول الله ﷺ ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، قسم أمر بتبليغه وهو القرآن والأحكام المتعلقة بـالخلق عمومًا فقد بلغه ﷺ ولم يزد عليـه حرفًا ولم يكتم منـه حـرفًا ، ولـو جـاز عليه الكتم لكتـم آيات العتـاب الصادرة له من الله كآيات . «عبس وتـولى» ، وآية «ما كان لنبى أن يكـون له أسـرى» ، وسورة تبت يـدا أبى لهب ، ولفظ قل من آيـة ﴿قل يـا أيها الكافـــرون﴾ و ﴿قـــل هـو الله أحـــــد﴾ و ﴿قـل أعـوذ بـرب الفـلق﴾ و ﴿قل أعـوذ برب النـاس﴾ وقد شهـد الله له بتمام التبليغ حيـث أنزل عليه قبـل وفاته ﷺ ﴿اليـوم أكملت لكم دينكم﴾ .

وورد أنه قال لعزرائيل حين قبض روحه اقبض فقد بلغته .

وما أمر بكتمه ﷺ ولم يبلغ منه حـرفًا وهو جميع الأسرار التى لا تليق بالأمـــة . ومـا خير فى تبليغـه وكتمـه فقـد كتم البعض وبلغ البعض ـ وهو بعض الأسرار التى لا تليق بالأمة ـ ولذا ورد عن أبـى هريـرة (رضـى الله عنـه) أنه قـال : « أعطانى حبيبى جـرابين من العلم لو بثثت لكم أحدهما لقطع منى هذا الحلقوم »(١) .

---

(١) قـال الطيبى روينا هـذا فى صحيح البخارى عـن سعيد المقبـرى عن أبى هريـرة =

= رضى الله عنه وقال الألوسى فى تفسير الآية الكريمة : ان ذلك هو علم الأسرار الإلهية وعلم الحقيقة و إلى هذا أشار رئيس العارفين «على زين العابدين» حيث قال :

إنى لأكتم من علمى جواهره ... كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم فى هذا أبو حسن ... إلى الحسين ، وأوصى قبله حسنا
فرب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لى : أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

(روح المعانى للألوسى جـ ٦ / ١٩٠).

وهذا العلم لا يرجع الى أحكام التشريع التى امر ﷺ بتبليغها فإنه لم يكتم منها شيئًا ، وأما من يحتج بالآية الكريمة على أنه ليس هناك علمٌ خاصٌ من قبيل الأسرار والمعارف الإلهية فقد كذب ووقع فى الباطل والضلال ، فإن الآية لا شأن لها بذلك فهى تأمر النبى ﷺ بتبليغ ما أنزل إليه من ربه (من القرآن والأحكام) لا بتبليغ ما فتح به عليه من المعارف والأسرار وما عرفه الحق سبحانه من العلوم والأحوال ، وأيضًا يدل سياق الآية على أن التبليغ المأمور به ﷺ هو تبليغ ما أنزل إليه من القرآن فى أمر خاص بتقريع أهل الكتاب وكشف أباطليهم ودحض حججهم لأن الآية نزلت فى المدينة من آخر ما نزل وقد أدى الرسول ﷺ الرسالة وأكمل الدين .

فالمعنى إذاً بلغ ما أنزلناه إليك بشأنهم ولا تخش كيدهم فهو مصروف عنك بدليل « والله يعصمك من الناس » ففيها تثبيت للنبى ﷺ وطمأنينة لقلبه ، وليس فى الآية ما يشير إلى نفى العلوم والمعارف والأسرار التى يخص الله بها من يشاء من عباده . ا هـ فتأمل .

رؤيا النبى

«صلى الله عليه وآله وسلم»

عن أنس (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « من رآنى فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى » أخرجه أحمد والبخارى والترمذى عن أنس .

وقال ﷺ : « من رآنى فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتزايا بى» أخرجه أحمد والبخارى ومسلم ، عن أبى قتادة رضى الله عنه، وقال ﷺ : « من رآنى فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتكوننى» أخرجه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فالنبى ﷺ مظهر من مظاهر الحق ، وكل ما يسمع منه فإنه من الحق .

وقال ﷺ : « من رآنى فإنى أنا هو فإنه ليس الشيطان أن يتمثل بى » أخرجه الترمذى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) وقال ﷺ : « من رآنى فى المنام فقد رآنى إنه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل فى بى » أخرجه الترمذى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) وقال ﷺ : « من رآنى فى المنام فقد رآنى إنه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل فى صورتى » ، أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجة عن جابر (رضى الله عنه) .

وقـال ﷺ : « من رآنى فى المنـام فسيـرانى فى اليقظـة » « ولا يتمثل الشيطـان بى » أخـرجه البخـارى ومسلم وأبـو داود عن أبى هريـرة (رضى الله عنه) وهـذه الأحاديث كلها فـى أعلى درجة من الصحة ، وأما ما اتفق عليه البخارى ومسلم فقد قال علماؤنا : إنه يلحق بالمتواتر، كيف وقد روى ذلك معهما الإمام أحمد والترمذى وابن مـاجـة وأبو داود ، فقـد تـرقت فوق درجـة الصحـة ولحقت بالمتواتر .

وروينـا فى صحيح البخارى ومسلم عـن أبى هريـرة (رضى الله عنـه) قال : سمعت رسـول الله ﷺ يقول : « من رآنى فى المنـام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتخيل بى ، ورؤيـا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة » .

فقد جـاء لفظ عدم مماثلـة الشيطان له من وجـوه ، قال : « أن الشيطان لا يتمثل بى » وقال : « لا يتكوننى » ، وقال : « لا يتخيل بى » ﷺ لم يتـرك لغة من لغات التمثيـل إلا وقد ذكرهـا ، فلم يبق فى عـدم مماثلـة الشيطان لـه شك ولا شبهة لا فى اليقظـة ولا فى المنام، قال ابن الباقلانى : معنى الأحاديث أن رؤياه ﷺ صحيحة وليست بأضعـاث أحـلام ، ولا من تشبهـات الشيطـان » ، وقـال غيره : إن المـراد من رآه فقد أدركه حقيقة ، فـلا مانع يمنع ذلك ، والعقل لا يحيله فيضطر إلى صرفه عن ظاهره .

قـالـوا : وقد يُـرى رسـول الله ﷺ على خـلاف صفتـه ، أو فى

مكانين معًا ، أو فى أماكن متعددة ، وذلك خلط فى صفاته ﷺ فى عالم خيال الرائى ، فتكون ذاته ﷺ مرئية . فالإدراك لا يشترط فيه ذلك بخلاف الإبصار ، ولا قرب المسافة ، ولا كونى المرئى مدفونًا بالأرض ولا ظاهرًا عليها .

وإنما يشترط كونه موجودًا ، ولم يقم دليل على فناء جسمه ﷺ، بل جاء فى الأحاديث الصحيحة ما يقتضى بقاءه مع جميع الأنبياء ، وورد أيضًا : « أنهم يصلون فى قبورهم » وتجرى لهم أعمال البر كحياتهم .

وورد أيضًا : أن سعيد بن المسيب فى أيام الحرة ، حين هُجِرَ المسجد النبوى ، كان لا يعرف وقت الصلاة إلا بأذان كان يسمعه من داخل الحجرة المقدسة ، ولا يبعد أن يكون ذلك للأنبياء ، خاصة ، ولمن شاء الله من خواص عباده ، اهـ . ما قاله العلماء (رضى الله عنهم) .

وقالوا : إن رؤيا النبى ﷺ ممكن لعامة أهل الأرض فى ليلة واحدة ، وذلك لأن الأكوان مرايا ، وهو ﷺ كالشمس إذا أشرقت على جميع المرآيا ظهر فى كل مرآة صورتها ، بحسب كبَرها وصغرها ، وصفائها وكدرها ، ولطافتها وكثافتها . كبلور ، أو معدن ، أوتنك ، وبحسب أشكالها من تدوير، إلى تثليث، إلى تربيع ، إلى غير ذلك من الأشكال والألوان . فكل من رأى النبى ﷺ ، فإنما رآه بحسب صفة نفسه ومرآة قلبه ، فإن رآه بصفة

كمال، فالكمال فى الرائى ، أو بصفة نقص ، فلنقص فى الرائى .

وأما قوله ﷺ : « من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة » قال العلماء : هو فى الدنيا قطعًا ، ولو عند الموت لمن وفق لذلك .

وأما قول من أوّله برؤيا اليقظة فى الآخرة فقد رد عليه العلماء وقالوا : إن الآخرة يراه فيها كل مؤمن رآه فى منامه أوْ لم يره ، كما ورد فى أحاديث عدة صحيحة .

بل ويراه الكفار فى الآخرة والمنافقون فيعرفون قدره العظيم وشرفه الكبير ﷺ وقد يكون فى الدنيا لأهل الكمال من المؤمنين أصفياء البصيرة الذين وصفهم الله تعالى ووصف قلوبهم ومعارفهم بقوله : « كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار . نور على نور » وهو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من العلوم والمعارف زيادة على نور الإيمان وتمثيل لقلب العارف وما فيه من المعارف .

فمثل هذا القلب ، هو المؤهل لرؤيا النبى ﷺ فى اليقظة وسائر المغيبات أيضًا .

حفظ الله تعالى للنبى ﷺ من مؤمرات اليهود

حاول اليهود أكثر من مرة قتل النبى ﷺ ، وقد ثبت ذلك فى مرتين :

كانت المرة الأولى فى محاولة قتل النبى ﷺ يوم ذهب إلى يهود بنى النضير ، يطلب منهم الوفاء بالعهد الذى قطعوه على أنفسهم معه ، ويطالبهم بدفع دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى ، وقد ذهب إليهم النبى ﷺ وحده ، فما كادوا يرونه حتى استقبلوه استقبالاً فى ترحيبه مكر خبيث يحمل ريح مؤامرة ، وجلس النبى بعد اللقاء مستندًا إلى حائط منزل واحد منهم ، ودار من خلف النبى همس المؤامرة ، فقد قالوا لبعضهم : (لن تجدوا محمدًا أقرب منه الآن ، فهو وحده ، فمن رجل يظهر على البيت فيطرح صخرة فيريحنا منه) .

وانتهى بهم الرأى إلى اختيار عمرو بن جحاش بن كعب ، فهو أقواهم بنية وأسرعهم حركة ، وأخبروه أن الأمر سيعتبر قضاءً وقدرًا وأن دمه سيهدر ، وأن محمدًا لن تكون له بعد ذلك دية ولا مطالب بدم . وفوق ذلك ستكون قوة المسلمين قد تحطمت ، وإنهم بذلك سيقضون على الإسلام بقضائهم على نبى الإسلام .

وشرع عمرو فى تنفيذ جريمته ، وصعد إلى سطح المنزل الذى يستند على حائط جداره رسول الله ﷺ ، وأمسك بصخرة كبيرة

وألقـاهـا ، ولكن فى ومضـة عين كـان العلى الكبيـر قـد أنبأ نبيـه بالأمر، فترك مكانه فى اللحظة التى سقطت فيها الصخرة .

وكان أيضًـا قد وصل إلى مكان النبى نفـر كبير من المسلمين ، فقد علموا بذهـابه وحده إلى بنى النضير ، فسارعـوا باللحاق به ، وماد كادوا يرون الرسول حتى أعلمهم بالخبر كله .

وثار المسلمون ، وكادت أن تقع معـارك ضارية بين المسلمين واليهود ، ولكن اليهـود اعترفوا بجـريمتهم ، وطلبوا أن يـرحلوا عن المدينـة كلها ، كعقاب لهم ، وتركـوا المدينة فعلاً ، وفـورًا ، وما حولها أيضًا .

وسجل القرآن الكريم جريمة اليهود هذه فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكـروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطـوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .

ومرة ثـانية : وبعـد أن رأى اليهود هزيمتهـم فى خيبر ، اجتمع بَعْدُ نفـر من اليهود سـرًا واتفقوا على أن يدسـوا السم للنبى ﷺ فى طعامه ، وبذلك يقضون على رسول الله ، فيعاد لليهود مكانتهم ، ويثأروا من مواقف النبى معهم ، ويحققوا أملهم الذى انتظروه من مئـات السنين ، ويخلوا لهم عـالم الـدنيـا بعد ذلك ، ولا يكـون أمامهم غير جماعة النصارى على ظهر الأرض ، عدوًا واحدًا ليس له مـا للإسـلام من قواعـد ونظم تحكم البشريـة وتربط بين الـدنيا والآخرة والناس بعضهم بعضًا .

ومن أجل هــذا الغـرض اجتمع نفــر من اليهـود ســرًا ، ووقع اختيـارهم على زينب بنت الحارث ، فهـى صديقـة صفية زوجـة رسول الله ﷺ وطلبوا منها أن تذهب إلى بيت رسول الله ﷺ وتسأله عن أى الطعام أحب إليه لتهـديه إليه بمناسبة زواجـه من صديقتها صفية .

ونفـذت زينب بنت الحــارث مـا أملـــى عليهـا وعلمت من رســول الله ﷺ أنه يقبل منهـا هديتهـا : شـاة مشويـة ، فإن أحب أجزائها إليه الذراع .

وجـاءت زينب إلى الـرسول ﷺ بـالشـاة المسمـومة الـذراع ، وقدمتها إلى رســول الله ﷺ وكان معه بشر بن البـراء بن معــرور ، ولكن رسول الله ﷺ ما كاد يتذوق الذراع حتى رد ما أكله ، وقال : « والله ما أظن إلا أنــه السم »[1] وتوقف عن الأكل ، ولم ينتـه بشرٌ عن الاستمرار إلا بعد أمر النبى له بالتوقف ، ولكن السم كان كثيرًا وقويًا ، فانتشر فى دمه فوقع بشرٌ لتوِّه ميتًا .

وأمـر النبـى ﷺ فجـــاءوا بزينب بنـت الحـارث ، واعتـرفت لـرسول الله ﷺ عن جـانب من المـؤامرة ، وبـررت تصـرفها بأنهـا موتورة ، فقد مات الكثيرون من أهلها فى حرب المسلمين ، وأذل الله على يد النبى قـومها ، وضاعت هيبتهم ، ولم تعد لهم مكـانة

---

(١) وفى رواية صحيحة : أن الذراع هو الذى أخبره بذلك . معجزة له ﷺ اهـ . مالكى .

بين النـاس ، فتركها النبى ﷺ وحفـظ الله رسوله ﷺ ، ولكـن آثار السم كـانت كامنـة فى أمعـاء رسـول الله ﷺ ومن أجل هذا يـروى الثقات أن رسول الله ﷺ كان يشكو فى مـرضه الأخير من معدته ، مع شكواه من صـداع فى رأسه ، حتى ليقول مـروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى : « إن رسول الله ﷺ قد قـال فى مرضه الذى توفى فيه عندما دخلت أخت بشر بنت البراء بن معرور تعوده :

« يا أخت بشر ، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى [1] من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر » . وقـد ذكرت هاتين القصتين كتب الأحاديث الصحيحة والسيرة النبوية .

---

(١) الأبهـر: عرق ينـزل من الـدماغ، فهـو فى العنق الـوريد، وفى الصلب الأبهـر، وفى القلب الوتين، ومن أى مـواضعه انقطع هلك صاحبه، والـوريد والوتين مذكـوران فى القرآن الكريم.

عرض الأعمال على النبى

صلى الله عليه وآله وسلم

قال الإمام الحافظ الشيخ ابن القيم فى قصيدته المشهورة بالنونية .

هذا وأما عرض أعمال العبا ... د عليه فهو الحق ذو إمكان
وأتى به أثر فإن صح الحديـ ... ـث به فحق ، ليس ذا نكران
لكن هذا ليس مختصا به ... أيضًا بآثارٍ روين حسان
فعلى أبى الإنسان يعرض سعيه ... وعلى أقاربه مع الإخوان
إن كان سعيًا سيئًا حزنوا وقا ... لوا : رب راجعه إلى الإحسان

ولذا استعاذ من الصحابة من روى
هذا الحديث عقيبه بلسان
يا رب إنى عائذ من خِزْيةٍ
أُخزى بها عند القريب الدانى
ذاك الشهيد المرتضى ابن رواحةِ الـ
ـمحفوف بالرضوان والغفران
لكن هذا ذو اختصاص والذى
للمصطفى ما يعمل الثقلان

« القصيدة النونية لابن القيم ص ١٣٤ » .

محافظة عمر بن الخطاب على ميزاب العباس لأنه وضعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم

قال الإمام أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه فى كتابه « المغنى » فصل : « ولا يجوز إخراج الميازيب إلى الطريق الأعظم ، ولا يجوز إخراجها إلى درب نافذ إلا بإذن أهله .

وقال أبو حنيفة ومالك والشافعى : يجوز إخراجه إلى الطريق الأعظم ، لأن عمر رضى الله عنه اجتاز على دار العباس وقد نصب ميزابًا إلى الطريق فقلعه ، فقال العباس : تقلعه وقد نصبه رسول الله ﷺ بيده ؟ فقال : والله . لا نصبته إلا على ظهرى ، وانحنى حتى صعد على ظهره فنصبه »[1] .

تعظيم الصحابة لرحل وناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

كان للنبى ﷺ خادم يسمى « أسلع » وكان يقوم بترتيب رحل النبى ﷺ يشده عليها وينزله عنها .

وفى ليلة أصابته جنابة ولم يغتسل لبرودة تلك الليلة فلما أصبح أمره ﷺ أن يرحل الناقة له لأن أراد الخروج ذلك اليوم لغرض ما

(١) المغنى لابن قدامه : ٤ / ٥٥٤ مالكى .

ولكنه لم يرض أن يقوم بمهمته كعادته لأنه كان جنبًا . كره (رضى الله عنه) أن يمس رحله ﷺ وهو جنب ، فطلب من غيره أن يقوم بذلك .

ويتحدث بنفسه هو عن ذلك فيقول : كنت أرحّل ناقة النبى ﷺ فأصابتنى جنابة فى ليلة باردة ، وأراد رسول الله ﷺ الرحلة فكرهت أن أرحِّل ناقته وأنا على جنابة ، فأسخنت ماءً فاغتسلت ثم لحقت رسول الله ﷺ وأصحابه فقال : يا أسلع ، ما لى أرى راحلتك تغيرت ؟ فقلت يا رسول الله : لم أرحلّها ، رحلها رجل من الأنصار ، قال : ولم ؟ قلت أصابتنى جنابة فأمرته برحلها .

****

قصيدة بانت سعاد

قال الشيخ الأديب أبو جعفر البصير الأليبرى الأندلسى ، لما ذكر الكعبية هذه : وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ والحكم الذى لم يوجد له ناسخ .

أنشدها كعب فى مسجده عليه الصلاة والسلام بحضرته وحضرة أصحابه ، وتوسل بها فوصل إلى العفو عن عقابه . فسد ﷺ خلته ، وخلعَ عليه حلته ، وكف عنه من أراده وأبلغه فى نفسه وأهله مراده ، وذلك بعد اهدار دمه ، فهى كلمة محت حسناتها تلك الذنوب وسترت محاسنها وجه تلك العيوب . ولولاها لمنع المدح والغزل ، وقطع من أخذ الجوائز على الشعراء الأمل فى حجة الشعراء فيما سلكوه ، وملاك أمرهم فيما ملكوه . حدثنى بعض شيوخنا بالاسكندرية أن بعض العلماء كان لا يفتتح مجلسه إلا بقصيدة كعب فقيل له فى ذلك ، فقال :

رأيت رسول الله ﷺ فى النوم فقلت : يا رسول الله قصيدة كعب أنشدها بين يديك ؟ فقال : نعم أنا أحبها وأحب من يحبها قال : فعاهدت الله أن لا أخلو من قراءتها كل يوم .

قال الحافظ الكتانى : ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن

ينسجون على منوالها ، ويقتدون بأقـوالها ، تبركًا بمن أنشدت بين يديه ، ونسب مـدحها إليه ، ولما صنع القـاضى محى الدين عبد الظاهر قصيدة فى مدح النبى ﷺ على وزن بانت سعاد قال :

لقد قال كعب فى النبى قصيدة   وقلنا عسـى فى مدحـه نتشارك
بأن شملتنـا بـــالجـوائز رحمـة   كرحمة كعب فهو كعب مبارك

****

صانع المنبر النبوى

اختلف فى صانع منبر النبى ﷺ على أقوال :

فقيل : هو «ميمون» وَصُحِّح أو « باقول » بلام أو « باقوم » بميم، أو صباح « بصاد فموحدة كغراب ، أو قبيصة أوكلاب « مولى العباس » أو « تميم الدارى » أو « ميناً » بميم فنون فهمزة ، أو « إبراهيم » . أقوال تسعة ، وهل فى سنة سبع أو ثمان؟ ا هـ .

وأنشد محدث الشام الشيخ عبد الباقي الحنبلى الأثرى فى تلبية رياض الجنة لشيخه محدث الشام نجم الدين الغزى الشافعي بقوله :

صانع منبر النبى الذي ... كان عليه يخطب النبى
صلى وسلم عليه دائمًا ... إلهنا المهيمن العلى
قيل : اسمه ميمون أو باقول ... أو باقوم ، أو تميم الدارى
وقيل إبراهيم أو قبيصة ... والقول الأول هو القوى

قال الشيخ عبد الباقى : وزدت متبعًا فقلت مبينًا :

مينا صباح قيصرهم باقوم ... كلامهم مينا هو القوى

وللحافظ محمد بن ناصر الدين الدمشقى تأليف سماه « عَرْفُ العنبر فى وصف المنبر » .

جواز طلب الشفاعة من النبى

«صلى الله عليه وآله وسلم»

قال أنس بن مالك : « سألت النبى ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة فقال : أنا فاعل . قلت يا رسول الله فأين أطلبك ؟ قال : اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط . قلت : فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال : فاطلبنى عند الميزان . قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبنى عند الحوض فإنى لا أخطىء هذه المواطن الثلاث» ، رواه الترمذى فى أبواب صفة ما جاء فى شأن الصراط .

فإن قيل : كيف التوفيق بين هذا الحديث وحديث عائشة : « فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة : فقال ﷺ : أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحدًا » ؟ .

قلت : جوابه لعائشة بذلك لئلا تتكل على كونها حرم رسول الله ﷺ ، وجوابه لأنس لكيلا ييأس ، انتهى .

قال القارى : فيه أنه خادم رسول الله ﷺ فهو محل الإتكال أيضًا مع أن اليأس غير ملائم لها أيضًا ، فالأوجه أن يقال : إن الحديث الأول محمول على الغائبين ، فلا أحد يذكر أحدًا من أهله الغُيّب والحديث الثانى : محمول على من حضره من أمته . . انتهى .

سواد بن قارب يطلب الشفاعة من النبى

«صلى الله عليه وآله وسـلم»

قدم سواد بن قارب الدوسى على النبى ﷺ وأنشد هذه القصيدة وفيها طلب الشفاعة منه ﷺ :

أتـانى نجى بعـد هَـدْءٍ ورقـدة ولم يك فيمـا قـد بلـوت بكـاذب
ثـلاث ليـال : قـولـه كل ليلـةٍ أتـاك نجىُّ من لـؤىِّ بن غـالب
فـرفعت أذيـال الإزار وشمـرت بى الفرس الوجنـاء حول السباسب
فأشهـد أن الله لا رب غيـره وأنك مأمـون على كل غـائب
وأنك أدنى المـرسلين وسيلـة إلى الله يـا ابن الأكـرمين الأطـايب
فمرنـا بما يأتيك من وحـى ربنا وإن كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لى شفيعًا يوم لا ذو شفاعة بمغن فتيـلاً عن سـواد بن قـارب

(انظر الاستيعاب لابن عبد البر حرف العين) (١)

(١) هـذا وقد ذكـر صاحب فتح القـديـر «الكمال بن الهمـام الحنفى» عند الكـلام على حكـم زيارة النبـى ﷺ وقال ما نصه : فى منـاسك الفـارسى وشرح المختـار من السادة الأحناف ... أن زيارة النبي ﷺ قـريبة من الوجوب ولمـا زار الإمام أبو حنيفة المـدينة المنورة وقف أمام قبره الشريف وقال :

يا أكـرم الثقلين يا كنز الـورى * جد لى بجودك وأرضنى برضاك
أنا طامع فى الجود منك ولم يكن * لأبي حنيفة فى الأنام سـواك

وقد اقتـدى الإمام أبو حنيفة (رضى الله عنـه) فى ذلك بالصحابى الجليل سـواد بن قارب (رضى الله عنه) اهـ .

جواز التوسل بغير النبى [١]

صلى الله عليه وآله وسلم

ومن أعلام نبوته ﷺ ما أظهره الله تعالى من كرامته فى عمه العباس حين استسقى به عمر (رضى الله عنه) متوسلاً إليه بعمه فخرج يستسقى به وقد أجدب الناس .

فقال : اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آبائه وكبير رجاله فاحفظ اللهم نبيك فى عمه ، فقد دلونا به إليك مستغفرين . فقال

---

(١) يتوسل المؤمنون بالنبى ﷺ وبغيره من أهل الصلاح لكونهم أحباء لله سبحانه وتعالى لا لأجل تعظيمهم تعظيم الربوبية والفرق واضح بين سؤال الله بأحد من خلقه وبين سؤال غير الله ، والمسلمون عند توسلهم لا يعتقدون استحقاق العبادة إلا لله وحده فهو سبحانه المحيى والمميت والموجد والمعدم والنافع والضار والمعطى والمانع وهو على كل شىء قدير ، وهناك شبهة تعترى البعض فيظنون أن التوسل المشروع لا يكون إلا بدعاء النبى ﷺ وهو عندهم غير ممكن بعد وفاته ، ولذلك يرون أن التوسل بالذات لا يجوز ويقولون : لو كان جائزاً لما عدل عمر (رضى الله عنه) عن التوسل بالنبى ﷺ إلى التوسل بالعباس ، وهذا الذى قالوه غيره صحيح من أوجه :

١ ـ لو كان عدول عمر (رضى الله عنه) عن التوسل بالعباس (رضى الله عنه) دليلاً على عدم جواز التوسل بالذات للزم من ذلك عدم جواز بقية أنواع التوسل كالتوسل بالعمل الصالح وأسماء الله الحسنى فإن عمر عدل عنها أيضاً وهذا لا يقول به أحد .

٢ ـ وعلى هذا فقد أورد العلماء احتمالات متعددة فى سبب عدول عمر (رضى الله عنه) عن التوسل بالنبى ﷺ ، فذهب بعضهم إلى أن ذلك كان من عمر لأجل إظهار شرف آل البيت الأطهار، وذهب البعض الآخر أن ذلك كان لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فإن علياً كرم الله وجهه كان موجوداً وهو أفضل من العباس(رضى الله عنه) بلا خلاف إلى غير ذلك من الاحتمالات ، والراجح أن من أنواع توسل الصحابة (رضى الله عنهم) بالنبى ﷺ فى الاستسقاء أن يقدموه ليدعو لهم ويدعو الناس معه فيحصل من صورة الاجتماع هذه مزيد تذلل وتضرع ويكون ذلك أدعى للإجابة ولا يخفى أن هذا متعذر لأن التوسل به ﷺ بتلك الكيفية غير ممكن بعد وفاته ولذلك اتجه عمر (رضى الله عنه) =

إلى التوسل بالعباس (رضى الله عنه) ليقيمه بين الناس داعياً ويحصل الاجتماع المندوب شرعاً.

ويكون هـذا التعذر أظهـر فى حالـة تقديم المتوسَل بـه ليصلى بالنـاس ويدعـو لهم لأن صلاة الاستسقاء عبادة مشروعة ومن شروط العبادة الحياة الدنيوية ـ فتـرة التكليف ـ وهذا لا يتأتى أداؤه من الـرسول ﷺ مع أننـا نقر بثبـوت حياتـه ﷺ فى قبـره، والفارق بين الإستسقـاء وبين غيره من الأمـور المطلوبة بالتوسـل واضح لأن الاستسقاء صلاة فيها إمام يقتدى به ويتوسل بـه وبدعائه بخلاف غير ذلك من الأدعية لكشف ضرٍ أو إزالة كرب ونحو ذلك.

٣ـ لا يجوز فهم حـديث عمر (رضى الله عنـه) بمعزل عن بقيـة النصوص الـواردة فى موضـوع التوسل لأنـه من المقرر فى قـواعد الأصول أن النصـوص الشرعية يفسـر بعضها بعضاًويقيـد بعضها بعضاً.

أن العدول كـان عن التوسل بـالدعاء على الكيفيـة المعهودة في حيـاته ﷺ فقط لتعـذرها وليس للاستـدلال على منع التوسل بـالذات أو العمل الصالح أو غيـرهما محل فى ذلك . والـذي يقتضيه النظر هـو أن يقال: لم ينقل إلينـا أن عمر (رضى الله عنـه) فعلها فى تلك المنـاسبة رغم شـدة كرب المسلمين كما لم ينقل إلينا أنه تركها أو نهى عنهـا ولا يصح أن يستدرك على هذا بأنه لو فعلها لنقل إلينا لأن عدم النقل لفعلها هـو الأقرب للحقيقة والواقع لأنها مما يفعل فى خـاصة النفس ولا تتوقف كيفيتهـا على إظهارهـا وإعـلانهـا لاسيما والصحـابـة (رضى الله عنهم) كانـوا حـريصين على كتم أعمالهم ودعواتهم التى تصدر منهم مبالغة فى الإخلاص ورجاء القبول.

بل إن حديث مـالك الدار الذى سيأتي تحقيقه ص يـؤيد ما رجحناه من قصـر العدول على نوع خاص متعذر وفى حديث الأعمى وابن عمر رضى الله عنهما كفاية للمصنف [انظر ص].

٤ ـ التوسل بالدعاء فيه دلالة على التوسل بالذات بطريق التضمين ولذلك قال العلامة الشوكانى فى تحفة الذاكرين مانصه: «أما التوسل بالصالحين فمنه ما ثبت فى الصحيح أن الصحابة استسقوا بالعبـاس (رضى الله عنه) عم الـرسول ﷺ وقـال عمر (رضى الله عنـه): اللهم إنا نتـوسل إليك بعم نبينا... إلخ اهـ.

وقال أيضاً عند شرحه لحديث الأعمى: وفى الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله ﷺ إلى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هـو الله سبحانه وتعالى وأنه هو المعطى المانع مـا شاء كان وما لم يشأ لم يكن اهـ.

وقـال الحافـظ ابن حجر فى فتـح البارى جـ ٢ / ٤٩٧ ويستفـاد من قصـة العباس استحبـاب الاستشفاع بأهل الخيـر والصلاح وأهل بيت النبوة وفيـه فضل العباس وفضل عمر لتواضعـه للعباس ومعرفته بحقه. اهـ.

[هذا التعليق كتبه الأخ الفاضل محمد الهادى عبيد التونسي].

العباس وعيناه تنضحان : « اللهم أنت الـراعى ، لا تهمل الضالة فقد ضـرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكـوى وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فأغثهم بغياثك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فإنه لا ييأس من روحك إلا القوم الكـافرون » . فنشأت السحاب وهطلت السماء فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه ، ويقولون هنيئًا لك يا ساقى الحرمين ، فقال حسان بن ثابت :

سأل الإمـام وقد تتـابع جدبنـا فسقى الغمـام بغـرة العبـاس
عم النبى وصنـو والـده الـذى ورث النبى بـذاك دون النـاس
أحيا الإله بـه البلاد فأصبحت مخضرة الأجنـاب بعد اليـاس

فقال الفضل بن العباس بن أبى لهب ، يفتخر بذلك :

بعمى سقى الله الحجـاز وأهلـه عشيـة يستسقى بشيبتـه عُمَـر
توجـه بالعباس فى الجـدب راغبًا فما كرّ حتى جاد بالديمة المطرُ

إن الله عودك خيرًا

روى ابن عباس قال : قيل لعمر حـدثنا عن شأن جيش العسرة فقـال عمر (رضى الله عنـه) : خـرجنا مع رسـول الله ﷺ فى قيظ شديـد ، فنزلنـا منزلاً أصـابنا فيه عطش ، حتـى خشينا أن تنقطع رقابنا ، فكان الرجل يـذهب ليلتمس الماء فلا يرجع حتى نظن أن رقبته ستنقطع ، وحتى كان الـرجل ينحر بعيره فيعصر فرثـه فيشربه ثم يجعل ما بقى على صدره .

فقال أبو بكر (رضى الله عنه) يا رسول الله إنَّ الله قد عودك فى الدعاء خيرًا فادع الله لنا . قال : أتحب ذلك ؟ قال نعم : فرفع رسول الله ﷺ يده فلم يُرجعها حتى مالت السحاب ، فأظلتْ وأمطرت حتى رووا وملأوا ما معهم من الأوعية فذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر .

(أعلام النبوة للماوردى)

ليس لنا إلا إليك يا رسول الله فرارنا

ومن أعلام نبوته ﷺ ما رواه أنس بن مالك قال : أتى أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، لقد أتيناك ومالنا بعير يئط ولا صبى يغطُّ ثم أنشد :

أتيناك والعذراء يدمى لَبانها [١] وقد شُغِلت أم الصبى عن الطفل
وألقى بكفيه الصبى استكانة من الجوع ضعفًا ما يمرُّ ولا يحلى [٢]

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا
سوى الحنظل العامى [٣] والعلهز الفَسْلِ [٤]

---

(١) اللبان بفتح اللام الصدر وهو كناية عن أنها تمتهن نفسها ولا تجد من يخدمها لضيق ذات اليد .

(٢) أى ما ينطق بخير ولا شر من جوعه وضعفه من أمر وأحلى .

(٣) العامى نسبة إلى العام أى السنة لأن الحنظل يتخذ فى عام الجدب .

(٤) والعلهز بكسر فسكون طعام من الدم والوبر كان يتخذ فى المجاعة ، والفسل بفتح فسكون ، الردىء والكلام هنا كناية عن شدة الفقر والحاجة [الوسيلة للشيخ محمد خليل الخطيب/ ٧٣] .

وليس لنـــا إلا إليـك فــرارنـــا   وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقــام رسول الله ﷺ يجـر رداءه حتى صعـد المنبر ، فحمـد الله تعالى وأثنى عليـه ، ثم قال : « اللهم اسقنا غيثًا مغيثًـا سحًا طبقًا غير رائث تنبـت به الـزرع وتملأ به الضـرع وتحيى بـه الأرض بعـد موتها . . فما استتم الدعاء حتى التفت السماء بأروقتها .

فجاء أهـل البطانـة يضجـون : يـا رسـول الله الغرق ، فقـال : « حوالينـا ولا علينا » فانجـاب السحاب عن المدينـة كالإكليل . فضحك رسول الله حتى بدت نواجـذه وقال : لله در أبى طالب لو كان حيًا لقرت عيناه ، من الـذى ينشدنا شعره ؟ فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمـــام بـــوجهـــه
ثمـــال اليتـــامى عصمـــة لـــلأرامل
يعـــوذ بـــه الهـــلاّك مـــن آل هـــاشم
فهـــم عنـــده فـى نعمـــة وفواضـــل
كذبتم وبيت الله نَبـزى محمدًا   ولمـــا نقـاتل دونـــه ونـنـــاضل
ونسلمـه حتى نصـــرّع حـولـه   ونَذهل عن أبنائنا والحلائل(١)

---

(١) هذا الحديث أخرجه البيهقى فى الـدلائل من رواية مسلم العلائى عن أنس ، وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى ، فـى فتح البارى (جـ٢ ص ٤٩٥) إسناد حديث أنـس وإن كان فيه ضعف لكنه يصلح للمتابعة وقد ذكره ابن هشام فى زوائده فى السيرة تعليقاً عمن يثق به ا هـ .

وقام رجل من كنانة وأنشد :

لك الحمد والحمد ممن شكر　　سقينا بوجه النبى المطر
دعا الله خالقه دعوة　　وأشخص معْها إليه البصر
فلم يك إلا كلف الرداء　　وأسرع حتى رأينا الدرر
رقاق العوالى جم البعاق　　أغاث به الله عَلْيَا مضر
وكان كما قاله عمه　　أبو طالب : أبيض ذو غرر
به الله يسقى صوب الغمام　　وهذا العيان كذاك الخبر

فقال رسول الله ﷺ إن يك شاعر يحسن ، فقد أحسنت .

(انظر أعلام النبوة للماوردى ١٠٩)

معنى قوله ﷺ رد الله على روحى

« ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى ، حتى أرد عليه السلام » رواه أبو داود عن أبى هريرة (رضى الله عنه) .

قال النووى : إسناده صحيح ، وقال ابن حجر : رواته ثقات ، ومعنى « رد الله على روحى » يعنى رد على نطقى ، لأنه ﷺ حى على الدوام ، وروحه لا تفارقه أبدًا ، لما صح أن الأنبياء أحياء ، فى قبورهم . وقوله ﷺ : « حتى أرد عليه السلام » ، هذا ظاهر فى استمرار حياته ، لاستحالة أن يخلو الوجود كله من أحد يسلم عليه ، ومن خص الرد بوقت الزيارة فعليه البيان .

والمراد : كما قال ابن الملقن وغيره بالروح : النطق مجازًا ، علاقة المجاز أن الروح من لازمه وجود النطق بالفعل أو القوة ، وهو ﷺ فى البرزخ مشغول بأحوال الملكوت ، مستغرق فى مشاهدته ، مأخوذ عن النطق بسبب ذلك[1] ، ولهذا قال ابن حجر : الأحسن أن يؤول الروح بحضور الفكر كما قالوه فى خبر « يغان على قلبى »[2] .

(١) تأويل الروح بالنطق يلزم منه ما يلزم من تأويلها بعودة الحياة إلى الجسد الشريف ، لأن من نفى ذلك استدل بأن الوجود كله لا يخلو من أحد يسلم عليه ﷺ فمعنى هذا أن الروح لا تفارقه أبداً فكذلك يقال فى النطق أنه لا يؤخذ ولا يمنع عنه ﷺ أبداً ، ولعل الأولى فى فهم الحديث من جهة الدليل هو التوقف فى معنى ردِّ الروح لأن الروح إذا كانت فى حقيقتها مجهولة لنا فحقيقة الرد من باب أولى ، ولأن أحوال البرزخ لا يقاس عليها عالم الدنيا إذ هى فوق مداركنا وعقولنا ثم إن حياته ﷺ فى قبره زائدة على الحياة البرزخية التى يشترك فيها جميع الناس ، فلنؤمن بذلك دون أن نخوض فى معناه فمقام رسول الله ﷺ أجل وأعلى من أن يفسر بالظنون والاحتمالات وأهل الفتح والمعرفة قد يفتح لهم بشىء من هذا المعنى لا تحيط بوصفه العبارات والله أعلم .

(٢) معنى يغان على قلبى : أى بالنور ومن اعتقد أنه ﷺ يغان على قلبه الشريف بالظلمة فقد فجر وربما كفر ، وقال صاحب الصباح المنير فى مادة « غ ى ن » وحديث يغان على قلبى كناية عن الاشتغال عن المراقبة بالمصالح الدنيوية فإنها وإن كانت مهمة فهى فى مقابلة الأمور الأخروية كاللهو عند أهل المراقبة . اهـ وهذا تخريج حسن .

رسول الله ﷺ على حوضه ينتظر الواردين عليه من أمته (جعلنا الله تعالى من المقبولين)

روى الشيخان عن عقبة بن عامر (رضى الله عنه) قال : خرج رسول الله ﷺ يوماً وصلى على شهداء أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر ، فقال : « إنى فرط لكم وأنا شهيد عليكم ، وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن ، وإنى قد أعطيت خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض وإنى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها » .

وفى رواية لمسلم عن عقبة قال : قال النبى ﷺ : « إنى فرطكم على الحوض » .

وعن مسلم عن جندب سمع النبى ﷺ يقول : « إنى فرطكم على الحوض » ، وروى أبو نُعَيْمٍ بإسناده عن حذيفة بن أسيد الغفارى (رضى الله عنه) قال : لما صدر النبى ﷺ عن حجة الوداع قال : « يا أيها الناس إنى فرطكم على الحوض ، وإنكم واردون على حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء فيه آنية عدد النجوم .

وروى الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس (رضى الله عنهما) ـ أن النبى ﷺ قال : « أنا آخذ بحجزكم عن النار ، أقول : إياكم

وجهنم وإياكم والحدود ، فإذا مت فأنا فرطكم وموعدكم الحوض ، فمن ورد أفلح » الحديث .

قال الإمام النووى : قال أهل اللغة : الفرط (بفتح الفاء والراء) والفارط : هو الذى يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء ، قال : فمعنى قوله ﷺ : « فرطكم على الحوض » ينتظر أمته ــ الواردين عليه ، المتبعين له ــ وذلك ليستقبلهم ويسقيهم ، سقانا الله من كفه الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدًا بجاهه وبوجاهة وجهه الشريف عند ربِّه تعالى ـ وهكذا أحاديث الحوض بلغت حد التواتر فيجب الإيمان به قطعًا بلا شك .

جاء فى سنن أبى داود : أن عبيد الله بن زياد قال لأبى برزة الأسلمى (رضى الله عنه) جئت إليك لأسألك عن الحوض ، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئًا ؟ فقال أبو برزة ــ رضى الله عنه ـ : نعم ، لا مرة ولا مرتين ، ولا ثلاثًا ولا أربعًا ولا خمسًا ، قال : فمن كذّب به فلاسقاه الله منه » الحديث وفى هذا دليل على أنه ﷺ كان كثيرًا ما يحدث أصحابه ــ رضى الله عنهم ــ عن الحوض وأوصافه ، ولذلك جاءت أحاديث الحوض عن جمّ غفير من الصحابة فى مناسبات متعددة ، ومن ثم ذكره علماء التوحيد فى جملة العقائد الإيمانية ، قال العلامة اللقانى رحمه الله تعالى :

إيماننا بحوض خير الرسْل ... حتم كما قد جاءنا فى النقل

ينال شربًا منه أقوام وفوا ... بعهدهم وقل يذاد من طغوا

والمعنى أن الذين يشربون من حوض المصطفى ﷺ ـ دون مانع يمنعهم ـ هم الموفون بعهدهم مع الله تعالى ، ومع رسوله ﷺ وأما من بغى وطغى وارتد ورجع القهقرى فـإنهم يمنعون عن الشرب من حوضه ﷺ .

روى البخارى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال : « بينا أنا قائم (أى على الحوض يوم القيامة) فإذا زمرة (أى جماعة) حتى إذا عرفتهم خرج رجل (أى ملك على صورة رجل) من بينى وبينهم ، فقال : (أى قال لهم) هلم ! فقـلـت : أيـن ؟ (أى إلى أين تدعوهم) قال : إلى النار قلت : وما شأنهم ؟ قال : أنهم ارتـدوا بعـدك على أدبـارهم القهقـرى ، ثم إذا زمـرة حتى إذا عـرفتهم خرج رجـل من بينى وبينهم ، قال هلـم : (أى للجماعـة تلك أقبلوا) قلت أين؟ قال إلى النار، قلت ما شأنهم؟ قال فلا أراه يخلص منهم (أى من تلك الـزمـرة) إلا مثل همل النعم » . قـال الحافظ المنـذرى وغيره : همل النعم ، هى ضَوالّهـا ومعناه : أن الناجى قليل كضالة النعم بالنسبة إلى جملتها . ا . هـ .

وكـان ابن أبى مليكة يقـول : اللهم إنـا نعوذ بك أن نـرجع على أعقابنا أو نفتن فى ديننا . ا . هـ آمين .

(انظر الإيمان بعوالم الآخرة للشيخ عبد الله سراج الدين)

لواء الحمـــــد

لقد ثبت بـالأحاديث النبوية : أن لسيـدنا محمد ﷺ لواءً عـاليًا على جميع ألـويـة الشرف والكـرامـة واسعًا كل السعـة يأوى إليـه ويدخل تحته جميع الأنبياء والمـرسلين وأتباعهم معهم (صلوات الله تعالى عليـه وعليهم أجمعين) ويسمى لواء الحمد ، وهـو بيد جامع أنواع السيادة والمحبة ﷺ .

روى الترمذى وابن ماجة وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال : قـال رسول الله ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يـوم القيامة ولا فخر ، وبيـدى لواء الحمد ولا فخـر ، وما من نبى : آدم فمن سـواه إلا تحت لـوائى ، وأنا أول من تنشق عنـه الأرض ولا فخـر) الحديث .

وروى التـرمذى والـدارمى وغيـرهما عن ابن عبـاس (رضى الله عنهمـا) أنـــه قـال : جلس نـــاس من أصحـــاب رســـول الله ﷺ ينتظرونـه ، قال : فخرج ﷺ حتى إذا دنـا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حـديثهم . فقـال بعضهم : عجبًـا إن الله اتخـذ من خلقـه خليلاً ، اتخذ إبراهيم خليلاً ، وقـال آخر : ماذا بأعجب من كلام موسى ، كلمه الله تكليما ، وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه ، وقال آخر : آدم اصطفاه الله تعالى : فخرج عليهم رسول الله ﷺ ، فسلم وقـال : « سمعت كـلامكـم وعجبكم إن إبـراهيم خليل الله وهو كـذلك وموسى نجى الله وهو كـذلك وعيسى روح الله وكلمته

وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك . ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر » .

ومعنى قوله ﷺ فى ذلك : ولا فخر ، أنه لم يقل ذلك فخرًا وكبرًا ، وإنما قال ذلك تحدثًا بنعمة الله تعالى وشكرًا له وامتثالاً لأمر الله تعالى ، حيث قال له : « وأما بنعمة ربك فحدث » .

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان قال : «قال الصحابة (رضى الله عنهم) يا رسول الله ، إبراهيم خليل الله ، وعيسى كلمة الله وروحه ، وموسى كلمه الله تكليمًا فماذا أعطيت أنت ؟ فقال : ولد آدم كلهم تحت رايتى يوم القيامة وأنا أول من تفتح له أبواب الجنة» ، وروى الترمذى والدارمى وأبو يعلى وغيرهم عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا ، وأنا قائدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شافعهم إذا حُبِسوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدى ، وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر ، يطوف علىّ ألف خادم ، كأنهم اللؤلؤ المكنون » هذا لفظ الدارمى .

قال الحافظ الزرقانى : وأضيف اللواء إلى الحمد الذى هو الثناء

على الله تعـالى بما هـو أهله لأنه منصبـه ﷺ فى الموقـف ، وهو المقام المحمود المختص به ، قال : والعرف جار بأن اللواء يكون مـع كـبير القـوم ليعـرف مكانــه إذ مـوضــوعـه أصـالــة شهـرة الرئيس ا . هـ .

قال شيخنـا الشيخ « عبد الله سراج الـدين » فى كتابـه « الإيمان بعوالم الآخرة » : وقد تكلم الشيـخ الأكبر محيى الدين جمعنا الله تعـالى بـه وبأهل الله أجمعين ، حـول لـواء الحمـد ، وبيّن وجـه تسميته بلواء الحمد أنه الْتَـوتْ (أى اجتمعت) فيه المحاميد التى يحمد بها رب العالمين ، فهو لـواء جامع لجميع المحامد الإلهية فلا يخرج عنه حمد ، وإنما يأخذ منـه كل حامِدٍ حَمده ليحمد به رب العالمين سبحانه وتعالى .

وإن الحمد لله تعالى لا يكون إلا بالأسماء الإلهية فإنها بها يثنى عليه سبحانه وتعالى وبها يحمد ، وإن جميع تلك الأسماء الإلهية التى بهـا يحمده الحـامدون ويثنـون بها على ربهم ، جمعهـا الله تعالى فى لواء رسول الله ﷺ فإلى ظل لوائه ﷺ يأوون وعنه يأخذون صيغ حمدهم، ولذلك عم ظل لوائه ﷺ جميع الحامدين كما قال رسول ﷺ : « مـا من نبى آدم فمن دونه إلا تحت لوائى » فـالأنبياء وأتباعهم : كلهم تحت لـوائه الذى اجتمعت فيه أنواع المحـامد، ومنه يتلقي كلٌ حامد. وإن أحمد الحامـدين لرب العالمين سيدنا أحمـد ﷺ الذى فتح الله ويفتح عليـه من محـامده وحسن الثنـاء

عليه ما لم يفتحه على أحد غيره . كما جاء فى أحاديث الشفاعة المتقدمة حيث قال ﷺ : « ... فيفتح الله تعالى علَّى (أي يوم القيامة حين يقيمه المقام المحمود) من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلى فأحمده بمحامد لا أعلمها الآن يلهمنيها الله تعالى » .

حشرنا الله تعالى فى جملة رفقائه وجمعنا تحت لواء حمده وراية مجده ونفحنا بنفحاته وأفاض علينا من بركاته ﷺ .

والعفو عند رسول الله مأمول

قال عليه الصلاة والسلام : « من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله » فكتب إليه أخوه بهذه الأبيات :

من مبلغ كعبًا فهل لك فى التى ... تلوم عليها باطلاً وهى أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده ... فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو، وليس بمفلت ... من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شىء دينه ... ودين أبى سلمى علىّ محرم

فلما بلغ كعبًا الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان حاضره من عدوه ، فقال : هو مقتول ، فلما لم يجد من شىء بدًا ، قال قصيدته التى يمدح بها رسول الله ﷺ ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه .

ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل يقال له « جهينة »

كانت بينه وبينه معرفة فغدا به إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه واستأمنه ، فقام حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فوضع يده فى يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله : إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبًا مسلمًا فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟

قال رسول الله ﷺ نعم ، قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير ، قال ابن إسحق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار وقال : يا رسول الله دعنى وعدو الله أضرب عنقه فقال ﷺ : دعه فقد جاء تائبًا نازعًا . قال : فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار لِما صنع صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير، ثم قال قصيدته اللامية التى أولها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول

ومنها :

أنبئت أن رسول الله أوعدنى ... والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذى أعطاك نافله الـ ... ـقرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنّى بأقوال الوشاة ولم ... أذنب ولو كثرت فىّ الأقاويل
إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول
فى عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا : زولوا
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب إذا عرد السُّود التنابيل

وفى روايـة لأبى بكر بـن الأنبارى أنـه لمـا وصل إلى قولـه : إن الرسـول لنور يستضـاء به . . . البيت رمـى عليه الصـلاة والسلام عليه بـردة كانت عليـه ، وإن معاوية بـذل له فيهـا عشـرة آلاف ، فقـال : ما كنت لأوثر ببردة رسول الله ﷺ أحدًا ، فلما مات كعب بعث معاويـة إلى ورثته بعشرين ألفًـا فأخذهـا منهم ، قال : وهى البردة التى عند السلاطين إلى اليوم .

وقـال ابن اسحق : قال عـاصم بن عمـر بن قتـادة : فلما قـال كعب :

« إذا عرد السود التنابيل » . وإنما عنـى معشر الأنصار لما كان صـاحبهم صنع بـه ، وخص المهـاجريـن بمدحتـه غضب عليـه الأنصار ، فقـال بعد أن أسلم يمدح الأنصـار قصيدتـه التى يقول فيها :

من سـره كـرم الحياة فـلا يـزل ... فى مِقْنَب من صـالح الأنصار
ورثوا المكـارم كابـرًا عن كـابر ... إن الخيـار همُ بنـو الأخيـار
المكــرهين السَّمْهـرى بأذرع ... كسـوالف الهِنـدىِّ غير قِصـار
والنــاظـرين بأعين مُّحمَّـرة ... كـالجمر غيـر كليلة الأبصـار
والبــائعين نفـوسهـم لنبيِّهم ... للمـوت يـوم تعـانق وكـرار
يتطهـرون يـرونـه نسكًـا لهم ... بـدمـاء من علقـوا من الكفـار
قـوم إذا خـوت النجـوم فإنهم ... للطـارقين النَّـازلين مقـارِى

وقد كان كعب بن زهير من فحـول الشعراء وأبوه وابنه عقبة وابن ابنه العوام بن عقبة .

انظر المواهب اللدنية ص ١٧٢

****

فوائد الصلاة والسلام على خير الأنام

قال سيدى العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه : « لـواقح الأنوار القـدسيـة » : وقد حبب لـى أن أذكر لك يـا أخى جملة من فوائد الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ تشويقًا لك ، لعل الله تعالى أن يـرزقك محبته الخالصة ويصيـر شغلك فى أكثر أوقـاتك بالصـلاة والتسليم عليه ، وتصيـر تهدى ثـواب كل عمل عملتـه فى صحيفة رسـول الله ﷺ [1] كما أشـار إليه خبـر أُبىٍّ بن كعب : إنى أجعل لك ثـواب جميع أعمالى فقـال له النبى ﷺ : إذًا يكفيك الله تعالى هم دنياك وأخرتك . فمن ذلك ، وهو أهمها صلاة الله وسلامه وملائكته ورسله على من صلى وسلم عليه .

ومنها : تكفير الخطايا ، وتزكية الأعمال ، ورفع الدرجات .

---

(١) إن أعمال الأمـة كلها ــ ولو لم يُهـدَ له ﷺ منها شىء ــ فإنّ له نظيـرها لقـوله ﷺ ، «الدال علـى الخير كفا علـه» ، ومعلوم أننـا اذا أهدينـا شيئا فإنمـا ذلك لأجل أن يعـود علينا بالنّفع . . من نوره وبركتـه ﷺ وهذا دليلٌ على صدق محبتنا إذ لولاه ﷺ ما عـرفنا الطاعة ولا أُجرنا عليها ، فهذا معنى الإهداء إلى النبى ﷺ ودليلنا عليه ما رواه الجهضمي وغيرُه : بإسناد صحيح في كتـاب فضل الصـلاة علـى النبي ﷺ : أنّ أحـد الصحـابـة رضى الله عنهم قـال يارسول الله إنى أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صـلاتى؟ فقال : ماشئت قال : الربع قال : ماشئت وإن زدت فهو خير، قال : النصـف ، قال : ما شئت وإن زدت فهو خير، قال : الثلثين قال : ماشئت وإن زدت فهو خير، قال : يا رسول الله فأجعل صلاتى كلها لك ، قال : إذًا تكفى همك ويغفر ذنبك وفى رواية : « إذاً يكفيك الله هم دنياك وآخرتك » .

ومنها : مغفرة الذنوب ، واستغفار الصلاة عليه ﷺ لقائلها .

ومنها : كتابة قيراط من الأجر مثل جبل أحد ، والكيل بالمكيال الأوفى .

ومنها : كفاية أمر الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته كلها عليه كما تقدم .

ومنها : محو الخطايا وفضلها (1) على عتق الرقاب .

ومنها : النجاة من سائر الأهوال ، وشهادة الرسول ﷺ بها يوم القيامة ، ووجوب الشفاعة .

ومنها : رضا الله ورحمته والأمان من سخطه ، والدخول تحت ظل عرشه .

ومنها : رجحان الميزان فى الآخرة ، وورود الحوض ، والأمان من العطش .

ومنها : العتق من النار ، والجواز على الصراط كالبرق الخاطف ورؤية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت .

ومنها : كثرة الأزواج فى الجنة والمقام الكريم .

ومنها : أنها زكاة وطهرة وينمو المال ببركتها .

ومنها : أنه تقضى له بكل صلاة مائة حاجة بل أكثر .

---

(1) أى فضل الصلاة على رسول الله ﷺ .

ومنها : أنها عبادة ومن أحب الأعمال إلى الله تعالى .

ومنها : أنها علامة على أن صاحبها من أهل السنة .

ومنها : أن الملائكة تصلى على صاحبها مادام يصلى على النبى ﷺ .

ومنها : أنها تزين المجالس وتنفى الفقر وضيق العيش .

ومنها : أنه يلتمس بها مظان الخير .

ومنها : أن فاعلها أولى به ﷺ يوم القيامة .

ومنها : أنه ينتفع هو وولده بها وبثوابها ، وكذلك من أهديت فى صحيفته .

ومنها : أنها تقرب إلى الله عز وجل و إلى رسوله ﷺ .

ومنها : أنها نور لصاحبها فى قبره ويوم حشره وعلى الصراط .

ومنها : أنها تنصر على الأعداء ، وتطهر القلب من النفاق والصدأ .

ومنها : أنها توجب محبة المؤمنين فلا يكره صاحبها إلا منافق ظاهر النفاق .

ومنها : رؤية النبى ﷺ فى المنام ، وإن أكثر منها ففى اليقظة .

ومنها : أنها تقلل من اغتياب صاحبها ، وهى من أبرك الأعمال وأفضلها وأكثرها نفعًا فى الدنيا والآخرة ، وغير ذلك من الأجور التى لا تحصى .

وقال الفاسى فى « شرح الدلائل » بعد قول المصنف : « وهى من أهم المهمات لمن يريد القرب من رب الأرباب » : وجه أهمية الصلاة على النبى ﷺ فى حق من يريد القرب من مولاه من وجوه :

منها : ما فيها من التوسل إلى الله تعالى بحبيبه ومصطفاه ، وقد قال الله تعالى : « وابتغوا إليه الوسيلة » ولا وسيلة إليه تعالى أعظم من رسوله الأكرم ﷺ .

ومنها : أن الله تعالى أمرنا بها وحضنا عليها تشريفًا له ﷺ ، وتكريمًا ، وتفضيلاً ، ووعد من استعملها حسن المآب ، والفوز بجزيل الثواب ، فهى من أنجح الأعمال ، وأرجح الأقوال ، وأزكى الأحوال وأحظى القربات ، وأعم البركات ، وبها يتوصل إلى رضا الرحمن ، وتنال السعادة والرضوان وبها تظهر البركات ، وتجاب الدعوات ، ويرتقى إلى أعلى الدرجات ، ويجبر صدع القلوب ، ويعفى عن عظيم الذنوب . وأوحى الله تعالى إلى موسى (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) : يا موسى أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن وسواس قلبك إلى قلبك ، ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينك ؟ قال : نعم يا رب ، قال : فأكثر الصلاة على محمد ﷺ .

ومنها : أنه ﷺ محبوب لله عز وجل ، عظيم القدر عنده ، وقد

صلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والتسليم عليه ﷺ فوجبت محبة المحبوب والتقرب إلى الله تعالى بمحبته وتعظيمه، والصلاة عليه والاقتداء بصلاته تعالى وصلاة ملائكته عليه .

ومنهـا : مـا ورد فى فضلهـا والوعـد عليهـا من جـزيل الأجـر، وعظيم الذكـر ، وفوز مستعملها بـرضا الله تعالى وقضـاء حـوائج آخـرتـه ودنيـاه .

ومنها : مـا فيها من شكر الـواسطة فى نعم الله علينـا ، المأمور بشكره ، فما من نعمة سابقة ولاحقة من الإيجاد والإمداد فى الدنيا والآخرة إلا وهو السبب فى وصـولها إلينا وإجرائهـا علينا ، فنعمته ﷺ علينا تابعة لنعم الله تعالى ، ونعم الله لا يحصرها عدد .

كما قال سبحـانه : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصـوها » فوجب حقـه ﷺ علينـا . ووجب علينـا فى شكـر نعمتـه أن لا نفتـر عن الصلاة عليه مع دخول كل نفس وخروجه .

ومنها : مـا جرب من تأثيرهـا والنفع بها فى التنويـر ورفع الهمة حتى قيل : إنها تكفى عن الشيخ فى الطريق وتقوم مقامه (١).

---

(١) هذا محمول على افتراض عدم وجود الشيخ المرّبي وإلاّ فلا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة ومن صدق فى الطلب جمعـه الله بأهل الأدب ، وعلى هذا فمعنى كفاية الصـلاة على رسول الله ﷺ عن الشيخ هو تلطيف أنوار الـذكر لأن الذكر إذا أكثر فيـه العبد يكون له نور يحرق أوصـاف البشرية ويحدث اهتـزازاً فى القلب فتكون الصـلاة ملطفة للمزاج فى مقـام الشيخ المربى الـذى يسهر على رعاية حال المريد بالمراقبة فيأمره بالذكر تارة ويأمره بتـركه تارة أخرى ثم يعـود وهذا إلى أن يستأنس ويتعود (انظـر شرح الصاوى على الصلوات لسيـدى أحمد الدردير رضى الله عنـه) ص ١٩ [مطبعة صبيح].

ومنها : ما فيها من سر الاعتدال الجامع لكمال العبد وتكميله ففى الصلاة على رسول الله ﷺ ذكر الله ورسوله ، ولا كذلك عكسه ، ثم قال: وفى كتاب ابن فرحون القرطبى : واعلم أن فى الصلاة على النبى ﷺ عشر كرامات :

إحداهن : صلاة الملك الجبار .

والثانية : شفاعة النبى المختار .

والثالثة : الاقتداء بالملائكة الأبرار .

والرابعة : مخالفة المنافقين والكفار .

والخامسة : محو الخطايا والأوزار .

والسادسة : العون على قضاء الحوائج والأوطار .

والسابعة : تنوير الظواهر والأسرار .

والثامنة : النجاة من دار البوار .

والتاسعة : دخول دار القرار

والعاشرة : سلام الرحيم الغفار .

وفى كتاب « حدائق الأنوار فى الصلاة والسلام على النبى المختار » : الحديقة الخامسة فى الثمرات التى يجتنيها العبد بالصلاة على رسول الله ﷺ والفوائد التى يكسبها ويقتنيها :

الأولى : امتثال أمر الله بالصلاة عليه ﷺ .

الثانية : موافقته سبحانه وتعالى فى الصلاة عليه ﷺ .

الثالثة : موافقة الملائكة فى الصلاة عليه ﷺ .

الرابعة : حصول عشر صلوات من الله تعالى على المصلى عليه ﷺ صلاة واحدة .

الخامسة : أن يرفع له عشر درجات .

السادسة : يكتب له عشر حسنات .

السابعة : يمحى عنه عشر سيئات .

الثامنة : ترجى إجابة دعوته .

التاسعة : أنها سبب لشفاعته ﷺ .

العاشرة : أنها سبب غفران الذنوب وستر العيوب .

الحادية عشر : أنها سبب لكفاية العبد ما أهمه .

الثانية عشر : أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ .

الثالثة عشر : أنها تقوم مقام الصدقة .

الرابعة عشر : أنها سبب لقضاء الحوائج .

الخامسة عشر : أنها سبب لصلاة الله وملائكته على المصلى .

السادسة عشر : أنها سبب زكاة المصلى والطهارة له .

السابعة عشر : أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته .

الثامنة عشر : أنها سبب للنجاة من أهوال القيامة .

التاسعة عشر : أنها سبب لرده ﷺ على المصلى عليه .

الموفية عشرين : أنها سبب لتذكر ما نسيه المصلى عليه ﷺ .

الإحدى والعشرون : أنها سبب لطيب المجلس ، وأن لا يعود على أهله حسرة يوم القيامة .

الثانية والعشرون : أنها سبب لنفى الفقر عن المصلى عليه ﷺ .

الثالثة والعشرون : أنها تنفى عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ .

الرابعة والعشرون : نجاته من دعائه عليه برغم أنفه إذا تركها عند ذكره ﷺ .

الخامسة والعشرون : أنها تأتى صاحبها على طريق الجنة وتخطىء بتاركها عن طريقها .

السادسة والعشرون : أنها تنجى من نتن المجلس الذى لا يذكر فيه اسم الله ورسوله ﷺ .

السابعة والعشرون : أنها سبب الكلام الذى ابتدىء بحمد الله والصلاة على رسوله ﷺ .

الثامنة والعشرون : أنها سبب لفوز العبد بالجواز على الصراط .

التاسعة والعشرون : أنه يخرج العبد عن الجفاء بالصلاة عليه ﷺ .

الموفية ثلاثين : أنها سبب لإلقاء الله تعالى الثناء الحسن على المصلى عليه ﷺ بين السماء والأرض .

الإحدى والثلاثون : أنها سبب رحمة الله عز وجل .

الثانية والثلاثون : أنها سبب البركة .

الثالثة والثلاثون : أنها سبب لدوام محبته ﷺ وزيادتها وتضاعفها وذلك من عقود الإيمان الذى لا تتم إلا به (١) .

الرابعة والثلاثون : أنها سبب لمحبة الرسول ﷺ للمصلى عليه ﷺ .

الخامسة والثلاثون : أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه .

السادسة والثلاثون : أنها سبب لعرض المصلى عليه ﷺ وذكره عنده ﷺ .

السابعة والثلاثون : أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط .

---

(١) إشارة إلى حديث : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» وفى رواية : «ومن نفسه التى بين جنبيه» متفق عليه .

الثامنة والثلاثون : تأدية الصلاة عليه لأقل القليل من حقه ﷺ وشكر نعمة الله التى أنعم بها علينا .

التاسعة والثلاثون : أنها متضمنة لذكر الله وشكره ومعرفة إحسانه .

الموفية أربعين : إن الصلاة عليه ﷺ من العبد دعاء وسؤال من ربه عز وجل ، فتارة يدعو لنبيه ﷺ وتارة لنفسه ، ولا يخفى ما فى هذا من المزيد للعبد .

الإحدى والأربعون : من أعظم الثمرات وأجل الفوائد المكتسبات بالصلاة عليه ﷺ انطباع صورته الكريمة فى النفس .

الثانية والأربعون : أن الإكثار من الصلاة عليه ﷺ يقوم مقام الشيخ المربى (١) . ا . هـ .

---

(١) سبق الكلام عن ذلك .

تمنى رؤيـــة النبى

صلى الله عليه وآله وسلم

جاء فى الهمزية :

ليتــه خصّى بــرؤيــة وجــه ** زال عن كـلّ من رآه العنـــاء

فانتقده بعض الجهلة ، فقلت هذا كلام مؤيد بالحديث المرفوع الصحيح المتصل عن أبى هريرة رضى الله عنـه قال : قال ﷺ : « وليأتين على أحـدكم زمان ، لأن يـرانى أحب إليه من أن يكـون له مثل أهلـه ومـالـه » . رواه البخـارى فـى كتـاب المنـاقب ، بـاب علامات النبوة (نسخة الفتح ٦/ ٦٠٤) .

القناعة بالقليل فى سبيل الجوار

وجدت بخط والدى (رحمه الله) فى بعض أوراقه .

لقرص شعيـر تافه غيـر صالح ... بغير إدام والـذى يعلم النجوى
مع الفقر فى دار الحبيب محمد ... ألذ على قلبى من المن والسلوى
على أننى فيها على كل حـالة ... بتيسير مولانا الكريم كما أهوى

غيرة البوصيـــرى

قال الإمـام البوصيرى فى شأن الحضـرة المحمدية ومدحـه لها وغيرته عليها .

إن لى غيـــرة وقـــد زاحمتنى   فى معـانى مـديحك الشعـراء

وقال النبهـانى مبيناًأن المقام لا يقتضـى الغيرة وهو من همـزيته المشهورة المذكورة فى المجموعة ١١ ٣٨٤١ .

لم يزاحم مداحك البعض بعـ   ـضًا أنت بحر والمادحون دلاء

بين النبهانى وابن عبيد الله

روى لنـا الـــوالـد (رحمــه الله) أن النبهـانى قـــال فى النعلين الكريمتين :

علـى رأس هـذا الكــون نعـل محمـد

سمت فجميع الخلق تحـت ظـلالــه

لدى العرش موسى نودى اخلع وأحمد

إلى العـرش لـــم يـؤمر بخــلع نعــاله

فلما سمع هـذا السيد عبـد الرحمن بن عبيـد الله السقاف مفتى حضرموت لم يعجبه ذلك فرد بقوله :

يقولـون : إن المصطفى ليــلة السُّرى

إلى العـرش لـــم يـؤمر بخــلع نعــاله

وهــذا محـال عنــدنــا فـى مقـام مـن

تــــواضعـــه لله أســـنى خـــلالـــه

قال : ولكن السقاف رأى النبى ﷺ فى النوم وهو يشير إلى باب الصلاة فى النعال ، فلما استيقظ استنبط منها أن المصلى يناجى ربه وذلك جائز فى حالة لبسه لنعاله فلا مانع من أن يكون ﷺ فى حال المناجاة كان بنعاله لأن الحال واحد .

****

فأنت باب الله[1]

للقطب الكبير سيدنا محمد بن أبى الحسن البكرى المصرى : وهى مجربة لقضاء الحوائج ، تقرأ فى آخر الليل بعدما تيسر من الصلاة ، ويكرر بيت : «عجل بإذهاب الذى أشتكى» ٧٣ مرة .

ما أرسل الرحمن أو يرسل ... من رحمة تصعد أو تنزل
فى ملكوت الله أو ملكه ... من كل ما يختص أو يشمل
إلاوطه المصطفى عبده ... نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها ... يعلم هذا كل من يعقل
فلذ به فى كل ما ترتجى ... فإنه المأمن والمعقل
وحط أحمال الرجا عنده ... فإنه المرجع والموئل
وناده إن أزمة أنشبت ... أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق على ربه ... وخيرَ من فيهم به يسأل
قد مسنى الكرب وكم مرةٍ ... فرجت كربًا بعضه يذهل
فبالذى خصك بين الورى ... برتبة عنها العلا تنزل
عجل بإذهاب الذى أشتكى ... فإن توقفت فمن ذا أسأل ؟ [2]
فحيلتى ضاقت وصبرى انقضى ... ولست أدرى ما الذى أفعل ؟

---

(١) هذا من قبيل التشبيه البليغ حيث حذفت فيه الأداة ووجه الشبه ووقع المشبه به خبراً عن المشبه فالنبى ﷺ كالباب حيث يتوصل بهديه ومحبته واتباعه إلى معرفة الله والفوز برضاه، قال تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم . .﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله . .﴾ الآية .

(٢) التعليق على ما يثار من اعتراضات حول أبيات القصيدة =

ولن تــرى أعجـــز منى فمــا ... لشـــــدة أقـــوى ولا أحمل
فأنـت بـاب الله أى امـــرىء ... أتـــاه من غيـــرك لا يــدخل
عليك صلى الله مـا صـافحت ... زَهْـرَ الــروابى نسَمــةُ شمْـأَلُ
مسلمًـا ما فـاح عطـر الحمى ... وطــاب منـه النـــد والمنــدل
والآل والأصحـاب مـا غـردت ... ســاجعــة أملـودهــا مخضل

= أولاً عنوان القصيدة : « فأنت باب الله » .

نعم هو ﷺ بـاب الله فلا دخـول على حضرة الحق إلا بـواسطته ﷺ ، أخـرج ابن حميد وابن عوانة : يقول الله سبحانه وتعالى فى حديثه القدسى : «وعزتى وجلالى لو أتونى من كل طريق واستفتحـوا من كل باب مـا فتحت لهم حتى يدخلوا من طـريقك » فلا طـريق توصل العبـاد إلى الله إلا طريقـه ﷺ ولا بـاب يفتح لهم إلا بـابه ﷺ ، وهـو ﷺ السـر الرحمـانى السـارى فى العوالم كلهـا كمـا يشير إلـى هذا قـولـه تعالى : ﴿ ومـا أرسلنـاك إلا رحمـــة للعالمين ﴾ وهـو ﷺ واسطة الخيرات والبـركات والإمـدادات كما يشير إليـه صاحب النظم بقوله : «واسطة فيها وأصل لها» .

= ثانياً : معنى الواسطة . .

العطـاء كلـه من الله الكـريم الـوهـاب ولا مانـع أن يكون بـواسطتـه ﷺ كمـا جـاء فى الصحيح : « إنما أنا قاسم والله معط » فـالله سبحانه وتعالى يجرى الخيـرات على يديه فليس معنى الـواسطة ــ كما يفهم الجهلـة ــ عبادة النبي ﷺ ليقـرب من فعل ذلك إلى الله زلفى ، ويقولـون : لا واسطة بين العبد وربـه ، والله أقرب إلى عبـده من حبل الوريد ، فهـذا مما لا ينبغى النزاع حـوله . وبقى أن نقول لهم : أليـس رسول الله ﷺ هو واسطـه بين الله وخلقه فى تبليغ رسالته إليهم ؟ أليس هو واسطة بين الله وخلقـه فى الشفاعة العظمى يوم يشتد الكرب ؟ فلماذا لا يكـون واسطة فى العطاء الإلهى والجود الـربانى ؟ إن المتأمل فى قولـة تعالى : ﴿ وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضلـه ﴾ وفى الآية التى سبقتها فى السورة نفسها : ﴿ وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ﴾ فلماذا عطف الله سبحانه معه رسوله ﷺ عند ذكر الفضل والعطاء ؟

ثالثاً : قول الناظم : ولذبه فى كل ما ترتجى فإنه المأمن والمعقل . =

= إنه ﷺ المأمن والحاجز من عذاب الله فى الدنيا والآخرة بشخصه وشرعه وشفاعته ألم يقل سبحانه : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ؟ ألم يقل سبحانه ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيماً ﴾ ؟ فكيف لا يكون ﷺ بعد ذلك المأمن والملاذ ؟

رابعاً : قول الناظم :

عجل بإذهاب الذى أشتكى ... فإن توقفت فمن ذا أسأل ؟

هنا شبهة تعترض لكثير من الناس ، وهى كيف يسأل ﷺ وينادى عند النوازل والشدائد فى الدنيا والآخرة مع أنه ﷺ هو القائل : إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ... الخ ؟ فإن ظاهر هذا الحديث أنه لا سؤال ولا استعانة إلا بالله والجواب على هذا ـ كما ذكره الشيخ محمد حسنين مخلوف فى المطالب القدسية ـ بأن ما كتبه الله للعبد أزلاً : إما أن يكون مقدرًا وصوله إليه منه تعالى مباشرة ، سواء كان معلقاً بدعاء العبد لله أولا ، وإما أن يكون مقدراً وصوله إليه بواسطة مخلوق يسخره الله له ، سواء كان معلقاً بسؤال المخلوق أو الاستعانه به أولا ... ثم قال بعد ذلك : ويحمل حديث ابن عباس على أن من سأل مخلوقًا أو استعان به فعليه أن يعتقد أن الحق سبحانه وتعالى هو المسئول حقيقة والمستعان به وهو الفعال لما يريد المقدر للأمور المسخر للأسباب ، اهـ فعلى هذا يكون سؤاله ﷺ على سبيل المجاز ومن باب الأخذ بالأسباب والمسئول حقيقة هو الله .

ومما يدل على هذا المجاز قول الأعرابى الذى سبق ذكره .

وليس لنا إلا إليك فرارنا ... وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

والذى يقطع النزاع فى هذه المسألة ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكياً ﴾ وفى هذا نرى أن جبريل عليه السلام أسند الهبة إلى نفسه مع أن الواهب حقيقة هو الله وهذا من المجاز العقلى الشائع استعماله فى اللغة ، وإذا كان سؤاله ﷺ ونداؤه شركاً أو كفراً فكيف علم الصحابى الجليل فى حديث التوسل أن يقول : « يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى هذه » ؟الحديث وسيأتى الكلام عليه فيما بعد .

وكيف يأتى بلال بن الحارث المزنى الى قبره الشريف ﷺ عام الرمادة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ ويقول : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ؟

وهو ﷺ صاحب الشفاعة العظمى الذى يتوجه إليه الناس جميعاً يوم القيامة ويسألونه الشفاعة فيشفع لهم . =

= وفى صحيح مسلم عن ربيعه بن كعب (رضى الله عنه) قال : كنت أبيت مع رسول ﷺ فآتيه بوضوئه وحاجته فقال لي : سلنى ، فقلت : أسألك مرافقتك فى الجنة قال : أو غير ذاك ؟ قلت هو ذاك : ـ الحديث فهل بعد هذا تبقى شبهة لمعترض ؟

خامساً : القاعدة : أن من طلب من مخلوق شيئاً هو قادر عليه فلا شك فى جواز طلبه ، وعلى هذا نقول : هل النبى ﷺ قادر على تفريج الكربات والشدائد ـ كما طلب الناظم فى القصيدة ـ بنفسه أم بإذن الله ؟ فإن قلنا بنفسه فلا يجوز وإن قلنا بإذن الله وهو الثابت فى الكتاب والسنة والعقل ـ فلا شك فى جواز ذلك ومنه سؤال قتادة له ﷺ رد عينه كما فى الحديث الصحيح ، والله اعلم .

تقبيل اليد احترامًا وتقديرًا (١)

قال فضيلة الشيخ محمد نور سيف فى قضية تقبيل اليد :

ووفـد عبـد القيـس منـه قبلـوا	يـديـه مع رجليــه حين أقبلـوا
كـذا اليهــوديـان لمـا قــدمـا	عليــه قبـــلاهمـــا وأسلمـــا
صلى عليـــه ربنـــا وسلمـــا	والآل والصحب ومن له انتمى
ولم يـزل ذلك من فعل السلف	يرويـه عنهمُ جماهيـر الخلف
وبـالخصـوصيــة لم يـرد أثـرْ	فمـدعيهـا الآن يلقم الحجـرْ
نظمهـا ابن أخت خـالتى لمن	أراد أن يعرف ما جاء فى السنن

(١) هذا و للعلامة الشيخ الغمـــارى (رحمـــه الله) رسالة فى جـواز التقبيـل تسمـى : « إعلام النبيل بجواز التقبيل » وذكر الشيخ الشنقيطى عن ابن بطال قوله : اختلفوا فى تقبيل اليد فكرهه مالك إذا كان على وجه التكبـر والتعظيم ، وأما إذا كان على وجه القـربه إلى الله تعالى لدينه أو لعلمه أو لشرفه فإن ذلك جائز .

وقال النووى : تقبيل يد الرجل لزهده وصـلاحه أو علمه أو شرفه أو صيانته أو نحو ذلك من الأمور الدينيـة لا يكره ، بل يستحب ، فإن كان لغناه أو شـوكته أو جاهه عنـد أهل الدنيا فمكروه شـديد الكراهة ولا يجـوز ، ومما يدل على جـواز تقبيل اليد ما أخرجـه البخارى فى الأدب المفـرد وأبو داود عن ابن عمـر رضى الله عنهما أنهـم لما رجعـوا من الغزو حيث فـروا قالوا : نحن الفرارون ، قال : لا بل أنتم العكارون وأنا فئة المؤمنين ، قال : فقبلنا يده ، وما أخرجه البيهقى فى الدلائل : أن أبا لبابة قبل يد رسول الله ﷺ حين تاب الله عليه .

وأيضـا ما ثبت عن زيـد بن ثـابت رضى الله عنه أنـه قبل يـد عبد الله بن عبـاس رضى الله عنهما حين أخذ بركابه وقال له : هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا ﷺ كما قال له ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فضل القبر الشريف على الكون

جـزم الجميع بأن خير الأرض مـا قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقـد صـدقوا بسـاكنهـا علت كالنفس حين زكـت زكى مأواها

نقل القاضى عياض (رحمه الله) فى شرح مسلم الإجماع على أن محل قبر المصطفى ﷺ أفضل البقاع الأرضية حتى الكعبة .

السرور بالمولد النبوى

جاء فى البخـارى أنه يخفف عن أبى لهب كل يـوم اثنين بسب عتقه لثويبة جاريته لما بشرته بولادة المصطفى ﷺ (انظر البخارى كتـاب النكـاح بـاب «وأمهـاتكم الـلاتى أرضعنكـم ويحـرم من الرضاعة ما يحرم من النسب) .

قلت : ويقـول فى ذلك الحـافظ شمس الـدين بن نـاصـر الدمشقى :

إذا كـان هذا كـافـرًا جاء ذمُّـه بتبت يداه فـى الجحيم مخلدا
أتى أنـه فى يـوم الاثنين دائمًـا يخفف عنـه للسـرور بأحمـدا
فما الظن بالعبد الذى كان عمره بأحمد مسـرورًا ومات مـوحدا

رثـــاء

قالت صفية بنت عبد المطلب ترثى رسول الله ﷺ :

ألا يـا رسول الله كنـت رجاءنـا   وكنت بنـا بـرّاً ولم تك جـافيـا
وكنت رحيمًـا هـاديًـا ومعلمًـا   ليبك عليك اليـوم من كـان باكيـا
صدقت وبلغت الرسـالة صادقًا   ومت صليب العـود أبلج صافيـا
فدىً لـرسول الله أمى وخـالتى   وعمى وخـالى ونفسى ومـاليـا
لعمـرك مـا أبكى النبى لفقـده   ولكن لمـا أخشى من الهجـر آتيا
كأن على قلبى لـذكـر محمـد   وما خفت من بعـد النبى مطاويا
فلـو أن رب النـاس أبقى نبينـا   سعدنـا ولكن أمـره كان مـاضيا
عليك من الله الســلام تحيــة   وأدخلت جناتٍ من العـدن راضيا
أفـاطم صلـى الله ربُّ محمـد   على جـدث أمسى بطيبـة ثاويـا

لصفية بنت عبد المطلب أو أروى (استيعاب ـ طبقات) .

فذو العرش محمود وهذا محمد

قال حسان فى الديوان :

أغـر عليـه للنبـوة خـاتم   من الله مشهـود يلـوح ويشهـد
وضم الإله اسم النبى إلى اسمه   إذا ما قال فى الخمس المؤذن : أشهد
وشق لـه مـن اسمـه ليجلـه   فذو العـرش محمود وهـذا محمد

نبى أتـــانـــا بعـــد يـأس وفتـــرة

من الرسل والأوثـان فى الأرض تعبدُ

فأمسى سـراجًـا مستنيرًا وهـاديًـا

يلـــوح كمـــا لاحَ الصقيل المهنـــد

فأنـــذرنـــا نـــارًا وبشـــر جنـــةً

وعلمنـــا الإســـلام فـــالله نحمـــدُ

****

النبى ﷺ هو ركننا وملاذنا وعصمتنا

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

يـا ركن معتمـد وعصمـة لائذٍ ... ومـلاذ منتجع وجـار مجـاور

يـــا من تخيـره الإلـــه لحقـــه ... فحياه بـالخلق الزكى الطـاهر

أنت النبى وخيـــر عصبـــة آدم ... يا من يجود كفيض بحر زاخر

ميكال معك وجبرائيل كلاهما ... مـدد لنصرك من عـزيز قـادر

(الإصابة والروض الأنف ـ «غزوة بدر»)

تسبيح الطعام فى كفه

صلى الله عليه وآله وسلم

جاء فى مولد البرزنجى (رحمه الله) أن الطعام والحصباء سبحت فى كفه ﷺ ، وقد انتقدت على من قرأ ذلك وقلت له : الأولى أن يقال : أنه سمع تسبيح الطعام والحصباء فى بطن كفه ، أما مجرد التسبيح فليس بذى بال عندى ، فجلال المعجزة عن عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) : « ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل » رواه البخارى فى كتاب المناقب ـ باب علامات النبوة ، نسخة الفتح .

****

توسل

قــد أتينـا إلى حمــاك السنى   يــا نبيًــا قــد ســاد كل نبى
واتجهنـا إلى الحمى بانكسـار   وشـــددنـــا إليــه مَتْـن المطى
وحططنا الـرحال فى بـاب عز   ورمينـــا الأثقــال فى خيــر فى

ثم قال :

يـا مـلاذ الــورى وخيـر عيـان   ورجــــــــاء لكـل دان قصـى
لك وجهى وجهت يا أبيض الو   جـه فــوِّجـه إليـه وجْــه الـولى
حـاش لله أن أكـون مضــاقـا   بعــد أن جئت للمقــام العلى
وأتيـت الحمـى بظـن جميـل   وسلـوك على الصـراط السـوى
كيف لا أبلغ المـرام وأنت الــ   ــباب لله ذى العطــاء الـوفى؟
ما جـوابى إذا رجعت ، وقـالوا   ما الذى نلت من جناب النبى؟
أفترضَ الرجـوع لى مثلما جئتـ   ـك صفر اليـدين يا ذا الصفى؟
قد تـوسلت عند بابك بـالصد   يق والصـــاحب التقـى النقى
وبفـاروقك الضجيع الذى قـد   كنت تـرضى بحكمه المـرضى
وبعثمان ذى الحياء شهيد الدا   ر من حـــاز كل وصـف بهيّ
وبيعســـــوبك الإمــــام على   قالع الباب فـى الوغى الخيبرى

هـذه القصيدة لـلإمام العـارف بـالله الشيخ عمر اليـافى الخلـوتى ــ المتوفى سنة ١٢٣٣ هـ .

****

على أى شىء كانوا يؤذنون فى العهد النبوى

اختلف أهل النقل : هل كانوا يؤذنون بين يدى النبى ﷺ أو على منار ؟ .

والذى نقله أصحابنا المالكية : أنه على المنار ، نقله عبد الرحمن بن القاسم فى « المجموعة » وفى « المرقاة » عن ابن قاسم عن مالك أن الأذان فى زمنه عليه السلام كان على المنارة ـ وفى المدخل لأبى عبد الله بن الحاج : السنة فى أذان الجمعة إذا صعد الإمام على المنبر أن يكون المؤذن على المنار ، كذلك كان فى عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر ، ا . هـ .

****

التبرك بعصا النبى

صلى الله عليه وآله وسلم

وفى « جمع الجوامع » عـازيًا للبيهقى وابن عساكـر عن محمد ابن سيرين ، عن أنس بن مالك : أنه كـان عنده عُصّية لرسول الله ﷺ فمات فدفنت معه بين جنبيه وقميصه [1] .

(انظر ص ١٠ من الجزء السابع من كنز العمال) .

(١) لا شك أن التبـرك بـذات النبى ﷺ وآثـاره مشـروع لمـا ورد فى ذلك مـن الأخبـار والأحاديث الصحيحة ومـا ثبت عن أصحابه رضى الله عنهم أنهم كانوا يتبركـون بآثاره ﷺ ، ومن ذلك ما رواه البخـارى فى صحيحه ، من حديث صلح الحـديبية وفيه : « ... فـوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم ، فـدلك بها وجهه وجلده ... وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ... » الخ .

ومنها ما فعله معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه حين طلب شراء بردة النبى ﷺ من كعب ابن زهير ، فقـال : لا أوثر بثوب رسـول الله أحداً فلما مـات كعب اشتراها معـاوية من أولاده بعشرين ألفاً ، ولمـا حضره الموت أوصى أن يكفن فيها ، وكان عنده قـلامة أظفار النبى ﷺ فأوصى أن تسحق وأن تجعل فى عينيه ، / [كتاب الاشارات إلى أماكن الزيارات للحورانى] . فكل هذا ، يدل على أن رسول الله ﷺ ذاته ومـا انفصل من جسده من شعر وعرق ولباس ، وما استعمله مـن الأوانى يجوز التبرك به وطلب الشفـاء به ، ويرجى بسببه الفائدة فـى الدنيا والآخرة .

حكم وفوائد من شق صدره الشريف

صلى الله عليه وآله وسلم

الفائدة الأولى : قال العلامة ابن المنّير : وشق الصدر له ﷺ وصبره عليه من جنس ما ابتلى الله تعالى به الذبيح وصبر عليه بل هذا أشق وأجل لأن تلك معاريض ، وهذه حقيقة وأيضًا فقد تكرر ووقع له وهو صغير يتيم بعيد عن أهله ﷺ .

الفائدة الثانية : سئل شيخ الإسلام أبو الحسن السبكى (رحمه الله تعالى) عن العلقة السوداء التى أخرجت من قلبه ﷺ حين شق فؤاده ، وقول الملك : هذا حظ الشيطان منك ، فأجاب (رحمه الله تعالى) : بأن تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها ، فأزيلت من قلبه ﷺ فلم يبق فيه مكان لأن يلقى الشيطان فيه شيئًا .

هذا معنى الحديث ولم يكن للشيطان فيه حظ ، وأما الذى نفاه الملك فهو أمر فى الجبلة البشرية فأزيل القابل الذى لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف فى القلب ، قيل له : فلم خلق الله تعالى هذا القابل فى هذه الذات الشريفة وكان يمكن أن لا يخلقه الله تعالى فيها ؟ فقال : إنه من جملة الأجزاء الإنسانية فخلق تكملة للخلق الإنسانى ، ولابد منه ، ونزعه كرامة ربانية طرأت .

وقال غيره : لو خلق الله نبيه ﷺ كذلك لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته ﷺ فأظهره الله تعالى على يد جبريل عليه الصلاة والسلام ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر ﷺ .

الفائدة الثالثة : قال الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة : الحكمة فى شق صدره ﷺ مع القدرة على أن يمتلىء قلبه إيمانًا وحكمة من غير شق صدره ﷺ الزيادة فى قوة اليقين لأنه أعطى برؤيته شق صدره وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان ﷺ أشجع الناس حالاً ومقالاً ، ولذلك وصفه الله بقوله تعالى : « ما زاغ البصر وما طغى » .

الفائدة الرابعة : فى الحكمة فى تكرره ، قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله تعالى) بعد أن ذكر الأولى والثالثة والرابعة : ولكل من الثلاث حكمة ، فالأولى كانت فى زمن الطفولية لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم عند البعث زيادة فى إكرامه لتلقى ما يلقى إليه بقلب قوى فى أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع عند إرداة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة .

قال الحافظ الشامى : قلت : وسئلت عن حكمة المرة الثانية مع ذكره إياها فى كتاب التوحيد جازماً بها : ويحتمل أن يقال : لما كان التمييز فى ثامن سن التكليف شق صدره ﷺ وقدس ، حتى لا يتلبس بشىء مما يعاب على الرجال ، والله أعلم .

قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله تعالى) : ويحتمل أن تكون

الحكمة فى هذا الغسل لتقع المبالغة فى الإسباغ بحصول المرة الثالثة ، كما هى شرعه ﷺ .

وقال ابن أبى جمرة (رحمه الله تعالى) : وإنما غسل قلبه ، وقد كان مقدساً وقابلاً لما يلقى فيه من الخير ، وقد غسل أولاً وهو صغير السن ، وأخرجت منه العلقة إعظامًا وتأهبًا لما يلقى هناك « يعنى فى المعراج » وقد جرت الحكمة بذلك فى غير موضع ، مثل الوضوء للصلاة لمن كان هناك متوضأ ، لأن الوضوء فى حقه إنما هو إعظام وتأهب للوقوف بين يدى الله تعالى ومناجاته ، ولذلك الزيادة على الواحدة والثنتين إذا أسبغ بالأولى ، لأن الإجزاء قد حصل ، وبقى ما بعد الإسباغ إلى الثلاث : إعظامًا ، وكذلك غسل الباطن هنا .

وقد قال تعالى : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » فكان الغسل له ﷺ من هذا القبيل ، وإشارة لأمته بالفعل بتعظيم الشعائر كما نص لهم عليه بالقول .

وقال البرهان النعمانى (رحمه الله تعالى) : قد حسن لداخل الحرم الشريف الغسل ، فما ظنك بداخل الحضرة المقدسة ، فلما كان الحرم الشريف من عالم الملك ، وهو ظاهر الكائنات أنيط الغسل له بظاهر البدن فى عالم المعاملات ، ولما كانت الحضرة الشريفة من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات ، أنيط الغسل بباطن البدن فى الحقيقات . وقد عرج به لتعرض عليه

الصلاة ، وليصلى بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة الطهور ، فقدس ظاهرًا وباطنًا ﷺ .

فإن قلت : إن الله خلقه نورًا متنقلاً من الأنبياء ، وفى صفاء النور ما يغنى عن التطهير الحسى ، ثم إن المرة الأولى لم تكن كافيه فى تطهير الباطن ، ويلزم عليه أنه بعد النبوة كان فيه شىء يحتاج إلى ذلك ، وهو منزه عن أدران البشرية ، قلت : الأولى ، لعلم اليقين ، والثانية لعين اليقين ، والثالثة لحق اليقين .

الفائدة الخامسة : قال السهيلى : وخص الذهب لكونه مناسبًا للمعنى الذى قصد به ، وإن نظرت إلى لفظ الذهب ، فمطابق للذهاب وإن الله تعالى أراد أن يذهب عنه الرجس ويطهره تطهيرًا ﷺ وإن نظرت إلى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شىء وأصفاه .

الفائدة السادسة : يؤخذ من غسل قلبه ﷺ بماء زمزم أنه أفضل المياه وبه جزم الإمام البلقينى قال ابن أبى جمرة : إنما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع فى زمزم من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر فى الأرض ، فأريد بذلك بقاء بركته ﷺ فى الأرض .

وقال غيره : لما كان ماء زمزم أصل من أوتيه إسماعيل ﷺ وقد ربى عليه ونما عليه قلبه وجسده وصار هو صاحبه وصاحب البلدة المباركة ناسب أن يكون ولده الصادق المصدوق كذلك ، ولما فيه

من الإشارة إلى اختصاصه بذلك بعده ، فإنه قد صارت الولاية إليه فى الفتح ، فجعل السقاية للعباس ولده وحجابة البيت لعثمان بن أبى شيبة وعَقِبه إلى يوم القيامة .

الفائدة السابعة : الحكمة فى غسل صدره ﷺ بماء الثلج والبرد ـ هى مع ما فيها من الشفاء وعدم التكدر بالأجزاء الترابية التى هى محل للأرجاس وعنصر الأكدار ـ الإيماء إلى أن الوقت يصفو له ولأمته ، ويروق لشريعته الغراء وسنته والإشارة إلى ثلوج صدره (أى انشراحه) بالنصر على أعدائه والظفر بهم ، والإيذان ببرودة قلبه (أى طمأنينته) على أمته بالمغفرة لهم والتجاوز عن سيئاتهم .

وقال ابن دحية : إنما غسل قلبه بالثلج لما يشعر به من ثلج اليقين إلى قلبه ، وقد كان ﷺ يقول بين التكبير والقراءة : « اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والبرد » وأراد تعالى أن يغسل قلبه بماء حمل من الجنة فى طست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانًا ليعرف قلبه طيب الجنة ويجد حلاوتها فيكون فى الدنيا أزهد وعلى دعوة الخلق إلى الجنة أحرص ، ولأنه كان له أعداء يتقولون عليه فأراد الله تعالى أن ينفى عنه طبع البشرية من ضيق الصدر وسوء مقالات الأعداء ، فغسل قلبه ليورث ذلك صدره سعة ، ويفارقه الضيق .

كما قال تعالى : « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون »

فغسل قلبه غير مرة فصار بحيث إذا ضرب أوشج رأسه أو كسرت رباعيته ــ كما فى يوم أحد ـ يقول : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » .

الفائدة الثامنة : اختلف فى تفسير الحكمة ، فقيل : إنها العلم المشتمل على معرفة الله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس ، وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده ، والحكيم من حاز ذلك .

قال الإمام النووى : هذا ما صفا لنا من أقوال كثيرة : انتهى .

وقد تطلق الحكمة على القرآن ، وهو مشتمل على ذلك كله ، وعلى النبوة كذلك ، وقد تطلق على العلم فقط ، وعلى المعرفة فقط ، ونحو ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر : أصح ما قيل فيها : أنها وضع الشىء فى محله أو الفهم فى كتاب الله تعالى » وعلى التفسير الثانى قد توجد الحكمة دون الإيمان ، وقد لا توجد ، وعلى الأول قد يتلازمان لأن الإيمان تدل عليه الحكمة .

****

خطبة عمر بن الخطاب لما سمع بوفاة الحبيب

صلى الله عليه وآله وسلم

روى أن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) سُمِعَ بعد موت رسول الله ﷺ يبكى ويقول :

« بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد كان جذع تخطب الناس عليه ، فلما كثر الناس اتخذت منبرًا لتسمعهم ، فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن ، فأمتك أولى بالحنين إليك لمّا فارقتهم .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته ، فقال عز وجل : «من يطع الرسول فقد أطاع الله» .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله . لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم ، فقال عز وجل : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم . . . » الآية .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل

النار يـودون أن يكونوا قـد أطاعوك ، وهـم بين أطباقها يعـذبون ، يقولون : «يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا » .

بأبى أنت وأمى يا رسـول الله ، لئن كان موسى بن عمـران أعطاه الله حجرًا تتفجـر منه الأنهـار ، فماذا بأعجب من أصـابعك حين نبع الماء منها ﷺ . !

بأبى أنت وأمى يا رسول الله لئن كـان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غُدوها شهر ورواحهـا شهر ، فماذا بأعجب من البراق حين سـريت عليه إلى السمـاء السابعـة ، ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح ﷺ . !

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء المـوتى ، فماذا بأعجب من الشاة المسمـومة حين كلمتك وهى مشوية ، فقالت لك الذراع : لا تأكلنى فإنى مسمومة .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد دعا نـوح على قومـه فقـال : « رب لا تـذر على الأرض من الكافـرين ديّارًا » ولـو دعوت علينـا بمثلها لهلكنـا كلنا ، فلقـد وطِىءَ ظهرك وأدمى وجهـك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقـول إلا خيرًا ، فقلت : « اللهم اغفـر لقومى فإنهم لا يعلمون » .

بأبى أنـت وأمى يـا رسـول الله ، لقـد اتبعك فى قلـة سنيك

وقصرعمرك مـا لم يتبع نوحًا فى كثرة سنيه وطـول عمره ، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل .

بأبى أنت وأمى يـا رسـول الله ، لـو لم تجالس إلا كفـؤًا لك مـا جـالستنـا ، ولو لم تنكـح إلا كفؤًا لك مـا نحكت إلينـا ، ولـو لم تؤاكل إلا كفـؤًا لك ما واكلتنا فلقد « والله » جالستنـا ونكحت إلينا وواكلتنـا ، ولبست الصـوف وركبت الحمـار وأردفت خلفك ، ووضعت طعـامك على الأرض ، ولعقت أصـابعك تواضعًـا منك صلى الله عليك وسلم .

قلت : ذكـر هـذه الخطبـة الإمـام الغـزالى ، وابن الحـاج فى المدخل ولم يعزها واحد منهم إلى أحد [1] .

(١) قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحيـاء : هذا الحديث غريب بطوله وهو معروف من أوجه أخـرى فحديث حنين الجذع متفق عليه وكذلك نبع المـاء من بين أصابعه ﷺ وحديث الاسراء متفق عليـه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بـالأبطح ، وحديث كلام الشـاة المسمومة رواه أبـو داود ، وحديث : دمى وجهـه وكسرت رباعيتـه متفق عليه ، وحديث اللهم اغفـر لقومى . . ـ الخ رواه البيهقى فى دلائل النبوة ، وحـديث لبس الصوف رواه الطيالسى من حديث سهل ، وحديث ركوبه الحمار وإردافه خلفه متفق عليه ، وحديث وضع طعامه بالأرض رواه أحمد فى الزهـد والبخارى فى حديث أنس : ما أكل رسول الله ﷺ على خوان قط ، وحديث لعقه أصابعه رواه مسلم . انظر هامش الإحياء جـ ١ ص ٣٦٨ .

معنى قوله عليه الصلاة والسلام
أنتم أعلم بأمور دنياكم

قال الشيخ ابن المبارك فى الإبريز ، يسأل شيخه الإمام سيدى عبد العزيز الدباغ :

سألته (رضى الله عنه) عن حديث تأبير النخل ـ الذى هو فى صحيح مسلم ، حيث مر عليهم وهم يؤبرون النخل ـ فقال عليه الصلاة والسلام : ما هذا ؟ فقالوا : بهذا تصلح يا رسول الله . فقال ﷺ : لو لم تفعلوا لصلحت ، فلم يؤبروها ، فجاءت شيصًا غير صالحة ، فلما رآها عليه الصلاة والسلام بعد ذلك قال : ما بال هذه التمر هكذا ؟ قالوا : يا رسول الله قلت لنا كذا وكذا ، فقال ﷺ : أنتم أعلم بدنياكم .

فقال (رضى الله عنه) : قوله ﷺ : لو لم تفعلوا لصلحت ، كلام حق وقول صدق ، وقد خرج منه هذا الكلام على ما عنده من الجزم واليقين ، بأنه تعالى هو الفاعل بالإطلاق ، وذلك الجزم مبنى على مشاهدة سريان فعله تعالى فى سائر الممكنات مباشرة بلا واسطة ولا سبب بحيث إنه لا تسكن ذرة ولا تتحرك شعرة ولا يخفق قلب ولا يضرب عرق ولا تطرف عين ولا يومىء صاحب إلا وهو تعالى فاعله مباشرة من غير واسطة . وهذا أمر يشاهده النبى ﷺ كما يشاهد غيره من سائر المحسوسات ، ولا يغيب

ذلك عن نظره لا فى اليقظة ولا فى المنام لأنه ﷺ لا ينام قلبه (الذى فيه هذه المشاهدة) ولاشك أن صاحب هذه المشاهدة تطيح الأسباب من نظره ، ويترقى عن الإيمان بالغيب إلى الشهود والعيان فعنده فى قوله تبارك وتعالى : « والله خلقكم وما تعملون» ، مشاهدة دائمة لا تغيب ويقين يناسب هذه المشاهدة ، وهو أن يجزم بمعنى الآية جزمًا لا يخطر معه بالبال نسبة الفعل إلى غيره تعالى ، ولو كان هذا الخاطر قدر رأس نملة . ولاشك أن الجزم الذى يكون على هذه الصفة تخرق به العوائد وتنفعل به الأشياء ، وهو سر الله تعالى الذى لا يبقى معه سبب ولا واسطة ، فصاحب هذا المقام إذا أشار إلى سقوط الأسباب ونسبة الفعل إلى رب الأرباب ، كان قوله حقًا وكلامه صدقًا . وأما صاحب الإيمان بالغيب فليس عنده فى قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » مشاهدة بل إنما يشاهد نسبة الأفعال إلى من ظهرت على يده ولا يجذبه إلى معنى الآية . ونسبة الفعل إليه تعالى بالإيمان الذى وهبه الله تعالى له ، فعنده جاذبان : أحدهما من ربه ، وهو الإيمان الذى يجذ به إلى الحق ، وثانيهما من طبعه، وهو مشاهدة الفعل من الغير الذى يجذبه إلى الباطل ، فهو بين هذين الأمرين دائمًا ، لكن تارة يقوى الجاذب الإيمانى ، فتجده يستحضر معنى الآية السابقة ساعة وساعتين ، وتارة يقوى الجاذب الطبعى فتجده يغفل عن معناها اليوم واليومين .

وفى أوقات الغفلة ينتفى اليقين الخارق للعادة ، فلهذا لم يقع ما أشار إليه النبى ﷺ لأن الصحابة (رضى الله عنهم) فاتهم اليقين الخارق الذى اشتمل عليه باطنه ﷺ وبحَسْبِهِ خرج كلامه الحق وقوله الصدق ، ولما علم ﷺ العلة فى عدم وقوع ما ذكر وعلم أن زوال تلك العلة ليس فى طوقهم (رضى الله عنهم) : أبقاهم على حالتهم ، وقال : «أنتم أعلم بدنياكم » .

قال ابن المبارك (رحمه الله) بعد هذا الكلام ، قلت : فانظر وفقك الله هل سمعت مثل هذا الجواب أو رأيته مسطورًا فى كتاب مع إشكال الحديث على الفحول من علماء الأصول؟ [1] .

---

(١) خلاصة ما يفهم من كلام صاحب الإبريز : أن النبى ﷺ قال لهم ذلك بحسب ما عنده من اليقين والتوكل على الله فيكون المعنى لو لم تفعلوا (أى متوكلين وموقنين بأنه تعالى هو الفاعل لكل شىء فى مقام مشاهدتكم لسريان فعله سبحانه فى الأشياء) لصلحت ، فلما علم منهم ﷺ أنهم لا يطيقون هذه الحالة تركهم رحمة بهم وقال : أنتم أعلم بشئون دنياكم ، فيكون كلامه ﷺ خرج مخرج الحق والصدق فحاشاه ﷺ غير ذلك ، وأما قوله : أنتم أعلم بشئون دنياكم فهذا أفعل تفضيل لا مفاضله فيه بين النبى ﷺ وأصحابه وهو بمنزلة ترك العلم بأمور الدنيا إليهم حتى لا يكون فى ذلك مشقة عليهم ، وهذا أحسن ما يقال فى هذا الحديث تنزيهاً للنبى ﷺ عن الكذب فى أقواله وأفعاله فهو ﷺ كما وصفه ربه : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » والله أعلم .

فائدة [عدد الذين بالوا فى حجر النبى] (١)
(صلى الله عليه وآله وسلم)

بال فى حجر النبى ﷺ صبية نظمها بعضهم ، فقال :

قد بـال فى حجر النبـى أطفال ... حسن حسين ، ابن الزبير بالوا
كـــذا سليمـــان بن هشـــام ... وابن أم قيس ، جاء فى الختام

(اهـ . موهبه ذى الفضل ـ باب النجاسة)

فائدة (كم سجد الرسول ﷺ للسهو ؟ وهل يسهو النبى ؟)

سجـــــد النبى لسهــــوه ... خمسًـــــا أتت مثل القمـــر
قل شك فـى عـدد الـركـوع ... وخـــامس فـــاق الـــزهـــر
وأتـى الســـــلام من اثنتيـن ... كـــذا الثــلاث هى الغـــرر
تـــرك التشهـــد قـــائمًـــا ... مـــن ركعتين أتـى الخبـــــر

(بجيرمى على الخطيب ج ٢/ ص ١٠)

---

(١) عاب بعض المعـاصرين ذكر المؤلف (أكـرمه الله) لهذا الفائدة مـدعياً أن الاهتمام بمثل هذه الأمـور لا فائدة فيه وهناك الأولى من ذلك من أمـور جهاده ﷺ وتربيته لأمتـه وغير ذلك ، ونقول له : إن أهل العلم والفضل لم يتركوا شيئاً مما يتعلق بالنبى ﷺ وآثاره إلا ذكروه وبينوه لعل أن يكون هناك حكم من الأحكـام يتصل بذلك ، وفى الحديث الصحيح أن رجلاً من اليهود : قال لسلمان الفارسى : علمكم نبيكم كل شىء حتى الخراءة فقال : نعم » الخ فتنبه . اهـ .

وهل يسهو النبى

(صلى الله عليه وآله وسـلم)

يـا سـائلى عـن رسـول الله كيف سهـا
والسهـو مـن كل قلب غـافل لاهى
قـد غـاب عن كل شىء سـره فسهـا
عمـا سـوى الله ، فـالتعظيم للهِ

ا هـ. بجيرمى على الخطيب ج ٢ ص ١٠٠ .

أفضل المياه

وأفضل الميـاه مـاء قـد نبع   من بين أصـابـع النبى المتبع
يليـه مـاء زمـزم فـالكـوثـر   فنيل مصـر فتليـه الأنهـر

وإنما كان ماء كفه ﷺ أفضل وذلك لوجهين :

الأول : أن الرسول ﷺ أفضل المخلوقات كلها وأجلها على الإطلاق فكل ما خرج منه تابع له فى الأفضلية ، ولذا كانوا يتبركون بفضلاته ﷺ .

الثانى : أن هذا الماء حديث عهد بربه وكان الرسول ﷺ يخرج رأسه عند نزول المطر ويقول : « مرحبًا بماء حديث عهد بربه » هذا وقد أجمعوا على أن هذا الماء أفضل المياه ، وفى خروج الماء من كفه صلى الله عليه وآله وسلم معجزة له ولذا يقول :

إن كان موسى سقى الأسباط من حجر
فإن فى الكف معنىً ليس فى الحجر

وأما سبب أفضيلية زمزم على الكوثر فلأن الله تعالى اختاره ليلة الإسراء لغسل قلب حبيبه محمد ﷺ .

ا هـ . تقرير الوالد .

ادخلوها من حيث قال حسان

روى البيهقى عن ابن عمر (رضى الله عنه) قال : لما دخل ﷺ عام الفتح (أى لما أراد الدخول) رأى النساء يلطمن وجوه الخيل فتبسم والتفت إلى أبى بكر (رضى الله عنه) وقال : يا أبا بكر كيف قال حسان ؟ فأنشده قوله :

عدمنا خيلنا إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء
تنازعن الأعنه مسرجات ... ويلطمهن بالخُمُر النساء

فقال ﷺ : « ادخلوها من حيث قال حسان » ا . هـ .

(انظر السيرة النبوية والآثار المحمدية للسيد زينى دحلان) .

فائدة

الجن الذين استمعوا قراءة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وعدد الجن الذين استمعوا ... قراءة النبى فيما جمعوا
هم سبعة أسماؤهم يا ذاكر ... حس، ومر ، وشاطر ، وناصر
وردان ، والأودس ، ثم الأرجب ... حكاه فى الفتح الإمام الأنجب

[محمد بن عبد الرحمن الأهدل المروعى]

الخمسة الذين نقضوا الصحيفة

وخمسة من السراة نقضوا ... صحيفة الظلم ، وأمرًا رفضوا
وهم : زهير وهشام العامرى ... كذاك مطعم وزمعة السرى
كذا أبو البخترى قوم أسد ... مخزى أبى جهل الشقى الأنكد

اجتمعت قريش وكتبوا صحيفة لمقاطعة بنى هاشم أو يسلموا النبى ﷺ للقتل ، فدخلت بنو هاشم ـ الشعب ـ ومعهم بنو المطلب ، فحاصرتهم قريش ثم اجتمع خمسة من عقلاء قريش، وهم المذكورون آنفًا ، ونقضوها ومن العجيب أن الذين كتبوا الصحيفة خمسة والذين نقضوها

خمسة ويقول فى هذا البوصيرى :

فديت خمسة الصحيفة بالخمـ ـسة إن كـان للكـرام فـداء
فتيـة بيتـوا على فعل خيـر حمـد الصبح فعلهم والمسـاء

(ا . هـ عن والـدى عـن الشيخ محمد العربى التبانى عـن شيخه)

****

خلاصة مفيدة فى الصلاة والسلام على الحبيب

(صلى الله عليه وآله وسلم)

لخصت فى ذلك هذه المواطن مع تقسيمها وترتيبها (الأماكن التى تستحب الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فيها) :

المرور بالمساجد ، ورؤيتها ، ودخولها والخروج منها ، رؤية الكعبة ، فوق الصفا والمروة ، استلام الحجر ، الملتزم ، مسجد الخيف ، عند رؤية المدينة المنورة ، وزيارة قبره ووداعه ورؤية آثاره ومواطنه ومواقفه مثل بدر ، والسفر وركوب الدابة ، وعند الخروج إلى السوق ، ودخول المنزل .

العبادات :

الفراغ من الوضوء والتيمم ، والغسل من الجنابة والحيض ، وفى الصلاة (عقبها) ، عند الإقامة ، والتشهد ، والقنوت وعند القيام للتهجد وبعده ، وبعد إجابة المؤذن ، وخطبة الجمعة ، العيدين ، الاستسقاء ـ الكسوفين ـ تكبيرات العيدين ـ عند الفراغ من التلبية ، أول الدعاء ـ وسطه ـ آخره ـ ختم القرآن ـ وحفظه ـ كل مجتمع للذكر ـ التوبة من الذنب .

العادات :

القيام من المجلس ـ لقاء الإخوان ـ تفرق القوم ـ خدر الرجل ـ العطاس ـ النسيان ـ استحسان الشىء ـ أكل الفجل ـ نهيق الحمار

ـ الذبح ـ البيع ــ كتابة الوصية ـ الخطبة للتزوج ــ قلة النوم ـ طنين الأذن ـ نشر العلم ــ قراءة الحديث ـ الإفتاء ـ الإعطـاء ـ افتتاح كل كلام .

الأحوال الطارئة من المصائب :

من اتهم وهو برىء ـ ما يعرض من الحوائج ـ الطاعون ـ الغرق ـ الفقر ـ الشدائد ـ الهم ـ الكرب ـ الجنازة ـ إدخال الميت القبر .

الأزمــــــان :

يوم الجمعـة ، ليلتها ، السبت ، الأحد ، الاثنين ، الثـلاثاء ، شهر شعبان ، عشية عرفة . صباحاً ومساءً .

(كل ما ذكر ا هـ. من نزهة الناظرين)

انتهى ملخصًا مرتبًا منى ، و (من القول البديع ص ١٧٠)

****

حول عتاب الله لنبيه

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الشيخ ابن المبارك فى الإبريز يسأل شيخه سيدى عبد العزيز الدباغ :

وقد سألته (رضى الله عنه) عن قوله تعالى : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » كيف عاتب الله نبيه ﷺ وهو سيد العارفين وإمام الأنبياء والمرسلين ؟

فأجابنى (رضى الله عنه) بهذا المعنى ، فقال : إنه عليه الصلاة والسلام لما شاوره زيد فى طلاق زينب وأمره بإمساكها وتقوى الله فى معاشرتها ، وكان يعلم عليه الصلاة والسلام أنها ستصير إليه وأخفى ذلك ولم يظهره رجع على نفسه بالعتاب ، وقال فى خاطره : « تخشى الناس والله أحق أن تخشاه » وجعل يعاتب نفسه بهذا فى الباطن ، فأظهر الله سبحانه ما فى باطنه عليه الصلاة والسلام وأنزل الوحى به .

قال (رضى الله عنه) : ومن فتح الله عليه وتأمل الكتب السماوية ، وجد فيها نور الكلام القديم ، ونور طبع الحالة التى يكون عليها النبى عند نزول الوحى عليه .

ثم قال رضى الله عنه : وأهل الفتح (رضى الله عنهم) إذا تعاطوْا تفسير القرآن فيما بينهم ، لم يكن لهم إلا أسباب النزول ، وليس

المراد بها أسباب النزول التى فى علم الظاهر ، بل الأحوال والأنوار التى تكـون عليهـا ذات النبى ﷺ وقت النـزول ، فيسمع منهم فى ذلك ما لا يكيـف ، لأنهم يخوضون فـى البحور التى فى باطنـــه ﷺ .

ثم قال : وسألته أيضًا عن قوله تعالى : « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » .

فأجابنى (رضى الله عنـه) بما يقرب من هـذا المعنى ، فقال : إن النبى ﷺ أمـره الله تعـالى أن يعفـو وأن يصفح الصفح الجميل وأن يعاشر بالتى هى أحسن ويدفع بهـا حتى قال له تعالى : « ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضـوا من حولك فـاعف عنهم واستغفر لهم وشـاورهم فى الأمر » فكـانت هذه عـادته صلى الله عليـه وآله وسلم مع الخلق .

فلما جـاءه أهل النفاق واستأذنـوه فى التخلف وذكروا أعـذارهم أذن لهم فى التخلف ، وهو يعلم نفـاقهم للرحمة التى فيـه ، ولما أمره الله به من المعـاشرة بالتى هى أحسن ، وخضـه عليها فى غير ما آية ، سلك معهم مسلك الظاهر ، ثم تحدث فى باطنه بنزول آية تفضحهم ، وإنما منعـه هو من أن يباشر فضيحتهم للـرحمة التى فيه ، ووصية الله له ، فتحدث فى باطنه بفضيحتهم على وجه يبين كونها من الله لا منـه ، للحياء الذى فيه ﷺ مثل قـوله تعالى : «إن ذلكم كـان يـؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق»

فأحب أن تنزل الآية فى صورة العتاب له لتكون أبعد عن التهمة وأدخل فى محض النصيحة وأزجر لهم عن الاشتغال بالنفاق مع النبى ﷺ مرة أخرى ، فإن الله تعالى هو وكيله على من ينافقه ، وخصيمه وحجيجه فتضمنت صورة هذا العتاب مصالح شتى وفى الباطن لا عتاب وإنما ناب الحبيب عن حبيبه فى المخاصمة لا غير .

قال (رضى الله عنه) : ولا ينبغى لأحد أن يظن أن النبى ﷺ كان لا يعلم الصادق من الكاذب من المعتذرين وكيف يخفى عليه ذلك ﷺ والمفتوح عليه فى هذا الزمان يعلم الصادق من الكاذب منهم فى ذلك الزمان ، وأهل الفتح أجمعون ، إنما نالوا ما نالوا بمحبته ﷺ فسقوا بمقدار شعرة من نوره ﷺ وقد سبق أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فكيف كان علم النبى ﷺ ؟ .

قاله ابن المبارك (رحمه الله تعالى) قلت : وهذا التقرير فى الآية أحسن ما قيل فيها عند من تأمل كلام المفسرين .

وقد قال البيضاوى (عفا الله عنا وعنه) : عفا الله عنك ، كناية عن خطئه ﷺ فى الإذن فإن العفو من روادفه .

قال شيخ الإسلام زكريا فى حاشيته : تبع فيه الزمخشرى ، وقال الطيبى : أخطأ الزمخشرى فى هذه العبارة خطأً فاحشًا ولا أدرى كيف ذهب عنه أن فى أمثال هذه الإشارات وهى تقديم العفو -

إشعارًا بتعظيم المخاطب وتوقيره وتوقير حرمته، وهو كما قال: لأن مثل ذلك لا يقتضى تقدم ذنب ، بل يدل تصديره على التعظيم، كما تقول لمن تعظمه : عفا الله عنك ما صنعت فى أمرى ؟ ورضى الله عنك ما جوابك عن كلامى ؟

ولهذا قال التفتازانى : « ما كان ينبغى للمصنف (يعنى الزمخشرى) أن يعبر بهذه العبارة الشنيعة بعد ما راعى الله مع رسول الله ﷺ تقديم العفو ، وذكر الإذن المنبىء عن علو المرتبة وقوة التصرف ، وإيراد الكلام فى صورة الاستفهام وإن كان القصد إلى الإنكار على أن قولهم « عفا الله عنك» قد يقال عند ترك الأولى، والأفضل، بل فى مقام التبجيل والتعظيم، مثل: عفا الله عنك، ما صنعت فى أمرى ؟ ا . هـ .

وقال الحافظ السيوطى فى حاشيته : تبع فى هذه العبارة السيئة الزمخشرى وقد قال صاحب «الانتصاف» هو بين أمرين إما أن لا يكون هذا المعنى مرادًا فقد أخطأ أو يكون مرادًا لكن كنَّى الله عنه إجلالاً ورفعًا لقدره ﷺ أفلا تأدب بآداب الله تعالى ، لاسيما فى حق المصطفى ﷺ ؟ ثم نقل كلام الطيبى والتفتازانى ثم قال: وقال القاضى عياض فى الشفاء : هو استفتاح كلام ، بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله ، وقد ألف فى هذا الموضع رادّاً على

الـزمخشـرى «الصـدر : حسن بن محمـد بن صـالح النـابلسى » كتابًـا سماه « جنة الناظـر وجنة المناظر فى الانتصـار لأبى القاسم الطاهـر » ﷺ ولهذه النكتة وأمثـالها ، نهى أهل الـدين والورع عن مطـالعة الكشـاف و إقرائه وقـد ألف فى ذلك تقى الـدين السبكى كتابًا سمـاه « سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف» فـانظره فى تلك الحاشية فقد نقله برمته والله تعالى أعلم .

تعليق حول آيات العتاب للنبى ﷺ

أولاً: النبى ﷺ صرح القرآن ببشريته فى قولـه تعالى : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد﴾ الآية . وهنا نلاحظ امتياز بشـريته ﷺ عن غيره بالوحى فهو بشر يوحى إليه ، والذى نقرره أنه ﷺ لا يخرج فى جميع حالاته عن دائرة الوحى ، فإن اجتهد فى أمر من الأمور لم ينزل فيـه حكم وجاء اجتهاده ﷺ ـ بطبيعة بشـريته ـ على غير مراد الـوحى جاء إليه الأمر بـالتوجيه والإرشاد مـن قبل الوحى ، وإن كان اجتهاده ﷺ مـوافقاً لمراد الـوحى أقره الله عليه فيكون ﷺ فى مجموع حالاته مع الوحى الإلهى .

= ثانيـا : حكم النبى ﷺ فى مسألة لم ينزل فيها وحى أو تصـرفه أو قوله أو فعلـه إذا جاء الوحى بخلافه فلا نسمى هذا معصية أو ذنباً لأنه لا يتأتى ذلك إلا إذا كان هناك نص خالفه ، أما اجتهاده المحض ولو لم يؤده إلى مراد الوحى فهو مأجور عليه ﷺ .

ثالثـاً : هذا الاجتهاد الذى أداه إلـى حكم جاء الوحى معاتبـاً له فيه لا ينـافى عصمته ﷺ وإنما الـذى ينافيها هـو الذنب أو المعصية فـذلك يتنزه عنه مقـامه ﷺ وحاشـا لنبى ورسول اصطفاه الله سبحـانه أن يقع فى ذنب أو معصية فـالله سبحانه بـرأه من ذلك : ﴿وما ينطق عن الهـوى إن هو إلا وحـى يوحى﴾ فسـاعـة أن ينطق النبى ﷺ فى حكم أو مسألـة لا يمكن أن يكون نطقه عن هوى فى نفسه فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى أبداً .

رابعاً : الذين يستدلـون لون بلفظ العفو فى قوله تعالى : «عفـا الله عنك» الآية أو بالعتاب فى آياته عمومـاً على وجود المخالفة أو المعصية استدلالهم بـاطل لما ذكرنا لأن ذلك يمكن أن يحمل على المبـالغة فى الإرشـاد للنبى ﷺ أو على كمـال العنايـة بـه أو أن الخطاب لـه والمقصود أمته ﷺ فالله سبحانه يخاطب الأمة ويرشدها ويربيها فى شخص نبيها ﷺ يقول=

= تعالى مبيناً هذا المعنى : «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» ويؤكد هذا ما قاله العلامة الشوكانى فى فتح القدير عند تفسير قوله تعالى : «لقد تاب الله على النبى . . . » الآية : « . . . . وليس من لازم التوبة أن يسبق الذنب ممن وقعت منه أوله لأن كل العباد محتاج إلى التوبة والاستغفار» .

وقد تكون التوبة منه تعالى على النبى (ﷺ) من باب أنه ترك ما هو الأولى والأليق كما فى قوله تعالى : «عفا الله عنك لم أذنت لهم» ويجوز أن يكون ذكر النبى ﷺ لأجل التعريض للمذنبين بأن يجتنبوا الذنوب ويتوبوا عمَّا قد لا بسوه منها» ا هـ . [فتح القدير جـ ٢/ ٥٧٩ ط دار الحديث] .

وقال في تفسيره قوله تعالى : «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» بعد أن ساق أقوال أهل العلم : ويكون المراد بالذنب بعد الرسالة ترك ما هو الأولى وسمِّى ذنباً فى حقه ﷺ لجلالة قدره وإن لم يكن ذنباً فى حق غيره . ا هـ جـ ٥ / ٦٤ .

خامساً : الحكمة فى آيات العتاب .

كتب إلىّ الشيخ محمد مسعود الزليتنى بأن لآيات العتاب مغزي وحكمة لا تخفى على اللبيب الحصيف ، وهذا يظهر فى شيئين :

١ ـ أسلوب العتاب أكبر دليل على صدق هذا النبى ﷺ المنزل عليه القرآن وأن ما ينطق به من عند الله فلو كان القرآن من عند النبى ﷺ ـ كما يزعم المبطلون ـ لما سمح أن يخاطب بمثل هذا الأسلوب .

٢ ـ لقد رفع الله منزلة نبيه ﷺ وأعلى قدره ومكانته وأعطاه من الفضائل ما لم يكن لأحد سواه ، وحتى لاتضل الأمة وتقول فى رسولها ما قالته النصارى فى المسيح بن مريم (عليه السلام) كان هذا الأسلوب القرآنى تأكيداً لبشرية الرسول الأعظم ﷺ وإظهاراً لمعنى العبودية لله سبحانه وتعالى ، فيكون ذلك صماماً أمنياً للأمة يعصمها من الغلو ويمنعها من الوقوع فى مهاوى الضلال .

سادساً : حمَّل بعض العلماء آيات العتاب من ضروب التأويل وبعيد المعنى ما لا تتحمله صراحة اللفظ وذلك أنهم ظنوا أن اجتهاده ﷺ فى أمر جاء الوحى معاتباً له فيه ينافى عصمته ﷺ وقد تكلمنا عن ذلك ، والله أعلم .

حقيقة معجزة النبى

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الشيخ أحمد بن المبارك : سمعت سيدى عبد العزيز الدباغ (رضى الله عنه) يقول فى حديث : « مـا من نبى إلا وقد أعطى ما مثله آمن عليـه البشر ، وما كان الذى أوتيتـه إلاَّ وحيًا يتلى» [(١)] إن معجزات الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام كـانت من جنس ذواتهم وما يتعلق بها ، فمنها ما وهب لهم بعـد الكبر ، ومنها ما يتربى مع ذواتهم فى حال صغرهم إلى أن تظهر عليهم حال الكبر .

ومعجزة نبينا ﷺ كانت من الحق سبحانه ، ومن نوره ومشاهدته ومكالمته ، وذلك لقوله ﷺ ذاتًا وعقـلاً ونفسًا وروحًا وسرًا حتى إنه لو أعطيت مشاهدته ﷺ لجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يطيقوها ، فلذلك قال : ومـا كان الذى أوتيته إلا وحيًا يتلى» يعنى أن معجـزته ليست من جنس معجـزاتهم ، ولـو كانت معجـزاتهم بلغت من الفخامة وضخامة القـدر بحيث أنه يؤمن عليها وبسببها جميع البشـر ، ومعجـزاته ﷺ فـوق ذلك كلـه ، لأنهـا من الحق سبحانه لا منه ، ثم ضرب (رضى الله عنه) مثلاً بملك كلما تزايد

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ولفظ البخارى : « ما من الأنبياء نبى إلاَّ أعطى مـا مثله آمن عليه البشـر وإنما كـان الذى أوتيتـه وحياً أوحاه الله إلـىَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

له ولـد أرسله إلى موضع يربى فيـه ، ويرسل مع كل واحد حـاجة نفيسة مثل ياقـوته ليعلم بها ويعرف أنه ولد الملك إلى أن تـزايد له ولد فتركـه عنده ، وجعل هو يربيه بنفســه ، ويتولى جميع أموره ، فلا يكيف ما يحصل لهذا الولد من كمال المعرفة ، وكمال سريان سر أبيـه فيه ، ولا يقـاس ما حصل فى إخـوته من سـر الملك بما حصل فيه أبدا . قال (رضى الله عنـه) : وقد كان بعض الصحابة يتمنى أن يظهــر على النبى ﷺ بعض معجــزات الأنبيــاء عليهم الصـلاة والسـلام فيلتفت إلى ذلك النبى ﷺ ويـرى ما خصـه بـه المولى الكريم ، فيدركه حياء عظيم .

ثم ضرب (رضى الله عنـه) مثلاً بالـذى مكنه الملك من جميع ملكه وأطلق يـده فيه يتصـرف كيف شاء ، وجعل بعض أصحـابه يتمنى له قرية يتصرف فيها .

تنوع مشاهدات النبى

(صلى الله عليه وآله وسلم)

وقال الشيخ أحمـد بن المبـارك عن شيخـه عبـد العزيز الدبـاغ (رضى الله عنه) :

وسألتـه (رضـى الله عنـه) عن قـولـه ﷺ : «والله لا أجــد مـا أحملكم عليه ، ولا عندى ما أحملكم عليه » يخاطب الأشعريين ثم حملهم عليه السلام بعد ذلك ، والنبى ﷺ لا يقول إلا الحق ،

ولا يتكلم إلا بالصدق . فقال رضى الله عنه : النبي ﷺ لا يتكلم إلا بالصدق ولا يقول إلا بالحق، وكلامه ﷺ يخرج على حسب باطنه ومشاهدته، وهو ﷺ يكون تارة فى مشاهدة الذات العلية وفى هذه المشاهدة لذة عظيمة ، لا تكيف ولا تطاق ولا يماثلها شيء فى الدنيا ، وهى لذة أهل الجنة، وتارة يكون فى مشاهدة الذات وقوتها وسلطان قهرها، وفى هذه المشاهدة خوف وانزعاج بسبب مشاهدة القوة وسلطان القهر ، وفى هاتين المشاهدتين يكون غائبًا عن الخلق، ولا يشاهد منهم أحدًا، «وقد سبق شيء من هذا فى حديث» : «ما خفى علىَّ جبريل » فراجعه .

وتارة يكون فى مشاهدة قوة الذات مع الممكنات فيشاهد القوة سارية فى الممكنات وفى هذه المشاهدة تغيب الذات العلية عن الباطن ، وتبقى أفعالها . وفى هذه المشاهدة الثالثة يحصل امتثال الشرائع، وتعليم الخلق، وإيصالهم إلى الحق، فجميع ما ينطق به النبى ﷺ لا يعدو هذه المشاهدات فتارة يكون على الأولى وتارة على الثانية وتارة على الثالثة، والحديث المذكور خرج على الثانية، فإنه عليه الصلاة والسلام كان غائبًا فى مشاهدة الذات وقوتها، وهو غائب عن نفسه فضلاً عن غيره . فلما قالوا له : يا رسول الله : احملنا وصادفوه فى هذه المشاهدة قال لهم : والله لا أجد ما أحملكم عليه . . . الخ، وهو كلام حق .

فلما رجع إلى مشاهدة الكائنات وصادف ذلك مجيء الإبل له

جرى على حكم هذه المشاهدة وما تقضيه من اتباع الأوامر والقيام بحق الخلق، فقال: أين الأشعريون ؟ فدعوا فأعطاهم فقالوا: يارسول الله إنك حلفت أن لا تعطينا وقد أعطيتنا فأجابهم ﷺ بما يقتضى أن حلفه أولاً كان على ما تقتضيه تلك المشاهدة (التى كان عليها حينئذ) فقال: ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم (أى إنى حلفت على أنى لا أحملكم ولا عندى ما أحملكم عليه وهذا هو الكائن) فإن الحامل لكم هو الله لا أنا، فهو إخباره عن كونه ما قال إلا الحق، ولا تكلم إلا بالصدق، فقلت : فلم كفّر عن يمينه عليه السلام حينئذ ؟ حيث قال: إنى لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها إلا كفرت عن يمينى وأتيت الذى هو خير.» فقال (رضى الله عنه): لم يكفر النبى ﷺ عن يمينه فى هذه القصة، والذى ذكره بعد فى الحديث إنما هو ابتداء كلام وتأسيس حكم، وإعطاء قاعدة شرعية، ولم يصدر منه ﷺ تكفير فى هذه القصة رأسًا.

قلت : وإلى هذا ذهب الأكابر من الفحول كالحسن البصرى وغيره.

فلله ما أصح عرفان هذا الشيخ العظيم !!.

أبيت عند ربى يطعمنى ويسقين

قال الشيخ أحمد بن المبارك فى الإبريز وهو يسأل شيخه سيدى عبد العزيز الدباغ : وسألته (رضى الله عنه) عن حديث : «أبيت عند ربى يطعمنى ويسيقين» (١) .

فقال (رضى الله عنه) «العندية المراد بها المعية ، والإطعام والسقى المراد بهما تقوية الله لنبيه ﷺ فقلت : وهل الذات الترابية يكفى فيها ذوق الأنوار، فلا تحتاج معه إلى غذاء ؟ فقال (رضى الله عنه) : لا يكفى ذلك فيها ، ولو قدّرنا أن رجلاً عمد إلى نبى من الأنبياء فمنعه من الطعام والشراب لمات ذلك النبى ، فلابد لهذه الذات الترابية من الأغذية الناشئة عن التراب ، ولهذا ترى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يأكلون ويشربون ويجوعون ويشبعون والله أعلم .

وسألته (رضى الله تعالى عنه) : هل ولد ﷺ ليلاً ـ كما ذهب إليه طائفه واستدلوا بحديث عثمان بن أبى العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله الثقفية أنها قالت : شهدت ولادة النبى ﷺ فرأيت البيت (حين وضع) قد امتلأ نورًا ، ورأيت النجوم تدنو، حتى

---

(١) رواه البخارى وأحمد ، وهو متفق عليه من البخارى ومسلم عن أنس ، ورواه البخارى عن ابن عمر ، وعن أبى سعيد ، وعن أبى هريرة وعن عائشة بلفظ « إنى لست مثلكم ، إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقين » .

ظننت أنها ستقع على» رواه البيهقى وغيره، وصححوه واستدلوا له بحديث مسلم وغيره، لكن بعيد الفجر كما فى حديث آخر، وإن كان ضعيفًا لأن الضعيف يعمل به فى الفضائل والمناقب وأجابوا عن الحديث السابق بأن النجوم تظهر بعد الفجر ، فلا يدل الحديث السابق على ولادته قبل الفجر ليلاً، فقال (رضى الله تعالى عنه) وأمدنى بأسرار ذاته الكريمة) : الذى فى الواقع ونفس الأمر : أنه عليه الصلاة والسلام ولد فى آخر الليل (قبل الفجر بمدة) وتأخر خلاص أمه إلى طلوع الفجر، والمدة التى بين انفصاله ﷺ من بطن أمه وانفصال الخلاص منها هى ساعة الاستجابة فى الليل، وردت بها الأحاديث وفخّمت أمرها وأشعرت بتعظيمها وامتداد حكمها إلى يوم القيامة .

****

خلاصة مفيدة فى الخصائص النبوية

اعتنى العلماء بالخصائص النبوية وألفوا فيها كثيرًا من الكتب وأشهرها «الخصائص الكبرى» للحافظ السيوطى ، وقد لخصه السيوطى فى رسالة موجزة ، ونحن نلتقط منه هذه الدرر مع التهذيب ، وجملة هذه الخصائص تنحصر فى ثمانية أقسام ، سنذكرها بعد هذه المقدمة .

اعلم أن جميع الكرامات والخصائص الواقعة فى هذا العالم منذ خلق الله تعالى الدنيا لنبينا محمد ﷺ بحكم الأصالة ، وإن وقع شيء منها لخواص الخلق ، فذلك بحكم التبعية فى الإرث له ﷺ ثم اعلم أن كل ما مال إلى تعظيم رسول الله ﷺ لا ينبغى لأحد البحث فيه ، ولا المطالبة بدليل خاص فيه ، فإن ذلك سوء أدب ، فقل ما شئت فى رسول الله ﷺ على سبيل المدح ولا حرج ، وما ضبط العلماء هذه الخصائص إلا تنبيهًا على علو مقامه ﷺ على التحجير الواقع على أمته (١)، وصيانة لغيره أن يدّعى ما ليس له . وقد سب رجل مرةً أبا بكر (رضى الله تعالى عنه) فَهَم عمر (رضى الله عنه) أن يضرب عنقه ، فقال أبو بكر (رضى الله تعالى عنه) : إنها لم تكن لأحد بعد رسول الله ﷺ من أمته .

---

(١) التحجير هو التحديد والتضييق فأعطى صلى الله عليه وآله وسلم من الخصائص ما أخرجه عن هذه الحدود والقيود تنبيهًا على علو منزلته وارتفاع مكانته حيث أباح له بعض ما حرم عليهم وخصه بمزايا لم تكن لهم .

واعلم أن العلماء (رضى الله تعالى عنهم) قد قسموا الخصائص إلى ثمانية أقسام [1] ، فلنذكر من كل قسم منها طرفًا صالحًا ، فنقول وبالله التوفيق .

---

(١) أشار المؤلف [أكرمه الله] في كتابه مفاهيم يجب أن تصحح إلى أن الخصائص النبوية كثيرة جداً منها ما صح سنده ومنها ما لم يصح ومنها ما هو مختلف فيه بين العلماء إذ يرى بعضهم أنه صحيح ويرى الآخرون خلاف ذلك فهى مسائل خلافية والكلام فيها دائر بين العلماء من قديم بين الصواب والخطأ والصحة والبطلان . ا هـ [مفاهيم يجب أن تصحح ص ١٨٩ ط الرابعة] .

ذكرت هذا من قبيل التنبيه إلى ما قد يثار من اعتراض على المؤلف فيما أورده من بعض الخصائص التى اختلف فيها العلماء ومنهم من أنكر ثبوتها وصحتها ، فإن المؤلف اتبع فى ذلك طريقة العلماء وتسامحهم فى نقل هذه الخصائص ووضح ذلك بقوله : «ولم يزل العلماء يتسامحون فى نقل الخصائص النبوية وينظرون إليها على أنها داخلة فى فضائل الأعمال ولا تتعلق بالحلال والحرام - إذ هى خاصة برسول الله لا أسوة للأمة فيها . . . . ولو اشترطنا فى ذلك الصحيح بالمعنى المصطلح عليه لما أمكن ذكر شىء من سيرة النبى ﷺ قبل البعثة وبعدها مع أنك تجد كتب الحفاظ مملوءة بالمقطوعات والمراسيل وما أخذ عن الكهان وأشباههم فى خصائص رسول الله ﷺ لأن ذلك مما يجوز ذكره في هذا المقام ، ولو رجعنا إلى كتب السلف لوجدنا كثيراً من العجائب والغرائب فى ذكر الخصائص ولو توقف الباحث فى قبولها على صحة سندها لما صفا له من ذلك إلا نزر يسير، ا هـ . بتصرف [مفاهيم يجب أن تصحح ص ١٨٩ ، ١٩٠] .

وهذا وقد أشرنا بقدر الإمكان إلى النصوص التى تثبت هذه الخصائص وتناولنا بشىء من التعليق الأمور التى قد يثار حولها الكلام ووضحنا ما يقصد بذلك والله أعلم .

القسم الأول

فيما اختص به فى ذاته فى الدنيا

صلى الله عليه وآله وسلم

خص رسول الله ﷺ بأنه أول النبيين خلقًا، وبتقديم نبوته، وكان نبيًا وآدم بين الماء والطين، وبتقديم أخذ الميثاق عليه، وأنه أول من قال: «بلى» يوم: ألست بربكم، وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله ﷺ (١)، وكتابة اسمه الشريف على العرش، وكل سماء، والجنان وما فيها، وسائر ما فى الملكوت، وذكر الملائكة له فى كل ساعة، وذكر اسمه فى الأذان فى عهد آدم، وفى الملكوت الأعلى، وأخذ الميثاق على النبيين [آدم فمن بعده] أن يؤمنوا به وينصروه، والتبشير به فى الكتب السابقة، ونعته فيها، ونعت أصحابه وخلفائه وأمته، وحجب إبليس من السموات لمولده، وشق صدره، وجعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان، وسائر الأنبياء كان الخاتم فى يمينهم، وبأن له ألف اسم، وباشتقاق اسمه من اسم الله تعالى. وبأنه سمى من أسماء الله بنحو سبعين اسمًا وبأنه سمى «أحمد».

---

(١) هذه خصوصية من جملة خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم ذكرها كثير من أهل العلم كالحافظ السيوطى فى الخصائص (٢ / ٣١٤) وابن حجر الهيتمى فى الفتاوى الحديثية (١٨٩) والقسطلانى والزرقانى فى المواهب اللدنية (١ / ٦٢) وغيرهم، واستدلوا على ذلك بجملة من=

= الأحـاديث منها مـا أخرجـه الحاكم وصححـه وأقـره السبكى والبلقينى فى فتاويـه عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: « أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يـؤمنـوا به فلـولا محمـد مـا خلقت آدم ولا الجنـة ولا النار ولقـد خلقت العـرش على المـاء فاضطـرب فكتبت عليـه لا إله إلا الله محمد رسـول الله فسكن » (المستـدرك وتلخيصه ٢ / ٦٥١ وشفاء السقام ١٧٣).

فهذا الحديث وغيره يدل على مزيد من التكريم لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وليس هنـاك مـا يـدعـو لاثـارة الاعتـراض والتشنيع على فضيلـة المـؤلف عنـد ذكـره لهـذه الخصـوصيـة فإنـه لم يأت بهـا من نفسـه وإنمـا سـار على نهـج من سبقـوه من أهل العلم الفضلاء.

وهذا هو الحافظ ابن كثيـر يذكر فى البداية والنهايـة (١ / ٨١) حديث : « لما اقترف آدم الخطيئـة . . . » وفيـه « ولـولا محمد مـا خلقتك » ولـم يتعقبه بشـىء سوى قـولـه : « قـال البيهقى : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هـذا الوجه وهو ضعيف » اهـ والحديث الضعيف يصلح للاستشهـاد به فى الفضائل. بل إن ابن تيميـة قال عن هذا الحـديث الذى ذكره ابن كثير : « وهذا الحديث يؤيد الذى قبلـه وهما كالتفسير للأحاديث الصحيحة » اهـ (الفتاوى الكبرى ٢ / ١٥١) فهذا ابن تيمية يستشهد بهذا الحديث والذى قبله مما يؤيد أن هـذه الأحاديث صـالحة لـلاعتبار والاستشهـاد وليست موضـوعة لأن المـوضـوع والبـاطل لا يستشهد به عنـد المحدثين، وأصح ما يؤخـذ من كلام أهل الجرح والتعديل أن حـديث عبد الـرحمن بن زيد بن أسلم لا يصل إلى درجـة الـوضع، بل قال المحـدث الغمارى فى الـرد المحكم المتين: إن حديثه هذا حسن لغيره.

ومعنى خلق العـالم لأجله صلـى الله عليه وآلـه وسلم هـو إظهار الفضل الإلهى والنعمـة الكبرى والرحمة العظمى فإن ذلك تمثل فى شخصه وبعثـه ورسالته صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ فـلا بد لهذه الرحمة من وجود العالمين فهم مظهر تحققها، فلا حرج إذن أن يقال: إن العالم خلق من أجل تلك الرحمة المتعلقه به، ثم إن المتأمل فى قـوله تعـالى: « هو الـذى خلق لكم مـا فى الأرض جميعًا » وقـوله تعـالى: « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعًا منه » يدرك أن كل ما فى السموات والأرض خلق لأجل البشر وسخر لهم، وإذا كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بحقيقته النورانية [التى سيأتى بيانها فى حديث جابر (رضى الله عنه)] هـو الواسطة فى هذه المزية إذ لولاه لما خلق آدم عليه السلام كما تقدم فى الحديث الذى ذكـرناه، وهو صلى الله عليه وآله وسلم سيد ولد آدم فلا مانع من أن نقول: خلقت الدنيا لأجله صلى الله عليه وآله وسلم والله أعلم.

ولم يسم بـه أحد قبله وبإظلال الملائكـة له فى سفـره. وبأنه أرجح النـاس عقـلاً وبأنـه أوتى كل الحسن ولم يـؤت يـوسف إلا شطره وبغطـه ثلاثـًا عند ابتـداء الوحى[1] . وبـرؤيته جبـريل فى صورته التى خلق عليها، وبانقطاع الكهانة لمبعثه واستراق السمع والرمى بالشهب، وبإحياء أبويه حتى آمنا به[2]، وبوعده بالعصمة

---

(١) معنى الغط هو الخنق والغم. . وكان ذلـك إظهاراً للشدة والجد فى الأمر وأن يأخـذ الكتاب بقوة وأن يترك الأناة. . وأشار بعضهم إلى أن فى هذه الغطات الثلاث إشارة إلى ثلاث شدائد يبتلى بها وهى، الأولى: مالقيه هو وأصحابه من شدة الجوع عندما قاطعتهم قريش والثانية التهديد بالإبعاد والقتل والثالثة الإجلاء عن أحب الأوطان إليه ثم كانت له العاقبة والنصر / انظر الروض الأنف للسهيلي جـ ١ ص ٢٧٢.

(٢) قال صاحب القلادة السندسية ، قاضى ثغر الاسكنـدرية « الشيخ عبد الرحمن الإبيارى » فى قلادته المطبوعة الأميرية عام ١٣١٥ هـ ما نصه فى صـ٣٣ ، ٣٤

حملتْ بخيـــر العـــالميـن محمـــد ... ظفـرتْ بـأفصح نـــاطق بـــالضـــاد
ولهـــا حيـاة الجسم بعـد ممـاتهــا ... كأبيـــه عبـــد الله لـــلإشهـــاد
وبــذاك قـد صح الحـديث ومـن يقل ... بخـــلافـــه فعلى الحقيقـــة عـــادى
ولقـــد رواه الــدارقطنى مسنـــداً ... وكـــذا الخطيب رواه بـــالإسنـــاد
عمن لهـــا آيـــات نـــور أشـــرقت ... وهى عـــائشـــةُ زوج النبى الهـــادى
وكـــذا ابن عســـاكـــر والقـــرطبى ... وابـن المنيـــر منهـج الإرشـــاد
وكـــذا السهيلى مسنـــداً فى روضـــه ... وكـــذا شـــاهين أبـــو الإمـــداد
ورأيـت هـــذا للجليـل محمـــد ... يحيى الـــولاتى : مغـــربى بـــلادى

اهـــ

فيكون جملة رواة أحاديث إحياء الأبوين الكريمين ثمانيـة ، وللحافظ السيوطى رسالة خاصة فى ذلك . وقال فى الدرر المنتثرة عن حديث إحياء الأبوين الكريمين : أخرجه بعضهم بإسناد ضعيف . وقال الزرقانى فى شرح المـواهب : جعل الأئمة هذا الحديث نـاسخاً للأحاديث الـواردة بما يخالفه ونصوا على أنـه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها ، وقال الشهاب ابن حجر فى مولده وفى شرح الهمزية : إن الحديث غير ضعيف بل صححه غير واحد من الحفاظ حتى قال بعضهم :

أيقنـت أن أبـــــا النبى وأمـــــه ... أحيـــاهمـــا الـــرب الكـــريم البـــارى
حتى لـــه شهـــدا بصـدق رســـالـــة ... سلـم فتلك كـــرامـــة المختـــار
هـــذا الحـــديث ومن يقـــول بضعفـــه ... فهـــو الضعيف عـن الحقيقـــة عـــارى

[انظر حجة الله على العالمين للنبهانى جـ١ ص ٤٦٠].

من الناس وبالإسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع ، والعلو إلى قاب قوسين، وبوطئه مكانًا ما وطئه نبى مرسل ولا ملك مقرب وبإحياء الأنبياء له، وصلاته إمامًا بهم وبالملائكة، واطلاعه على الجنة والنار ، ورؤيته من آيات ربه الكبرى، وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى، ورؤيته للبارى سبحانه وتعالى مرتين، وقتال الملائكة معه وسيرهم معه حيث سار يمشون خلف ظهره وبإتياء الكتاب وهو أميّ لا يقرأ ولا يكتب، وبأن كتابه معجز ، ومحفوظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور ، ومشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب وزيادة، وجامع لكل شيء ومستغن عن غيره، وميسر للحفظ، ونزل منجمًا، وعلى سبعة أحرف، ومن سبعة أبواب، وبكل لغة، ويكتب لقارئه بكل حرف عشر حسنات. وبأنه فضل على سائر الكتب المنزلة بثلاثين خصلة لم تكن فى غيره ، منها :

أنه دعوة وحجة ولم يكن مثل هذا لنبى قط، إنما كان لكل منهم دعوة ثم يكون له حجة غيرها، فالقرآن العظيم دعوة بمعانيه حجة بألفاظه، وكفى الدعوة شرفًا أن تكون حجتها معها وكفى الحجة شرفًا أن لا تنفصل الدعوة عنها، وأعطى ﷺ من كنز تحت العرش ولم يعط منه أحد (١).

---

(١) حديث : « أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبى قبلى » رواه أحمد فى مسنده والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان .

وخص بالبسملة والفاتحة وآية الكرسى وخواتيم سورة البقرة والسبع الطوال والمفصل ، وبأن معجزته مستمرة إلى يوم القيامة وهى القرآن ومعجزات سائر الأنبياءانقرضت لوقتها ، وبأنه أكثر الأنبياء معجزات ، وبأنه جمع كل ما أوتيه الأنبياء من معجزات وفضائل ولم يجمع ذلك لغيره ، بل اختص كلٌ بنوع ، وأوتى انشقاق القمر(١) ، وتسليم الحجر(٢) ، وحنين الجذع (٣) ، ونبع الماء من بين الأصابع(٤) وبكلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته (٥) . وبأنه خاتم النبيين ، وبعموم الدعوة للناس كافة ، وأرسل إلى الجن بالإجماع ، وبأن الله أقسم بحياته ، وأقسم على رسالته ، وتولى الرد على أعدائه عنه ، وقرن اسمه

---

(١) أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه ، وقال الخطابى : انشقاق القمر آية عظيمة لايكاد يعد لها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر فى ملكوت السموات خارجاً عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع فى الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر وقال ابن عبد البر : روى هذا الحديث (يعنى حديث انشقاق القمر) جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك أمثالهم من التابعين ... وأيد بالآية الكريمة وقال ابن السبكى فى شرحه لمختصر ابن الحاجب : «الصحيح عندى أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه فى القرآن مروى فى الصحيحين وغيرهما » فلا عبرة إذن بكلام المستشرقين ومن ينكرون هذه المعجزة أو يتأولونها .

(٢) (٣) (٤) حديث تسليم الحجر وحديث حنين الجذع ونبع الماء من الأصابع ، كل ذلك ثابت فى كتب السنن والحديث المعتمدة وقد جمع ذلك كله الشيخ النبهانى فى كتابه : « حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين » .

(٥) وحديث كلام الشجرة وشهادتها بالنبوة لرسول الله ﷺ وإتيانها إليه ، أخرجه الدارمى وأبو يعلى والطبرانى والبزار وابن حبان والبيهقى وأبو نعيم بسند صحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما .

باسمه فى كتابه، وفرض على العالم طاعته والتأسى به فرضًا مطلقًا لا شرط فيه ولا استثناء، ووصفه فى كتابه عضو عضوًا، ولم يخاطبه باسمه فى القرآن، بل بيأيها النبى، يا أيها الرسول، وحرم على الأمة نداءه باسمه، وخاطبه بألطف مما خاطب به الأنبياء قبله، ولم يُرِه الله تعالى فى أمته شيئًا يسؤوه حتى قبضه بخلاف سائر الأنبياء.

وبأنه حبيب الرحمن، وجمع له بين المحبة والخلة، وبين الكلام والرؤية، وكلمه عند سدرة المنتهى، وكلم موسى بالجبل، وجمع له بين القبلتين والهجرتين، وجمع له بين الحكم بالظاهر والباطن معًا، ونصر بالرعب مسيرة شهر أمامه وشهر خلفه، وأوتى جوامع الكلم وأوتى مفاتيح خزائن الأرض[1] على فرس أبيض عليه قطيفة من سندس، وكلمه بجميع أصناف الوحى، وهبط إسرافيل عليه ولم يهبط على نبى قبله، وجمع له بين النبوة والسلطان،

---

(١) أخرجه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه، وحمل بعضهم هذا المعنى على حقيقته وأن هناك مفاتيح لخزائن الأرض وكنوزها يعلمها الله سبحانه، ويؤيد هذا ما أخرجه الامام أحمد وابن حبان وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أوتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق جاءنى بها جبريل عليه قطيفة من سندس».

وبعضهم حمل المعنى على المجاز والمقصود أن كل خير ينزل لأهل الأرض لايتم إلا بواسطته ﷺ فكان كالوكيل فى إعطائه لهم نيابة عنه لأنه حقه فلا يخرج منها شىء إلا على يديه ﷺ وقال الزمخشرى: المراد بالخزائن البلاد التى فتحت لأمته بعده ومنها خزائن كسرى وقيصر.

وأوتى علم كل شىء، حتى الروح، والخمس [1] التى فى آية: «إن الله عنده علم الساعة» الآية ٣٤ لقمان. وبين له فى أمر الدجال ما لم يبين لأحد، ووعده بالمغفرة وهو يمشى حيًا صحيحًا فقال تعالى: « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » وكان ابن عباس (رضى الله عنهما) يقول: ما يُؤَمِّنُ الله تعالى أحدًا من خلقه إلا محمدًا ﷺ. ورفع ذكره فلا يذكر الله جل جلاله فى أذان ولا خطبة ولا تشهد إلا ذكر معه، وعرض عليه أمته بأسرهم حتى رآهم، وعرض عليه ما هو كائن إلى يوم القيامة، بل عرض عليه سائر الأمم، كما علم آدم أسماء كل شىء، وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله تعالى، فهو أفضل من سائر المرسلين، وجميع الملائكة المقربين، وكان أفرس العالمين، وأيد بأربعة وزراء جبريل وميكائيل وأبى بكر وعمر، وأعطى من أصحابه أربعة عشر نجيبًا، وكل نبى أعطى سبعة وأسلم قرينه [1]، وكان أزواجه عونًا له، وزوجاته وبناته أفضل نساء العالمين، وثواب أزواجه وعقابهن

(١) فهم البعض من ذلك أن النبى ﷺ قد شارك الحق سبحانه وتعالى فى أخص خصائص الألوهية وأنه ﷺ يعلم الغيب الذى استأثر الله بعلمه، ومن هنا جاء الاعتراض والإنكار وتحقيقًا لهذه المسألة وردًا عليهم نقول:

إن علم الغيب بالنسبة لله سبحانه وتعالى يكون على وجه الإحاطة بجميع المعلومات بجزئياتها وكلياتها وأحوالها وزمانها ومكانها، وهذا لايشاركه فيه أحد لا نبى مرسل ولا ملك مقرب قال تعالى: ﴿قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله﴾. =

=ولكن هذا لا يمنع من إطلاع الله سبحانه لمن ارتضى من رسله على بعض الأمور الغيبية المتعلقة بمسائل جزئية وقد أشار الحق سبحانه إلى هذا بقوله : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول ﴾ الآية .

وقال الإمام ابن حجر الهيتمى فى مسألة اطلاع الأنبياء والأولياء على بعض الغيوب : « إنما ذلك بإعلام الله لهم وهذا غير علم الله الذى تفرد بـه وهو صفة من صفاته القديمة الأزلية الدائمة الأبدية المنزهة عن التغير وسمات الحدوث والنقص والمشاركة والانقسام بل هو علم واحد علم به جميع المعلومات كلياتها وجزئياتها ما كان منها وما يكون وما يجوز أن يكون ، ليس بضرورى ولا كسبى ولا حادث بخلاف علم سائر الخلق » وقال أيضًا : « إنْ علم الخلق بجزئيات من الغيب اطلعهم الله عليها فلا يطلق عليهم أنهم يعلمون الغيب إذ لا صفة لهم يقتدون بها على الاستقلال بعلمه . . . وهذا لا يؤدى إلى مشاركتهم له تعالى فيما تفرد به من العلم الذى تمدح به واتصف به فى الأزل وما لا يزال وما ذكرناه فى الآية [يعنى آية : ﴿ قل لا يعلم من فى السموات والأرض ﴾] صرح به النووى (رحمه الله) فى فتاويه فقال : لا يعلم ذلك استقلالاً وعلم إحاطة بكل المعلومات إلا الله وأما المعجزات والكرامات فبإعلام الله لهم علمت » ا هـ [الفتاوى الحديثية ٣١٣ ط الحلبى] [فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣/ ٤٥٨] . .

وما ذكره المؤلف من أن نبينا ﷺ أوتى علم كل شىء حتى الروح والخمس التى فى آية ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ فقد نقله السيوطى فى الخصائص ٢ / ٣٣٥ : « ذهب بعضهم إلى أنَّه ﷺ أوتى علم الخمس أيضًا وعلم وقت الساعة والروح وأنه أمر بكتم ذلك » ا هـ والمراد بقوله : « أوتى علم كل شىء » أى مما يمكن للمخلوق علمه روى الطبرانى عن ابن عمر مرفوعًا : « إن الله قد رفع لى الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كما أنظر إلى ظفرى هذه » وفى الصحيح أنه ﷺ قال : « سلونى عما شئتم » فهذا كالنص فى بيان علمه ﷺ بالمغيبات وأيضًا ما روى عن حذيفة رضى الله عنه « قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك شيئًا سيكون فى مقامه إلى قيام الساعة إلا حدث به » وأما المغيبات الخمس المذكورة فى الآية فقد قال بعضهم : إن الله اطلع نبيه ﷺ عليها قبل أن يخرج من الدنيا ولا ينافى هذا ما جاء فى حديث « خمس لا يعلمهن إلا الله » فقد ذكروا أن النبى ﷺ قال ذلك قبل أن يطلعه الله عليها وممن نقل اطلاعه ﷺ على هذه المغيبات الخمس الشيخ الباجورى فى حاشيته على البردة (٨١) والشيخ الصاوى فى حاشيته على تفسير الجلالين (٣/ ٢٤٤) .=

= وليس فى الآية مـا يفيد نفى العلم بهذه الخمس عن غيـر الله فقد قال الإمـام الرازى فى تفسيره كلامًا محصله أن نفى العلم بهذه الأمور الخمسة عن غير الله ليس مقصودًا فى الآية ولا وجه لاختصاص هـذه الأشياء بالذكـر إذ إن علمه تعالى غير مختـص بها [حـ ٢٥ / ١٤٤] وقال الإمـام الألوسى : « ليست المغيبات محصورة فـى هذه الخمس وإنما خصت بالـذكر لوقوع السؤال عنها . . . ويجـوز أن يطلع الله تعالى بعض أصفيائه على إحدى هذه الخمس ويرزقه العلم بها فى الجملة وعلمها الخاص به جـل وعلا ما كان على وجه الإحاطة والشمول لأحـوال كل منها وتفصيلـه على الوجـه الأتم » وقـال أيضًا فى شأن العلم بقيـام السـاعـة : « ويجوز أن يكـون الله قد اطلع حبيبه عليه الصـلاة والسلام على وقت قيامها على وجـه كامل لكن لا على وجه يحاكى علمه تعالى به إلا أنه سبحانه أوجب عليه ﷺ كتمه لحكمة ويكون ذلك من خـواصـه عليه الصـلاة والسـلام وليس عندى مـا يفيـد الجـزم بذلك » اهـ [روح المعانى ١١٢/٢١، ١١٣] .

وجاء فى شـرح المناوى الكبيـر على الجامع الصغيـر عند الكـلام على حديث بـريدة (الـذى أشرنـا إليـه) [خمس لا يعلمهن إلا الله : « أى على وجه الإحـاطـة والشمول كليًـا وجزئيًا فـلا ينافيه اطلاع الله بعض خواصه على بعض المغيبـات حتى من هذه الخمس لأنها جزئيات معدودة وإنكار المعتزلة لذلك مكابرة » اهـ .

(٢) أخرج الامام مسلم عن ابن مسعود (رضى الله عنـه) قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا ومعـه قرينه من الجن وقـرينه من الملائكـة . قالوا : وإياك يـارسول الله ؟ قال : وإياى ، ولكن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير » .

مضاعف [1]، وأصحابه أفضل العالمين إلا النبيين، ويقاربون عدد الأنبياء، وكلهم مجتهدون مصيبون ولهذا قال: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[2] وأحلت له مكة ساعة من نهار[3]، وحرم ما بين لابتى المدينة[4]، وتربتها مؤمَّنه من العذاب وغبارها يبرىء الجذام[5]، ويسأل عنه الميت فى قبره .

(١) هذا بنص الآية الكريمة من سورة الأحزاب : « يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيراً ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقًا كريماً » .

(٢) حديث أصحابى كالنجوم ... الخ قال فى كشف الخفا : رواه البيهقى وأسنده الديلمى عن ابن عباس بلفظ أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم» وقال اللكنوى فى إقامة الحجة . . إنه روى بطرق متعددة كلها ضعيفة، كما بسطه الحافظ ابن حجر فى الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف لكن بسبب كثرة الطرق وصل إلى درجة الحسن ولذلك حسنه الصنعانى / انظر إقامة الحجة على أن الإكثار فى التعبد ليس ببدعة للإمام عبد الحى اللكنوى تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ص ٤٨ ، ٤٩ .

ومن حكم على الحديث بالوضع فى جهة المتن لم يصب لأن له معنى صحيحا إذ يصح الاقتداء بجميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو فى وجه صحيح كصدقهم وحسن جهادهم الخ وفي الصحيح ما يشير إلى أنّ الصحابة رضى الله عنهم بالنسبة للأمّة بمثابة النجوم فى السماء .

(٣) حديث : إحلال مكة ساعة من نهار أخرجه البخارى ومسلم .

(٤) حديث تحريم المدينة أخرجه البخارى ومسلم أيضاً فى الصحيحين .

(٥) أخرجه الحافظ محمد بن محمود بن النجار فى الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة فى ذكر فضائلها وما جاء فى ترابها .

ولمـا دخل عليه ملك المـوت استأذن عليـه ، ولم يستأذن على نبى قبله (١) ، ويحرم نكاح أزواجه من بعده وأَمَةً وطئها .

والبقعة التى دفن فيها أفضل من الكعبة ومن العرش ، ويجوز أن يقسم على الله به ، وليس ذلك لأحد ، ولم تر عـورته قط ، ولو رآها أحد طمست عيناه ، وبأنه ما من نبى له خاصة نبوة فى أمته إلا وفى أمة محمد ﷺ من علمائها من يقـوم فى قومه مقام ذلك النبى فى أمته ، وينحو منحاه فى زمانه ، ولهذا ورد : «علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل» (٢) وورد «إن العالـم فى قومه كـالنبى فى أمتـه»وسماه الله «عبد الله» ولم يطلقهـا على أحد سواه وإنما قـال : «عبدًا شكورًا» «نعم العبـد» وليس فى القـرآن ولا غيره أمـر بـالصلاة على غيـره ، وأسماؤه توقيفية كأسماء الله تعالى بحكـم التبعية ، والله أعلم .

---

(١) حديث استذان ملك المـوت على النبى ﷺ ذكره السيوطى فى الخصائص وقـال : أخرجه ابن سعد والبيهقى عن جعفر بن محمد بن على عن أبيه فى حديث طويل وقال فى آخره : هذا إسناد معضل ، وأخرجه الطبراني أيضا .

(٢) حديث علماء أمتى كأنبيـاء بنى إسرائيل ، قال السيوطى فى الـدرر المنتثرة : لا أصل له ، وقال فى كشف الخفا : أنكره الشيخ إبراهيم الناجى ... وقال النجم : وممن نقله جازماً بأنه حديث مرفـوع الفخر الرازى وموفق الـدين بن قدامة والاسنوى والبارزى واليافعى وأشار إلى الأخـذ بمعناه التفتازانى وفتح الـدين الشهيد وأبـو بكر الموصلـى والسيوطى فى الخصائص ، وقـال : وله شـواهد ذكرتهـا فى حسن التنبيه لمـا ورد فى التشبيه وقـد يؤيده أنـه الواقع اهــ وليس معناه أن علمـاء الأمة المحمـدية كأنبيـاء بنى إسرائيل فى المنـزلة والمكـانة كمـا يفهم البعض ولكـ معنـاه أنهم يقومـون بالدعـوة والإرشاد والتوجيه فى الأمـة كما كان أنبياء بنى إسـرائيل يفعلون ذلك فى أممهم أو أنهم فى الكثرة والعدد كأنبياء بنى إسرائيل فإنه كـانت تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى ، وليس من شرط التشبيه فى اللغة أن يكون وجه الشبه بين طرفى التشبيه فى كل شىء .

القسم الثانى

فيما اختص به فى شرعه وأمته فى دار الدنيا

اختص ﷺ بإحلال الغنائم وجعل الأرض كلها مسجدًا ولم يكن للأمم مصلى إلا فى البيع والكنائس وبجعل التراب طهورًا وهو التيمم، وبالوضوء فإنه لم يكن إلا للأنبياء دون أممهم، وبمسح الخف، وبجعل الماء مزيلاً للنجاسة، وأن كثير الماء لا تؤثر فيه النجاسة، والاستنجاء بالجامد، وبالجمع فى الاستنجاء بين الماء والحجر، وبمجموع الصلوات الخمس، ولم تجمع لأحد، وبأنهن كفارات لما بينهن، وبالعشاء ولم يصلها أحد، وبالأذان والإقامة، وافتتاح الصلاة بالتكبير، وبالتأمين، وبقول: اللهم ربنا ولك الحمد، وبتحريم الكلام فى الصلاة، وباستقبال الكعبة وبالصف فى الصلاة كصفوف الملائكة، وبتحية السلام، وهى تحية الملائكة، وأهل الجنة، وباتخاذ يوم الجمعة عيدًا له ولأمته، وبساعة الإجابة، وبعيد الأضحى، وبصلاة الجمعة وصلاة الجماعة، وصلاة الليل (على الهيئة المشروعة الآن) وبصلاة العيدين والكسوفين[1] والاستسقاء والوتر، وبقصر الصلاة فى السفر، وبالجمع بين الصلاتين فى السفر وفى المطر وفى المرض وبصلاة الخوف ولم تشرع لأحد من الأمم قبلنا، وبصلاة شدة

(١) أى كسوف الشمس وخسوف القمر .

الخوف عند التحام القتال إيماءً وحيثما توجه، وبشهر رمضان على هذه الكيفية من الشروط، وبتصفيد الملائكة للشاطين فيه، وأن الجنة تزين فيه، وأن خلوف فم الصائمين أطيب من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حين يفطرون، ويغفر لأجمعهم فى آخر ليلة منه، وبالسحور وتعجيل الفطر، وبإباحة الأكل والشرب والجماع ليلاً إلى الفجر، وكان محرمًا على من قبلنا بعد النوم. وبتحريم الوصال فى الصوم وكان مباحًا لمن قبلنا، وبإباحة الكلام فى الصوم، وكان محرمًا على من قبلنا، عكس الصلاة، وبليلة القدر وبيوم عرفة وبجعل صوم عرفة كفارة سنتين لأنه سنته ﷺ [1]، وصوم عاشوراء كفارة سنة [2] واحدة، لأنه سنة موسى عليه السلام، وغسل اليدين بعد الطعام بحسنتين لأنه شرعه وقبله بحسنة لأنه شرع التوراة، وبالاستغسال من العين [3]، وأنه يدفع ضررها، وبالاسترجاع

---

(١) (٢) أخرج السيوطى فى الجامع الصغير حديث: « صوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبله وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية. وعزاه لأحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه وأبى داود فى سننه.

(٣) جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم وغيرهما: « أن النبى ﷺ قال: العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا » وهنا أمر للعائن (الحاسد) بالاغتسال إذا ما أصاب بعينه إنساناً ما، وصفة هذا الغسل كما قال الترمذى [زاد المعاد، عمدة القارى]: يؤمر الرجل العائن بقدح فيدخل كفه فيه، فيتمضمض ثم يمجه فى القدح (أى يرجع ماء المضمضة فى القدح) ثم يغسل وجهه فى القدح ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى فى القدح، ثم يدخل يده اليمنى =

عند المصيبة [1]، وبالحوقلة[2]، وباللحد[3]، وكان لأهل الكتاب الشق، وبالنحر، ولهم الذبح، وبفرق شعر الرأس، ولهم السدل، وبصبغ الشعر، وكانوا لا يغيرون الشيب، وبتوفير اللحى وتقصير السبال، وكانوا يقصرون لحاهم ويوفرون سبالهم، وكانوا يعقون عن الذكر دون الأنثى، وشرع ذلك لنا عنهما معًا. وبترك القيام للجنازة [4]، وبتعجيل المغرب والفجر، وبكراهة اشتمال الصَّماء [5] وبكراهة صوم الجمعة منفردًا، وكان اليهود يصومون يوم

= فيصب على ركبته اليسرى ثم يدخل داخلة إزاره (داخلة إزاره هو طرف إزاره الداخل الذى يلى جسده من الجانب الأيمن) فى القدح، ولا يوضع القدح فى الأرض ثم يصب على رأس الرجل المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة (بغتة) فيذهب عنه ما أصابه من ضر بإذن الله تعالى.

(١) هو أن يقول : « إنا لله وإنا اليه راجعون ».

(٢) الحوقلة قوله : لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٣) اللحد فى الدفن هو السنة ، وصفته : أن يحفر القبر ثم يحفر فى جانب القبلة منه حفيرة فيوضع فيها الميت ويجعل ذلك كالبيت المسقف ، أما الشق : صفته أن يحفر فى وسط القبر حفيرة فيوضع فيها الميت ، أما إذا كانت الأرض رخوة فيخير بين الشق واتخاذ تابوت (أى أن يوضع فى اللحد تابوت) وذلك خشية انهيار اللحد عليه فإذا وضع الميت فى تابوت أمن ذلك وإذا تعسر أمر اللحد تعين الشق إهـ حاشيه ابن عابدين [فقه حنفى].

(٤) وردت أحاديث صحيحة فى استحباب القيام للجنازة منها حديث البخارى : إذا رأيتم الجنازة فقوموا ... » واختار ذلك النووى رحمه الله فى شرحى المهذب ومسلم ، وأجاب الشافعى والجمهور عن الأحاديث بأن القيام فيها منسوخ ، والله أعلم

(٥) اشتمال الصَّماء : أن يجلل جسده بثوبه نحو شملة الأعراب بأكسيتهم ... والفقهاء يقولون : هو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبه فيبدو منه فرجه ، فإذا قلت : اشتمل فلان الصّماء كأنك قلت : اشتمل الشملة التى تعرف بهذا الاسم لأن الصَّماء ضرب من الاشتمال .

والأعرابى كان يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقة الأيمن فيغطيهما جميعاً . [مختار الصحاح للرازى] .

عيدهم منفردًا، وبضم تاسوعاء إلى عاشوراء فى الصوم، وبالسجود على الجبهة، وكانوا يسجدون على حرف، وكراهة التميل فى الصلاة وكانوا يتميلون، وبكراهة تغميض البصر فيها، والاختصار [1] والمقام بعدها للدعاء، وقراءة الإمام فيها فى المصحف [2]، والتعلق فيها بالحبال، وبالأكل يوم العيد قبل الصلاة، وكان أهل الكتاب لا يأكلون يوم عيدهم حتى يصلوا، وبالصلاة فى النعال والخفاف.

قال ابن عمر (رضى الله عنهما) : «كانت بنو إسرائيل إذا قرأت أئمتهم جاوبوهم[3]، فكره الله ذلك لهذه الأمة، فقال : «وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا» الآية .

ونهى رسول الله ﷺ رجلاً رآه جالسًا فى الصلاة معتمدًا على يده اليسرى، وقال: إنها صلاة اليهود، وأذن لنساء هذه الأمة فى الصلاة فى المساجد، ومنعت نساء بنى إسرائيل .

---

(١) هو وضع اليدين على الخاصرة أثناء الوقوف .

(٢) قراءة الإمام فى المصحف تفسد الصلاة عند أبى حنيفة، وعند محمد وأبى يوسف تكون الصلاة تامة مع الكراهة لأنه تشبه بصنيع أهل الكتاب ، ولأن حمل المصحف والنظر فيه وتقليب الأوراق عمل كثير يتنافى مع الخشوع فى الصلاة، [الهداية] وأما عند المالكية فذكر الشيخ خليل فى مختصره أنه يكره النظر بالمصحف فى الفرض أو أثناء النفل لا أوله .

(٣) روى ابن ماجة فى سننه : « إنما جعل الإمام إماماً ليؤتم به . فإذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ فأنصتوا ، وإذا قال : سمع الله لمن حمد فقولوا : ربنا لك الحمد » .

وكان فى شرعهم فسخ الحكم إذا رفعه الخصم إلى حاكم آخر يرى خلافه، وبالعذبة فى العمامة، وهى سيما الملائكة، وبالائتزار فى الأوساط، وبكراهة السدل [1]، والطيلسان المقور[2]، وشد الوسط على القميص الواحد، والقزع [3] وبالأشهر الهلالية، وبالوقف، وبالوصية بالثلث عند موتهم، وبالإسراع بالجنازة. وبأن أمته ﷺ خير الأمم، ففضحت الأمم عندهم ولم يفضحوا واشتق لهم اسمان من أسماء الله تعالى «المسلمون والمؤمنون» وسمى دينهم الإسلام، ولم يوصف بهذا إلا الأنبياء دون أممهم، ورفع عنهم الإصر الذى كان الأمم قبلهم، وأبيح لهم الكنز إذا أدوا زكاته، ولم يجعل عليهم فى الدين من حرج.

وأبيح لهم أكل الإبل والنعام وحمار الوحش، والأوز، والبط وجميع السمك والشحوم، والدم الذى ليس بمسفوح، كالكبد والطحال، والعروق.

ورفع عنهم: المؤاخذة بالخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، وحديث النفس، وأن من هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب سيئة،

---

(١) هو إرخاء الثوب إلى الأرض.

(٢) أما الطيلسان المقور، فيقول ابن القيم فى زاد المعاد: لم ينقل عنه ﷺ أنه لبسه ولا أحد من أصحابه بل كان شعاراً لليهود يعرفون به و من هنا كره لبسه جماعة من السلف والخلف حتى لا يكون هناك تشبه باليهود.

(٣) القَزَع هو حلق بعض الرأس دون البعض.

بل تكتب حسنة فإن عملها كتبت عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، ووضع عنهم قتل النفس فى التوبة، وفقء العين من النظر إلى ما لا يحل، وقرض موضع النجاسة، وربع المال فى الزكاة، ونسخ عنهم تحرير الأولاد والتَّحصّر (١) والرهبانية والسياحة (٢)، وفى الحديث: «ليس فى دينى ترك النساء ولا اللحم ولا اتخاذ الصوامع».

وكان من عمل من اليهود شغلاً يوم السبت يصلب، ولم يجعل علينا يوم الجمعة مثل ذلك، وكانوا لا يأكلون طعامًا حتى يتوضأوا كوضوء الصلاة، وكان من سرق استرق عبدًا، ومن قتل نفسه حرمت عليه الجنة، وكان إذا ملك الملك عليهم اشترط عليهم أنهم رقيقه، وأن أموالهم له ما شاء أخذ منها وما شاء ترك.

وشرع لهم نكاح أربع والطلاق ثلاثًا، ورخص لهم فى نكاح غير ملتهم، وفى نكاح الأمة، وفى مخالطة الحائض سوى الوطء

---

(١) هو ترك الزواج مع القدرة عليه ومنه قوله تعالى عن سيدنا يحيى عليه السلام: «وسيداً وحصوراً» أى لا يشتهى النساء، وهى مدح بالنسبة لسيدنا يحيى ولغيره ذم، أخرج الديلمى عن عطية بن بشر عن النبى ﷺ أنه قال: «لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على رجل تحصر ولا حصور بعد يحيى بن زكريا» [منتخب الكنز ٦/ ٣٩١].

(٢) فى الحديث الذى أخرجه أبو نعيم فى المعرفة عن أنس أن النبى ﷺ قال لعثمان بن مظعون: إنها لم تكتب علينا الرهبانية وإن رهبانية أمتى الجلوس فى المساجد انتظاراً للصلوات والحج والعمرة» وأخرج أبو داود عن أبى أمامة: أن رجلاً قال: يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال: سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله.

وإتيان المرأة فى قبلها على أى هيئة شاؤا، وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية، وشرع لهم دفع الصائل [1]، وكانت بنو إسرائيل كتب عليهم إذا الرجل بسط يده إلى الرجل لا يمتنع منه حتى يقتله أو يدعه.

وحرم عليهم كشف العورة، والنوح على الميت، والتصوير[2]، وشرب المسكر وآلات الملاهى، ونكاح الأختين، وأوانى الفضة والذهب، والحرير وحلى الذهب على رجالهم، والسجود لغير الله، وكان ذلك تحية لمن قبلنا، فأعطينا مكانه السلام، وكرهت لهم المحاريب [3]، وعصموا من الاجتماع على

---

(١) الصائل هو الواثب أو الحامل على غيره ليقتله .

(٢) المجمع على تحريمه من التصوير ما اجتمع فيه خمسة قيود عند أولى العرفان

١ـ كون الصورة للإنسان أو الحيوان .

٢ـ كونها كاملة لم يعمل فيها ما يمنع الحياة من النقصان كقطع رأس أو نصف صدر أو تفريق أجزاء .

٣ـ كونها فى محل يعظم لا فى محل يمتهن .

٤ـ وجود ظل لها فى العيان

٥ ـ ألا تكون لصغار البنات من النسوان، فإن انتفى قيد من هذه الخمسة كانت مما فيه اختلاف العلماء فتركها حينئذ من باب الورع والاحتياط فى الدين .

هذا ومن أراد المزيد والبحث عن الأدلة فليطالع كتب المذاهب فى ذلك وهناك رسالة جمعت أقوال المذاهب وأدلتهم وفصلت الكلام فى حكم التصوير بعنوان (إفادة أهل التنوير بما قيل فى التصوير) للشيخ حسين الطمائى ـ راجع مجموع فتاوى ورسائل السيد علوى المالكى الحسنى (والد المؤلف) .

(٣) المحاريب غرف مخصوصة كانوا يتخذونها لصلواتهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ الآية .

الضـلالـة، ومن أن يظهـر أهل البـاطل على أهل الحق، ومن أن يدعو عليهم نبيهـم بدعوة فيهلكوا، واجتماعهم حجـة واختلافهم رحمة [1]، وكان اختلاف من قبلهم عذابًـا، والطاعون لهم شهادة ورحمـة، وكـان على الأمم عـذابًـا ومـا دعـوا بـه استجيب لهم، ويؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويحجون البيت الحرام، ولا ينأون عنه أبـدًا، ويعجل لهم الثواب فـى الدنيا مع ادخـاره فى الآخـرة وتتبـاشـر الجبـال والأشجـار بمـرورهم عليهـا لتسبيحهم

---

(١) ينبغي التنبيه هنـا إلى أنّه لا اختلاف في أصل الشـريعة ولا هي موضوعـة على وجود الخلاف فيهـا أصلا. بل الخلاف راجع إلى تبـاين أنظار المكلّفين وتفـاوت مداركهم. فمن كان من أهل الاجتهاد فاجتهد وأصاب فله أجران وان أخطا فله أجر.

أمّا الرحمـة في اختلاف المجتهدين فمعناهـا السّعة بتوسعة مجال الاجتهـاد. فاختلاف الصحابة مثـلا يدلّ على أنهم رضي الله عنهم اجتهدوا فاختلفـوا فيكون ذلك مُسَهِّلا على من بعدهم سلـوك طريق الاجتهاد الذى لا يأمن فيـه المجتهد على نفسه من الخطأ ومن مخـالفة غيره.

وعلى هذا وجب أن لا يفسد الخلاف للودّ قضيّـة وأن لا يكون سببا للتنازع الذى نهى الله تعالى عنه وإلاّ أصبح الخلاف شرّا.

ولمّا كان الصحـابة رضى الله عنهم هم القدوة فى فهم الشـريعة قال سيدنا عمـر بن عبد العزيز رضى الله عنـه: ما يسّرنى أنَّ لي باختلافهم حمر النَّعم. وقـال: ما أحبّ أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفـوا. ا هـ هـذا ويرى بعض أهل العلم أن من معانى الـرحمة التـوسعة على العامة أن يتبعوا من شاؤوا من أهل العلم بحيث لا يكون المسلم ملزما بإتباع إمام بعينه وهذا ينبغي أن يُقيّد بعدم تتبّع الترخص وسقطات العلماء وإلا كان من اتباع الهوى والخروج عن حكمة التكليف. والله أعلم. (انظر الموافقات للشاطبي وجامع بيان العلم لابن عبد البرّ)

وتقديسهم، وتفتح أبواب السماء لأعمالهم، وأرواحهم، وتتباشر بهم الملائكة، ويصلى عليهم الله وملائكته كما صلى على الأنبياء كما قال تعالى: «هو الذى يصلى عليكم وملائكته» (١).

ويقبضون على فرشهم وهم شهداء عند الله، وتوضع المائدة بين أيديهم فما يرفعونها حتى يغفر لهم، ويلبس أحدهم الثوب فما ينفضه حتى يغفر له، وصِدِّيقهم أفضل الصديقين، وهم علماء حكماء كادوا لفقههم أن يكونوا كلهم أنبياء ولا يخافون فى الله لومة لائم، وأذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، وقُرُبَاتهم الصلاة وقربانهم دماؤهم، وسِتْرٌ على من لم يتقبل عمله منهم، وكان من قبلهم يفتضح إذا لم تأكل النار قربانه، وتغفر لهم الذنوب بالاستغفار، والندم لهم توبة.

وروى أن آدم عليه السلام قال: «إن الله عز وجل أعطى أمة محمد ﷺ أربع كرامات لم يعطنيها: كانت توبتى بمكة، وأحدهم يتوب فى أى مكان كان، وسلبت ثوبى حين عصيت وهم لا يسلبون، وفرق بينى وبين زوجتى، وأخرجت من الجنة».

وكان بنو إسرائيل إذا أخطأ أحدهم حرم عليه طيب الطعام، وأصبحت خطيئته مكتوبة على باب داره، ووعدوا أن لا

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٤٣.

يهلكوا بجوع، ولا بعدوٍّ من غيرهم يستأصلهم ولا بغرق ولا يعذبوا بعذاب عُذِب به من قبلهم، وإذا شهد اثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة .

وكان الأمم السالفة لا يجب لأحد منهم الجنة إلا إن شهد له مائة وهم أقل الأمم عملاً وأكثرهم أجرًا وأقصرهم أعمارًا، وكان الرجل من الأمم السالفة أعبد منهم بثلاثين ضعفًا، وهم خير منه بثلاثين ضعفًا، ووهب لهم عند المصيبة الصلاة والرحمة والهدى [1]، وأوتوا العلم الأول والعلم الآخر، وفتح عليهم خزائن كل شيء حتى العلم، وأوتوا الإسناد والأنساب، والإعراب، وتصنيف الكتب، وحفظ سنة نبيهم في كل دور حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، ومنهم أقطاب، وأوتاد، ونجباء وأبدال [2]،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» البقرة آية ١٥٧ .

(٢) مبحث فى الأقطاب والأوتاد والنجباء والأبدال الخ .

هذه هى مراتب أو درجات الأولياء فى اصطلاح الصوفية وقد ألف ابن عابدين والسيوطى وغيرهم رسائل فى الكلام عن هذه المراتب وتكلم عن ذلك ابن حجر المكى فى الفتاوى الحديثية، والسيد محمد نورى النقشبندى فى كتابه: «ردود على شبهات السلفية». وخلاصة القول نجملها فى ما يأتى .

١ ـ معانى هذه المسميات ٢ـ أدلة وجودهم من السنة النبوية ٣ـ فائدة وجودهم =

=أولاً : معنى القطب قال اليافعى : سمى القطب قطباً لدورانه فى جهات الدنيا الأربع كدوران الفلك فى أفق السماء وقد سترت أحواله عن العامة والخاصة ، وهو خليفة الباطن وسيد أهل زمانه سمى قطباً لجمعه المقامات والأحوال ودورانها عليه مأخوذ من القطب وهو الحديدة التى تدور عليها الرحى وهو أكمل الناس فى مقام الفردية وفى بعض كتب ابن عربى : أن كل من دار عليه مقام من المقامات يسمى قطباً وقد يسمى رجل البلد قطب ذلك البلد وشيخ الجماعة قطب تلك الجماعة ، ولكن الأقطاب المصطلح على أن يكون لهم هذا الاسم مطلقاً من غير إضافة لا يكون إلا واحداً وهو الغوث ويجوز أن يجمع الخلافة الظاهرة مع الباطنة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، ومنهم من يحوز الخلافة الباطنة فقط كحال أكثر الأقطاب ، هذا ومكانة القطب من الأولياء كمكانة النقطة فى الدائرة التى هى مركزها .

أما الأبدال فسموا بذلك لحديث : كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ، وسيأتى ذكره ، وقيل لأنهم أبدلوا أخلاقهم السيئة حتى صارت محاسن أخلاقهم حلية أعمالهم أو لأنهم خلف عن الأنبياء ، أو لما نقله الشهاب : أنه إذا رحل البدل عن موضع ترك بدله فيه حقيقة روحانية تجتمع إليها أرواح ذلك الموطن الذى رحل عنه الولى فإن ظهر شوق من أناس ذلك الموطن شديد لهذا الشخص تجسدت لهم تلك الحقيقة الروحانية التى تركها بدله فكلمهم وكلموها وهو غايب عنها ، وقد يكون هذا من غير البدل لكن الفرق أن البدل يرحل وهو يعلم أنه ترك غيره وغير البدل لا يعرف ذلك وإن تركه .

وهم طائفة من أهل المحبة والكشف والمشاهدة والحضور يدعون الناس إلى التوحيد والإسلام ، وردت الأخبار مختلفة فى عددهم وقد علل ذلك ابن حجر بأن تلك الأعداد اصطلاح فقد يكونون فى ذلك العدد نظروا إلى مراتب عبروا عنها بالأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والحديث نظر إلى مراتب أخرى والكل متفقون على وجود تلك الأعداد ورجح ابن حجر بأنهم سبعة وقيل ثلاثون وقيل أربعة عشر وجاء فى حديث أبى نعيم فى الحلية : أنهم أربعون ، وفى حديث الإمام أحمد : أنهم ثلاثون

والأوتاد : جمع وتد بالكسر والفتح لغتان ، وقال ابن عربى : هؤلاء قد يعبر عنهم بالجبال ، كقوله تعالى : ﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً ﴾ لأن حكم هؤلاء فى العالم حكم الجبال فى الأرض فإنه بالجبال يسكن ميل الأرض ، وقال الشهاب المنينى عن المناوى : الأوتاد أربعة فى كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون ، أحدهما=

= يحفظ الله به المشرق والآخر المغرب والآخر الجنوب والآخر الشمال . وذكر ابن حجر: أنهم اتفقوا على أن الإمام الشافعى (رحمه الله) كان من الأوتاد .

والنجباء : جمع نجيب قال ابن عربى : وهم ثمانية فى كل زمان ومكان لا يزيدون ولا ينقصون وقيل عددهم سبعون ورتبتهم فوق النقباء ودون الأبدال .

والنقباء جمع نقيب قال فى الصحاح : النقيب العريف وهو شاهد القوم وضمينهم وعددهم ثلثمائة وقال ابن عربى: اثنا عشر نقيباً .

هذا ، وهناك مسميات أخرى مثل الأخيار والعمد والغوث مما اصطلح عليه القوم أو جاء ذكره فى الأخبار .

ثانياً: أدلة وجودهم من السنة النبوية ، منها ما رواه الطبرانى عن على رضى الله عنه: لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال» .

وأخرج الإمام أحمد : الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية : « خيار أمتى كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأبدال ، كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه وأدخله فى الأربعين مكانه ، يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم » ومنها حديث الإمام أحمد « الأبدال فى هذه الأمة ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل مكانه رجلاً » (ومعنى على قلب إبراهيم أى على مثل حال قلبه لأنه صبر على البلاء بذبح ولده واحتسب إلى مولاه ورضى بما يرضاه ، وبادر الى التكاليف بصدق الهمة) . هذا ولا تناقض بين الأحاديث فى ذكر العدد لأن البدل له اطلاقان كما يعلم من الأحاديث .

وروى أبو نعيم عن ابن مسعود : « أن لله عز وجل فى الخلق ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم ولله فى الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى ولله فى الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم ولله فى الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل ولله فى الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل ولله فى الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلثمائة وإذا مات من الثلثمائة أبدل الله مكانه من عامة الخلق فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء =

= وقيل لابن مسعود: كيف بهم يحيى ويميت ؟ قال : لأنهم يسألون الله إكثار الأمم ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون ، ويسألون الله فتنبت الأرض ويدعون فيدفع بهم البلاء . ومنها مارواه الحكيم الترمذى عن أبى الدرداء : « أن الأنبياء كانوا أوتاداً للأرض فلما انقطعت النبوة شكت الأرض الى الله فأبدل مكانهم قوماً من أمة محمد ﷺ بهم يدفع البلاء عن أهلها ... الخ .

وغير ذلك ما رواه ابن أبى الدنيا والديلمى وابن عدى والخلال وغيرهم .

الكلام على أسانيد الأحاديث الواردة فيهم:

طعن ابن الجوزى فى أحاديث الأبدال وحكم بوضعها ، لكن تعقبه السيوطى بأن خبر الأبدال صحيح وإن شئت قلت: متواتر ثم قال : مثل هذا بلغ حد التواتر فيحكم بصحته وقال السخاوى خبر الأبدال له طرقه عن أنس بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة وأحسن ما ورد فيهم ما رواه أحمد من حديث شريح بن عبيد قال : ذكر أهل الشام عند على وهو بالعراق فقالوا : العنهم يا أمير المؤمنين قال : لا إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : البدلاء يكونون بالشام وهم أربعون كلما مات رجل أبدل الله مكانه الخ رجاله رجال الصحيح إلا شريحاً وهو ثقه اهـ وقال السيوطى : حديث على أخرجه أحمد والطبرانى والحاكم من طرق أكثر من عشرة اهـ وقال السخاوى : ومما يقوى الحديث ويدل لانتشاره بين الأئمة قول الشافعى (رحمه الله) فى بعضهم : كنا نعده من الأبدال، وقول البخارى فى غيره : كانوا لا يشكون أنه من الأبدال ، وكذا وصف غيرهما من النقاد والحفاظ والأئمة غير واحد بأنه من الأبدال .

وقول الإمام أحمد : الأبدال إن لم يكونوا أصحاب الحديث فمن هم ؟ .

وملخص الأمر فى هذا قول الحافظ ابن حجر : أحاديث الأبدال وردت فى عدة أخبار منها ما يصح ومنها ما لا يصح وأما القطب فورد فى بعض الآثار وأما الغوث فبالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت .

ثالثاً : أما فائدة وجودهم فقد تكلمت الأحاديث ـ التى سقناها فى الدلالة على وجودهم ـ عن ذلك . هذا ، ومن أراد المزيد فعليه بالرسالة التى كتبها ابن عابدين وبما كتبه ابن حجر الهيتمى فى الفتاوى الحديثية ، والشهاب المنينى فى شرح منظومته عن الحافظ السيوطى ، والإمام المناوى وكذا ملا على القارى فى المعدن العدنى فى أويس القرنى ، والنقشبندى فى ردوده على شبهات السلفية . والله أعلم .

ومنهم من يصلى إمامًا بعيسى عليه السلام [1]، ومنهم من يجرى مجرى الملائكة فى الاستغناء عن الطعام بالتسبيح، ويقاتلون الدجال، ويسمع الملائكة أذانهم فى السماء، وتلبيتهم، وهم الحمادون لله على كل حال، ويكبرون على كل شرف، ويسبحون عند كل هبوط، ويقولون عند إرادة الأمر: أفعله إن شاء الله، وإذا غضبوا هللوا وإذا تنازعوا سبحوا وإذا أرادوا أمرًا قدموا الاستخارة ثم فعلوه، وإذا استووا على ظهور دوابهم حمدوا الله تعالى، ومصاحفهم فى صدورهم، وسابقهم سابق، ويدخل الجنة بغير حساب ومقتصدهم ناج، ويحاسب حسابًا يسيرًا، وظالمهم مغفور له، وليس منهم أحد إلا مرحومًا، ويلبسون ألوان ثياب أهل الجنة، ويراعون الشمس للصلاة وهم أمة وسط [عدول بتزكية الله عز وجل]وتحضرهم الملائكة إذا قاتلوا وافترض عليهم ما افترض على الأنبياء والرسل، وهو: الوضوء والغسل من الجنابة، وكذلك الحج والجهاد، وأعطوا من النوافل ما أعطى الأنبياء، ونودوا بيا أيها الذين آمنوا، ونودى غيرهم من الأمم فى كتبهم بيأيها المساكين .

---

(٢) حديث « وإن منكم لمن ليصلى إماماً بعيسى بن مريم » أو ما معناه ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة ورواه ابن ماجة وغيره .

وخوطبوا بقوله تعالى : «اذكرونى أذكركم» (١) فأمرهم أن يذكروه بغير واسطة، وخوطبت بنو إسرائيل بقوله : «اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم» (١) فإنهم لم يعرفوا الله إلا بآلائه، فكانت النعم موصلة إلى ذكر المنعم، ولما نزلت : «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه» (٢) قال رسول الله ﷺ : «هذا لأمتى وليس بعد الرضى سخط، وسموا أهل القبلة، وشهادتهم تجوز على من سواهم، وكانت الأمم لا تجوز لهم شهادة على غير ملتهم، وكان ابن مسعود (رضى الله عنه) يقول : «لا يحل فى هذه الأمة التجريد، ولامد ولا غل، ولا صفد، يعنى : لا تجرد ثيا به ولا يمد عند إقامة الحدود، بل يضرب قاعدًا وعليه ثوبه .

قال العلماء : وكان بدء الشرائع على التخفيف، ولا يعرف فى شرع نوح وصالح و إبراهيم تثقيل، ثم جاء موسى عليه السلام بالتشديد والإثقال، وتبعه عيسى على نحو ذلك، وجاءت شريعة نبينا محمد ﷺ بنسخ تشديد أهل الكتاب، وفوق تسهيل من كان قبلهم، فهى على غاية الاعتدال، والله أعلم .

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٢ .

(٢) سورة البقرة آية ٤٠ .

(٣) سورة التوبة آية ١٠٠ .

القسم الثالث

فيما اختص به فى ذاته فى الآخرة

(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختص ﷺ بأنه أول من تنشق الأرض عنه[1] ، وأول من يفيق من الصعقة ، وبأنه يحشر فى سبعين ألف ملك ويحشر على البراق ، ويؤذن باسمه فى الموقف ، ويكسى فى الموقف أعظم الحلل من الجنة ، وبأنه يقوم عن يمين العرش ، وبالمقام المحمود ، وأن بيده لواء الحمد ، وآدم فمن دونه تحت لوائه ، وأنه إمام النبيين يومئذ ، وقائدهم وخطيبهم ، وأول من يؤذن له فى السجود ، وأول من يرفع رأسه ، وأول من ينظر إلى الله تعالى ، وأول شافع وأول مشفع ، ويسأل الله فى حق غيره ، وكل الناس يسألون فى أنفسهم، واختص ﷺ بالشفاعة العظمى فى فصل القضاء ، وبالشفاعة فى إدخال قوم الجنة بغير حساب ، وبالشفاعة فى إخراج عموم أمته من النار ، حتى لا يبقى منهم أحد ، وبالشفاعة لجماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم فى تقصيرهم فى الطاعات .

---

(١) روى الترمذى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدى ، وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر » .

وروى الترمذى عن أبى هريرة : « أنا أول من تنشق الأرض عنه ، فأكس حلة من حلل الجنة ، ثم أقوم عن يمين العرش : ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى » .

وبالشفاعة فى الموقف تخفيفاً عمن يحاسب ، وبالشفاعة فيمن يخلد فى النار من الكفار أن يخفف عنه العذاب ، وبالشفاعة فى أطفال المشركين أن لايعذبوا ، وسأل ربه أن لايدخل النار أحد من أهل بيته فأعطاه ذلك ، وأنه أول من يجوز على الصراط إلى الجنة وأن لـه فى كل شعـرة من رأسـه ووجهه نـوراً ، وليس لـلأنبيـاء إلا نـوران .

ويـؤمـر أهل الجمع بغض أبصـارهم حتى تمـر ابنتـه علـــى الصراط (١) وأنه أول مـن يقرع بـاب الجنة (٢) وأول من يـدخلها ، وبعـده فاطمـة (رضى الله عنهـا) . وخص بالكـوثـر وبالحـوض الأعظم ، ولكل نبى حـوض ، ولكن حـوضـه أعرض الحيـاض ، وأكثـرها وارداً ، وخصّ بـالوسيلـة وهى أعلى درجة فى الجنـة (٣) وقوائم منبره رواتب فى الجنة ، ومنبره على ترعة من ترع الجنة ، (٤) وما بيـن منبره وقبره روضـة من ريـاض الجنة (٥) ، ولا يطلب منـه

---

(١) روى الحاكم والطبرانى وأبو نعيم عن على مرفوعاً ، « إذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجب : يا أهل الجمع ، غضـوا أبصاركم عن فـاطمة بنت محمد حتى تمـرّ ... رواه الحاكم فى المستدرك ٣ / ١٥٣ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

(٢) روى الإمام أحمد والترمذى : « أنا أول من يأخذ بحلقة من باب الجنة فأقعقهما » .

(٣) روى مسلم فى صحيحـه عن عبد الله بن عمـرو بن العـاص (رضى الله عنهما) أنـه سمع النبى ﷺ يقول : إذا سمعتم المـؤذن فقولوا مثل مـا يقول ثم صلوا علىّ ، فإنـه من صلى علىَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشـرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فـإنها منزلة فى الجنة لا تنبغـى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة» .

(٤) لقوله ﷺ : « منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة » رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة .

(٥) ورواه البخارى ومسلم بلفظ « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

ولا منافاة بين هذه الرواية ورواية : ما بين قبرى ... » فإن قبره ﷺ فى بيته .

شهيد على التبليغ ، ويطلب ذلك من سائر الأنبياء ، ويشهد لجميع الأنبياء بالبلاغ ، وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه » (١) .

ويكنى آدم عليه السلام فى الجنة به دون سائر ولده ، تكريماً له ، فيقال له : « أبو محمد » ووردت أحاديث فى أهل الفترة أنهم يمتحنون يوم القيامة ، فمن أطاع دخل الجنة ، ومن عصى دخل النار ، والظن بآل بيته كلهم أن يطيعوا عند الامتحان لتقرَّبهم عينه ﷺ (٢) .

---

(١) روى الطبرانى والحاكم والبيهقى عن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى » وهذا الحديث هو السبب فى زواج سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أم كلثوم بنت سيدنا على كرم الله وجهه .

(٢) هذا وقد ورد فى أهل الفترة أحاديث كثيرة تفيد أنهم موقوفون إلى أن يمتحنوا يوم القيامة ، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار ، والمصحح منها ثلاثة :

١ ـ حديث الأسود بن سريع ، أن رسول الله ﷺ قال : أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ورجل مات فى الفترة فأما الأصم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول : رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوننى بالبعر ، وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذى مات فى الفترة فيقول : رب ما أتانى لك رسول ، فيأخذ مواثيقهم ليُطيعنَّه فيرسل إليهم : أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها فيسحب إليها .

٢ ـ والثانى : حديث أبى هريرة موقوفاً وهو مثل حديث الأسود ، رواهما الامام أحمد وإسحق فى مسنديهما والبيهقى فى كتاب الاعتقاد وعبد الرزاق بسند صحيح .

٣ ـ حديث ثوبان (رضى الله عنه) قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون : ربنا لم ترسل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك أمر ، ولو أرسلت إلينا رسولاً لكنا أطوع عبادك ، فيقول لهم ربهم أرأيتكم لو أمرتكم بأمر تطيعونى ؟ فيقولون : نعم فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوا ، فينطلقون =

وورد أن درجات الجنة بعدد آى القرآن ، وأنه يقال لصاحبه : اقرأ وارق ... الخ (١) ، فآخر منزلته عند آخر آية يقرؤها ، ولم يرد فى سائر الكتب مثل ذلك ، ولا يقرأ فى الجنة إلا كتابه ﷺ دون سائر الكتب ، ولا يتكلم فى الجنة إلا بلسانه .

وكان ﷺ يقول : أنا أول من يقرع باب الجنة ، فيقوم الخازن فيقول : من أنت ؟ فأقول أنا محمد ، فيقول : أقوم فأفتح لك ، ولم أقم لأحد قبلك ، ولا أقوم لأحد بعدك (٢) ، والله أعلم .

=حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظاً وزفيرا فيرجعون إلى ربهم فيقولون : ربنا أجرنا منها فيقول : ألم تزعموا أنى إن أمرتكم بأمر تطيعونى ؟ فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيقول : اعمدوا إليها ، فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا ورجعوا ، فيقولون : ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها ، فيقول : ادخلوها ، داخرين ، فقال النبى ﷺ : فلو دخلوها أول مرة لكانت عليهم برداً وسلاماً ، رواه البزار والحاكم وصححه وأقره الذهبى/ انظر سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد جـ١ .

(١) رواه أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم فى مستدركه عن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) انظر الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير جـ٣ .

(٢) رواه مسلم وأحمد فى مسنده عن أنس (رضى الله عنه) .

القسم الرابع

فيما اختص به فى أمته فى الآخرة

(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختص ﷺ بأن أمته أول من تنشق عنهم الأرض من الأمم ، ويأتون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء ، ويكونون فى الموقف على كوم عالٍ ولهم نوران كالأنبياء ، وليس لغيرهم إلا نور واحد ، ولهم سيما فى وجوههم من أثر السجود ، وتسعى ذريتهم بين أيديهم ، ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويمرون على الصراط كالبرق والريح ، ويشفع محسنهم فى مسيئهم ، وعجل عذابهم فى الدنيا وفى البرزخ لتوافى القيامة ممحصة ، وتدخل قبورها بذنوبها، وتخرج بلا ذنوب ، ممحص عنها باستغفار المؤمنين ، لها ما سعت وما سعى لها ، وليس لمن قبلهم إلا ما سعى .

ويقضى لهم قبل الخلائق ، ويغفر لهم المقحمات ، وهو أثقل الناس ميزاناً ، ونزلوا منزلة العدول من الحكام ، يشهدون على الناس أن رسلهم بلغتهم .

ويعطى كلٌ منهم يهودياً أو نصرانياً ، فيقال له : يا مسلم هذا فداؤك من النار [1] ، ويدخلون الجنة قبل سائر الأمم ، ويدخل

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبى موسى : «إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول : هذا فداؤك من النار» وفى رواية له : «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه فى النار يهودياً أو نصرانياً» اهـ/ انظر تخريج العراقى لأحاديث الإحياء جـ ٤ ص ١٥٥ طبعة بيروت .

منهم الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ومع كل واحد من السبعين ألفاً سبعون ألفاً ، وأطفالهم كلهم فى الجنة ، وأهل الجنة مائة وعشرون صفاً ، سائر الأمم أربعون ، وهذه الأمة ثمانون ، ويتجلى الله عليهم فيرونه ويسجدون له بإجماع أهل السنة ، وفى الحديث : « كل أمه بعضها فى الجنة وبعضا فى النار ، إلا هذه الأمة فإنها كلها فى الجنة » . والله أعلم .

****

القسم الخامس

فيما اختص به من الواجبات التى هى تخفيف على غيره وربما شاركه فى بعضها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

خص ﷺ بوجوب صلاة الضحى ، والوتر ، والتهجد ، السواك والأضحية ، والمشاورة ، وركعتى الفجر وغسل الجمعة ، وأربع قبل الزوال ، وبالوضوء لكل صلاة ، وكلما أحدث ، ثم نسخ بالسواك وبالاستعاذة ، ومصابرة العدو ، وإن كثر عددهم ، وإذا بارز رجلاً فى الحرب لم ينكشف عنه قبل قتله ، وإظهار تغيير المنكر ، وعدم سقوطه عنه بالخوف ، ووجوب الوفاء بوعده ، وقضاء دين من مات من المسلمين معسراً ، وتخيير نسائه فى فراقه، واختياره ، وإمساكهن بعد أن اخترنه ، وعدم التزوج عليهن أو التبدل بهن مكافأة لهن ، ثم نسخ ذلك لتكون المنة له ﷺ ، وأن يؤدى فرض الصلاة كاملة لا خلل فيها ، وأن يدفع بالتى هى أحسن ، وكلف من علم السياسة وحده ما كلفه الناس بأجمعهم ، وكلف بمشاهدة الحق مع معاشرة الناس ، وكلف من العمل بما كلف به الناس أجمعون .

وكان يؤخذ عن الدنيا حالة الوحى ، ولا تسقط عنه الصلاة والصوم وسائر الأحكام وكلف بالاستغفار كل يوم سبعين مرة ،

وكانت جميع نوافله التابعة للفرائض زيادة فى الأجر ، لا جبراً لخلل الفرض ، فإنها كلها منه تامة ﷺ ، وخصَّ بخمسين صلاة فى كل يوم ليلة ، على وفق ما كان ليلة الإسراء ، وأورد بعض العلماء الأحاديث فى صلاته غير الخمس ، فبلغت مائة ركعة .

وخص بوجوب إيقاظ النائم وقت الصلاة امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ﴾ .

وخص بوجوب العقيقة ، والإثابة على الهدية ، وأوجب عليه التوكل ، وحرم عليه الإدخار [1] وكان يُمَوِّنُ عيال من مات معسراً ويؤدى الجنايات عمن لزمته وهو معسر ، وكذلك الكفارات وخص بوجوب الصبر على ما يكره ، وصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ، وخطاب الناس بما يعقلون صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) يحرم عليه ﷺ الإدخار فى خاصة نفسه أما بالنسبة لأهله ﷺ فقد ثبت فى الصحيح أنه كان يبيع نخل بنى النضير ويحبس لأهله قوت سنة ، ولأن إعطاء القوت هو من باب إعطاء الحقوق التى هى عليه ﷺ لأهله وفى ذلك عون لهم على الطاعة والقيام بالواجبات .

القسم السادس

فيما اختص به من المحرمات تشريفا له

(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختص رسول الله ﷺ بتحريم الزكاة ، والصدقة والكفارة عليه وعلى آله ومواليه إن كان لهم ما يكفيهم وعلى زوجاته بالإجماع ، وكان أبو هريرة (رضى الله عنه) يقول : « إنما كان حراماً عليه صدقات الأعيان ، دون الصدقات العامة كالمساجد ومياه الآبار »(١)

وخص بتحريم جعل آله عمالاً ، وصرف النذر والكفارة إليهم وأكل ثمن أحد من ولد إسماعيل، ومما خص به تحريم الكتابة والشعر والقراءة فى الكتاب ، وكان يحرم عليه نزع لأُمَتِه (٢) إذا لبسها حتى يقاتل أو يحكم الله بينه وبين عدوه ، وكذلك الأنبياء

---

(١) صدقات التطوع أو الصدقات العامة تحل لآل بيت النبى ﷺ فى الأصح عند الشافعية والحنابلة وأكثر الحنفية وهو الصحيح المشهور عند المالكية ، واستدل للحل بما رواه الشافعى عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه كان يشرب من سقايات بين مكة والمدينة فقيل له : أتشرب من الصدقات فقال : إنما حرم علينا الصدقة المفروضة .

(٢) لأمته ، هى الدرع والسلاح ان احتيج له ، أما إذا هرب عدوه أو حصل بينهم صلح أو نحو ذلك جاز نزعها وهذا يشعر به قوله بعدها : أو يحكم الله بينه وبين عدوه ، فقد روى الامام أحمد والبيهقى وحسنه والبخارى وعلّقه عن جابر (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال : ليس لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ... الحديث .

كلهـــم «عليهم الصلاة السـلام» ، والمنّ ليستكثـر [1] (أى أن يهــدى هـدية ليثــاب بـأكثر منهـا) وخائنـة الأعيـــن ، ونكاح الكتابية [2] ومد الأعين إلى ما متع به النــاس ، وتحريم الإغارة إذا سـمع التكبير [3] ، وحرم عليه الخمر من أول ما بعث قبل أن يحرم على الناس بنحو عشرين سنة ، ولم يشربه قط ، ولا أبو بكر : لا فى جاهلية ولا إسلام ، ونهى عن التعرى وكشف العورة قبل مبعثه بخمس سنين .

---

(١) تحريم المن ليستكثر أى : لا تعطى شيئاً تمن به لتطلب أكثر منه فهذا طمع لا يليق بمقامه ﷺ .

(٢) تحريم نكاح الكتابية عليه ﷺ ولـوذمية لأن أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين ولا يجوز أن تكون الكافرة أمهم ، وأيضاً لأنهن زوجات له فى الأخرة ومعه فى الجنة .

(٣) تحــريم الإغــارة (أى على الأعــداء) إذا سمع التكبيــر أي الأذان فقــد ورد فى الصحيحين عن أنس (رضى الله عنه) كـان ﷺ إذا غزا قوما لم يغـز حتى يصبح وينظر فإذا سمع أذاناً كف عنهم ، وإذا لم يسمع أغار عليهم .

القسم السابع

فيما اختص به من المباحات

(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختص رسول الله ﷺ بإباحة المكث فى المسجد جنباً [1] ، وبجواز صلاة الوتر على الراحلة وقاعداً مع وجوبه عليه ، وبالجهر فى القراءة فيه ، وغيره يسر ، وبجواز صلاة الركعة الواحدة بعضها من قيام وبعضها من قعود ـ عند بعضهم ـ ، والقبلة فى الصوم مع قوة الشهوة لعصمته ﷺ والوصال ، وقهر من شاء على طعامه وشرابه ولباسه إذا احتاج إلى ذلك ، ويجب على مالك ذلك بذله وإن هلك ، ويفدى بمهجته مهجة رسول الله ﷺ وبإباحة النظر إلى الأجنبيات والخلوة بهن وإراد فهن [2] ، ونكاح أكثر من أربع نسوة ، وكذلك الأنبياء ، والنكاح بلا مهر

---

(١) قال الزرقانى فى شرح المواهب : هذا قاله صاحب التلخيص ، ومنعه القفال وهو المعتمد ، وقال النووى : ما قاله فى التلخيص قد يحتج له بحديث أبى سعيد الخدرى : يا على لا يحل لأحد أن يجنب فى هذا المسجد (أى يمكث فيه جنباً) غيرى وغيرك ، قال الترمذى حسن غريب ، وروى البخارى فى تاريخه : لا يحل المسجد لحائض ولا جنب إلا لمحمد وآل بيته » وكذا روى البيهقى وابن عساكر. هذا ومن يراجع شرح الزرقانى على المواهب يجد اختلاف العلماء بشأن هذا الحديث وتضعيفه وحكم الاحتجاج به ، وقد غلط إمام الحرمين صاحب التلخيص فى الإباحة ، وقال الزرقانى : واعلم أن معظم المباحات لم يفعلها النبى ﷺ وإن جازت له .

(٢) جواز الخلوة بالأجنبياتِ والنظر إليهن لثبوت عصمته ﷺ وهذا ما أثبته ابن حجر فى فتح البارى وقال : إن هذا من خصائصه ﷺ وإن نازع فى ذلك القاضى عياض ، ويدل له قصه أم حرام بنت ملحان وفيها أن النبى ﷺ كان يدخل عليها وينام عندها وتفلى رأسه ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية ا هـ. رواه البخارى .

ابتداء وانتهاء ، وبلا وليّ ، وبلا شهود (١) ، وفى حال الإحرام ، وبغير رضا المرأة ، وإذا رغب فى نكاح امرأة حرم على غيره خطبتها بمجرد الرغبة ، وإذا رغب فى مزوجة وجب على زوجها طلاقها لينكحها (٢) .

وكان له أن يخطب على خطبة غيره ، وأن يزوج المرأة ممن شاء بغير إذنها وإذن وليها أو يزوجها لنفسه ، وتولىِّ الطرفين (٣) بغير إذنها ولا إذن وليها ، وزوج ابنة حمزة مع وجود عمها العباس ، فَقُدِّم على الأقرب ، وقال لأم سلمة مرى ابنك أن يزوجك فزوجها ، وهو يومئذ صغير لم يبلغ ، وزوجه الله تعالى بزينب ، فدخل عليها بتزويج الله تعالى بغير عقد من نفسه ، وكان له أن يستثنى فى كلامه بعد حين منفصلاً ، وأن يصطفى من الغنيمة قبل القسمة ما شاء .

---

(١) من خصائصه ﷺ النكاح بغير ولى أو شهود وذلك لعدم الحاجة إلى ذلك فى حقه ﷺ وإنما اعتبر الولى فى حق غيره للمحافظة على الكفاءة وهو ﷺ فوق الأكفاء واعتبر الشهود لأمن الجحود وذلك لا يجوز عليه ﷺ ولو جحدت هى (أى المرأة) تكون كافرة بتكذيبه ﷺ .

(٢) إذا رغب فى مزوجة وجب على زوجها طلاقها لينكحها ، لأنه لا يرغب ولا يشتهى إلا ما أذن الله له فيه ، فما تحصل منه رغبه فى شىء إلا ويكون قد قدره الله تعالى وألهمهُ بطريق الوحى أنه حق ومآله إليه ، وقال الغزالى : لعل السر فى ذلك (أى وجوب التطليق على الزوج) امتحان إيمانه بتكليف النزول عن أهله فإنه ﷺ قال : لا يؤمن أحدكم ـ إيماناً كاملاً ـ حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وولده والناس أجمعين » .

(٣) ويتولى طرفى العقد لأنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم .

وكان له أن يشهد لنفسه ولولده ، وأن يقبل شهادة من شهد له ولولده ، وله قبول الهدية بخلاف غيره من الحكام ، وكان له قتل من اتهمه بالزنا من غير بينة ، ولا يجوز ذلك لغيره ، وكان له أن يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة ، وليس لنا إلا أن نصلى على نبى أو ملك وضحى عن أمته ، وليس لأحد أن يضحى عن الغير بغير إذنه ، وله أن يجمع فى الضمير بينه وبين الله بخلاف غيره [1] ، وله قتل من سبه أو هجاه ، وكان يقطع الأراضى قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها ، وله أن يقطع أرض الجنة من باب أولى صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) الجمع فى الضمير بينه وبين الله تعالى كما قال العز بن عبد السلام وغيره : إن له الجمع فى الضمير بينه وبين ربه كقوله ﷺ : «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وقوله : « ومن يعصمها فإنه لا يضر إلا نفسه » وذلك ممتنع فى حق غيره لقوله ﷺ للخطيب حين قال : « ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصمها فقد غوى : بئس الخطيب أنت قل : « ومن يعص الله ورسوله » قالوا : إنما امتنع من غيره دونه لأن غيره إذا جمع أوهَم إطلاقه التسوية (بين الله ورسوله) بخلافه هو ﷺ فإن منصبه لا يتطرق إليه إيهام ذلك .

القسم الثامن

فيما اختص به من الكرامات والفضائل

(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختص ﷺ بمنصب الصلاة ، وبأنه لا يورث ، وكذلك الأنبياء فلهم أن يُوصوا بكل مالهم صدقه ، وكان إذا خرج للغزاة بنفسه يجب على كل أحد الخروج معه لقوله تعالى : ﴿ **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله** ﴾ . ولم يبق هذا الحكم مع غيره من الخلفاء .

وخص بتحريم رؤية أشخاص أزواجه وبناته فى الأُزر (١)، وبتحريم كشف وجوههن وأكفهن لشهادة أو غيرها (٢) ، وسؤالهن مشافهة ، وصلاتهن على ظهور البيوت ، وأنهن أمهات المؤمنين، ووجوب جلوسهن بعده فى البيوت ، وأباح لهن ولآله الجلوس فى المسجد مع الحيض والجنابة(٣) .

---

(١) (٢) تحريم رؤية أشخاص بناته وأزواجه فى الأزر لأن فرض الحجاب مما اختصصن به بلا خلاف فى الوجه والكفين فلا يجوز كشف ذلك فى شهادة ولا غيرها بل يحرم عليهن إظهار شخوصهن وإن كن مستترات بالأزر ونحوها إلا ما دعت إليه ضرورة من خروجهن إلى قضاء حاجة فلا حرمة ، ويستدل لذلك بأن زينب بنت جحش أمرت باتخاذ القبة فوق نعشها لتستر شخصها وذلك بمحضر الصحابة وفيهم عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) الذى صلى عليها ولم ينكر ذلك وفيه أنه يمنع رؤية أشخاصهن ولو بعد الموت .

(٣) سبق الكلام عن ذلك .

وكان تطوعه قاعداً كتطوعه قائماً بلا عذر (١) ، وكان يجب على المصلى إجابته (٢) ، وكذلك الأنبياء ، وكان جابر (رضى الله عنه) يقول : ليس على من ضحك فى الصلاة وضوء ، إنما وجب على الصحابة لكونهم ضحكوا خلف رسول الله ﷺ ، ويحرم نداؤه من وراء الحجرات والصياح به من بعيد ، وخص بطهارة دمه وبوله وسائر فضلاته (٣) ، بل شرب بوله شفاء (٤) ومن سبَّه قتل ، ومن استهان به كفر ، ومحبته فرض على الأمة ، وكذلك محبة أهل بيته وأصحابه ، ولم تبغ امرأة نبى قط ، وأولاد بناته ينسبون إليه . وفى حديث : « **إن الله تعالى لم يبعث نبياً قط إلا جعل ذريته من صلبه ، غيرى فإن الله تعالى جعل ذريتى من صلب على** » (٥) .

ولايجوز التزوج على بناته (٦) ومنع بعض العلماء التزوج على

---

(١) لما أخرجه الامام مسلم وأبو داود عن ابن عمر قال : حدثت أن النبى ﷺ قال : «صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة فأتيته فوجدته يصلى جالسًا فقلت يارسول الله حدثت أنك قلت صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة ، وأنت تصلى قاعداً قال : أجل ولكنى لست كأحد منكم» .

(٢) لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ الآية ، قال العلماء : استدل بها على وجوب إجابته ﷺ إذا نادى أحداً وهو فى الصلاة ـ وعن الشافعى أن هذا لا يبطلها ـ ويؤيد القول بالوجوب ما أخرجه الترمذى والنسائى عن أبى هريرة مر النبى ﷺ على أبى ابن كعب وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال : ما منعك من إجابتى قال : كنت أصلى قال : ألم تخبر فيما أوحى : «استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيكم» قال : بلى ولا أعود إن شاء الله ... الحديث .

(٣) (٤) يراجع الخصائص الكبرى للامام السيوطى فقد فصل القول فى كل ما يتعلق بذلك .

(٥) رواه الطبرانى عن جابر والخطيب عن ابن عباس .

(٦) عدم التزوج على بناته ﷺ لحديث البخارى وفيه : « إن بنى هاشم استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب ، فاستشاروا النبى ﷺ فقال : لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى ... الحديث .

ذرية بناته ، وإن سفلن إلى يوم القيامة ، ووجهه ظاهر ، ومن صاهره من الجانبين لم يدخل النار ، ولا يجتهد فى محراب صلى إليه لا فى يمنة ولا فى يسرة ، ويجل منصبه عن الدعاء له بلفظ الرحمة (١) .

وليس لأحد أن ينقش « محمد رسول الله » على خاتمه ، كما كان خاتمه ﷺ وكان لا يقول فى الغضب والرضا إلا حقاً ، ورؤياه حق ، وكذلك الأنبياء .

ولا يجوز على الأنبياء الجنون ولا الإغماء الطويل الزمن ، على أن إغماءهم بخلاف إغماء غيرهم ، كما خالف نومهم نوم غيرهم، وبالجملة فيجب تنزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن كل نقص ينفِّر النفوس وكان له ﷺ أن يخُصَّ من شاء بما شاء من الأحكام ، كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين ، وكما رخص فى

---

(١) قال ابن عبد البر : لا يجوز لأحد إذا ذكر النبى ﷺ أن يقول : رحمه الله ، لأنه قال : من صلى علىَّ ، ولم يقل من ترحم على ولا من دعا لى وإن كان معنى الصلاة الرحمة ، ولكنه خص بهذا اللفظ تعظيماً له ﷺ فلا يعدل عنه إلى غيره ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ قال ابن حجر فى (شرح البخارى) وهو بحث حسن .

النياحة لخولة بنت حكيم [1] وفى ترك الإحداد لأسماء بنت عميس [2] ، وخص نساء المهاجرين بأن يرثن دور أزواجهن ، لكونهن غرائب لا مأوى لهن .

---

(١) ترخيصه ﷺ فى النياحة لأم عطية (نسيبة بنت الحارث الأنصارية) ـ أو لخولة بنت حكيم ـ أخرج ذلك الامام البخارى فى كتاب التفسير عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية ، قالت : بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا « أن لا يشركن بالله شيئاً » ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها وقالت : أسعدتنى فلانة (الاسعاد قيام المرأة مع الأخرى فى المناحة تراسلها ، أى تساعدها ، وهو خاص بهذا المعنى ولا يستعمل إلا فى المساعدة عليها) أريد أن أجزيها فما قال لها النبى ﷺ شيئاً فانطلقت ورجعت فبايعها . وللنسائى : اذهبى فأسعديها وقال الحافظ : التى قبضت يدها هى أم عطية .

قال النووى : هذا محمول على الترخيص لأم عطية خاصة وللشارع أن يخص من العموم من يشاء ، وقال الزرقانى (فى المواهب) : والظاهر أن النياحة كانت مباحة ثم كرهت تنزيهاً ثم حرمت فيكون الإذن بذلك وقع لبيان الجواز مع الكراهة ثم لما تمت مبايعة النساء وقع التحريم وورد الوعيد الشديد . ولا يفهم من هذا الترخيص لأم عطية أنه ﷺ رخص لها فى النياحة على إطلاقها ، فليس كل نياحة فيها ألفاظ السخط والاعتراض على المولى عز وجل ولطم الخدود وشق الجيوب فهذا كفر ومحال أن يرخص فيه النبى ﷺ لأحد ويحتمل أن يكون رخص لها أن تساعدهم لعلمه أنهم لا يأتون مثل هذه الألفاظ أو الأفعال التى فيها سخط واعتراض وإن كان هناك نوع من الكراهة التنزيهية كما لا يخفى وهذه قضية فى أمر خاص لا يقاس عليها .

(٢) ترك الإحداد لأسماء بنت عميس الخثعمية التى تزوجها جعفر بن أبى طالب ثم أبو بكر ثم على وولدت لهم وماتت بعد على وهى أخت ميمونة بنت الحارث (أم المؤمنين) لأمها ، أخرج ابن سعد والنسائى : « لما أصيب جعفر قال لى رسول الله ﷺ : تسلّبى أى (أحدِّى) على زوجك ثلاثاً (والتسلب امتناع المرأة من الزينة والخضاب بعد موت زوجها) ثم اصنعى ما شئت ، فأباح لها ترك الإحداد بعدها مع وجوبه على المرأة ما دامت فى العدة .

وكان يرى من خلفه كما ينظر أمامه وعن يمينه وعن شماله [١] ، ويرى بـالليل وفى الظلمة كمـا يرى بـالنهار [٢] وفى الوضـوء ريقه يعذب الماء المالح ، ويجزىء الرضيع ، ويبلغ صوته وسمعه مالا يبلغه غيره ، وتنام عينه ولا ينـام قلبه ، وما تثاءب قط ، ولا احتلم قط ، وكذلك الأنبياء فى (الثلاثة) ، وعرقه أطيب من المسك .

وكان إذا مشى مع الطويل طـاله ، وإذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين ، ولم يقع ظله على الأرض [٣] ، ولا رؤى له ظل فى الشمس ولا القمر [٤] ، ولم يقع على ثيـابه ذبـاب قط ولا آذاه القمل .

وكـان إذا ركب دابـة لا تروث ولا تبـول وهـو راكبهـا ، ولم تكن لقدمه خَمَصٌ ، وكان خنصر رجله متظافرة ، وكانت الأرض تطوى

---

(١) (٢) أخرج الشيخان عن أبى هـريرة أن رسول الله ﷺ قال : « هل تـرون قبلتى هاهنا فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم ، إنى لأراكم من وراء ظهرى » .

وأخرج ابن عدى والبيهقى وابن عساكر ، عن عـائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يرى فى الظلمـاء كما يـرى فى الضوء : وقـال العلمـاء : هذا الإبصـار إدراك حقيقى خاص بـه ﷺ انخرقت لـه فيه العادة ، ثم يجوز أن يكـون برؤية عينيه انخـرقت له فيه العادة أيضـاً ، فكان يرى بهمـا من غير مقابلة لأن الحق عنـد أهل السنة أن الرؤيـة لا يشترط لها المقابلـة عقلاً ، ولذلك حكموا بجواز رؤية الله تعالى فى الآخرة ، والله أعلم .

(٣) (٤) أخرج الحكيم التـرمذى ، عن ذكـوان أن رسول الله ﷺ لم يكن يـرى له ظل فى شمس ولا قمر ، وقـال ابن سبع : من خصـائصه : أن ظله كـان لا يقع على الأرض ، وقيل حتى لا يطؤه كافر بقدمه ، والله أعلم .

له إذا مشى ، وأوتى قوة أربعين فى الجماع (١) والبطش ، كل رجل قوته قوة مائة رجل .

وكان أقنع الناس فى الغذاء ، تقنعه اللعقة ، وكانت الأرض تبتلع ما يخرج منه (٢) ، ويشم من مكانه رائحة المسك ، وكذلك الأنبياء ، ولم يقع فى نسبه من لدن آدم سفاح قط ، وتقلب فى الساجدين حتى خرج نبياً ، ولم يلد أبواه غيره ، ونكست الأصنام لمولده ، وولد مختونا ، ومقطوع السرة ونظيفاً ما به قذر ، ووقع إلى الأرض ساجداً ، رافعاً أصبعه كالمتضرع المبتهل ، ورأت أمه عند ولادته نوراً خرج منها أضاءت له قصور الشام ، وكذلك أمهات النبيين يرين ، ولم ترضعه مرضعة إلا أسلمت ، وكان فى مهده يتحرك بتحريك الملائكة ، ويميل القمر إليه حيث أشار إليه (٣) ، وتكلم فى المهد ، وكان ما تكلم به أن قال : « الله أكبر

---

(١) أخرج البخارى من طريق قتادة ، عن أنس قال : كان النبى ﷺ يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار وهنَّ إحدى عشرة قلت لأنس : أو كان يطيقه ؟ قال : كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين » ... وغير ذلك من الأحاديث التى ساقها السيوطى فى الخصائص .

(٢) أخرج ابن سعد وأبو نعيم والبيهقى وغيرهم عن عائشة قالت : قلت يارسول الله تأتى الخلاء فلا يرى منك شيء من الأذى ؟ قال : « أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء » .

(٣) أخرج البيهقى والصابونى فى (المأتين) والخطيب وابن عساكر عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت يارسول الله دعانى إلى الدخول فى دينك أمارة لنبوتك رأيتك فى المهد تناغى القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال . قال : إنى كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش » .

كبيراً والحمد لله كثيـراً » (١) وردت إليه الـروح بعد مـا قبض ، ثم خير بين البقـاء فى الدنيـا والرجـوع إلى الله فاختـار الرجـوع إليه ، وكذلك الأنبياء .

وأرسل إليه ربه جبريل ثلاثة أيـام فى مرضه ، يسأله عن حاله ، ولمـا نزل إليـه ملك الموت نـزل معه ملك يقـال له « إسمـاعيل » يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء ولم يهبط إلى الأرض قبل ذلك اليوم قط (٢) ، وسمعوا صوت ملك المـوت يبكى وينادى عليه : « وامحمداه . » (٣) .

وصلى عليه ربـه والملائكـة ، وصلى عليه النـاس أفواجـاً بغير إمـام، وقـالـوا: هـو إمامكـم حياً وميتـاً ، وبغيـر دعـاء الجنـازة المعروف، ودفن فى بيته حيث قبض ، وكذلك الأنبياء .

والأفضل فى حق غيـرهم الدفن فى المقبـرة ، وأظلمت الأرض بعد مـوته ، وهـو حى فى قبره يصلى فيـه بأذان وإقامـة ، وكذلك

---

(١) قال ابن حجر فـى شرح البخارى : أن النبى ﷺ تكلم أوائل ما ولد وذكـر ابن سبع أن مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة وأن أول كلام تكلم به : « الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيـراً » .

(٢) (٣) رواه الشـافعى والبيهقى والطبرانى بإسنـاد معضل وذكـر السيوطى الحـديث بطولـه فى الخصائص باب : « ما وقع له عند احتضاره ﷺ من الآيات والخصائص .

أما حديث بكاء ملك الموت فقد أخرجـه أبو نعيم عن على (رضى الله عنه) كما ذكر السيوطى فى الخصائص أيضاً .

الأنبيـاء ، وقراءة أحـاديثـه عبادة يثـاب عليهـا كقراءة القـرآن [١]، ويستحب الغسل لقراءة حديثه والطيب ، ولا ترفع عنده الأصوات كما هو فى حياته ﷺ ويكره لقارىء حديثه أن يقوم لأحد ، وحملة الحديث لا تزال وجوههم نضرة ، وأصحابه كلهم عدول .

ومن خصائصه ، أن الإمام بعده لا يكون إلا واحداً [٢] ولم تكن الأنبيـاء قبلـه كـذلك . وأن آلـه لا يكـافئهم فى النكـاح أحـد من الخلق، ويطلق عليهم الأشراف ، وهم ولد على وعقيل وجعفر و العباس ، كذا مصطلح السلف (رضى الله عنهم) .

وإنما حدث تخصيص الشرف بولد الحسن والحسين فى مصر خاصة ، من عهد الخلفاء والفاطميين .

ومن خصـائص ابنتـه فـاطمـة رضى الله عنهـا : أنهـا كـانت لا تحيض [٣] ، وكانت إذا ولدت طهرت من نفـاسها بعد ساعة حتى لا تفوتها صلاة ، ولذلك سميت الزهراء .

---

(١) لأنها راجعة الى الـوحى فى معناها ، وقوله : ﴿ كقراءة القـرآن ﴾ أى أنه يثاب على تلاوتهـا كما يثاب على تلاوة القـرآن إلا أنه يشترط فيها الفهم . أمّـا القرآن فهو متعبد بتـلاوته بفهم وبغير فهم . وعلى هذا فليس المقصود أن أحاديثه ﷺ تساوى القرآن فى الدرجة .

(٢) المقصود بالامـام هنا الإمامة العظمى وهى الخـلافة الدينية ومن شـروطها : يجب أن يكون الإمام واحداً لئلا يختلفا فيؤدى ذلك إلى الفساد فى أحوال الأمة .

(٣) فى الفتاوى الظهيرية الحنفية . قالت المولدات : طهرت من نفاسها بعد ساعة لئلا تفوتها صـلاة ولذلك سميت الزهراء . وجـزم بذلك من أصحاب الشافعيـة المحب الطبرى وأورد حـديثين فى كتابـه « ذخـائر العقبى فى منـاقب ذوى القربى » وقـال ابن الجـوزى عن الحديثين إنهما موضوعان وأقره على ذلك السيوطى مع شده عليه . =

ولما جاءت وضع ﷺ يده على صدرهـا ، فما جاءت بعد ، ولما احتضرت غسلت نفسهـا ، وأوصت أن لا يكشفها أحد ، فـدفنها على (رضى الله تعالى عنه) بغسلها ذلك .

وكان ﷺ إذا مسح بيده رأس أقرع نبـت الشعر فى وقته ، وغرس نخلاً فأثمرت من عامهـا ، وكان إذا تبسم فى الليل أضاء البيت ، وكان يسمع حفيف أجنحـة جبريل وهو بعـد فى سدرة المنتهى ، ويشم رائحـة إذا تـوجه بـالـوحى إليـه ، وكـان لـه قــراءة القـرآن بالمعنـى [1] ، واهتـز العرش لمـوت أحد أصحـابه فـرحاً بلقــاء روحــه[2] .

ولم يكن يمر ﷺ فى طريق فيتبعه فيها أحد إلا عرف أنه سلكها

=وليس معنى هذا أننا ننكر إمكان أنهـا (رضى الله عنها) كانت لا تحيض ولا يرى لها دم فى طمث ولا فى ولادة ، بأن يطهرها الله سبحـانه وتعالى من دم الحيض والنفاس خصـوصية لها دون غيرهـا ، وان كان الحديثـان موضـوعين ـ كما حكم ابن الجـوزى ومن تبعه ـ فهذا من ناحية الإسناد ، وليس هو من المستحيل العقلى فى شىء .

(١) هذه العبـارة تحتاج إلى تمحيص وإثبات لأن القـرآن الكريم على مـذهب الجمهور لفظاً ومعنى من عند الله تبارك وتعالى ، ولا يجوز فيما نعلم روايته بالمعنى ، ولذلك فلا يثبت تخصيص إلا بنص ونحن نطالب به .

(٢) هو سيـدنا سعد بن معاذ (رضى الله عنـه) فقد أخرج الشيخان عن جـابر (رضى الله عنـه) عن رسول الله ﷺ : اهتـز العرش لمـوت سعد بن معـاذ، قال ابن فـورك فى مشكل الحديث وبيانه : والصحيح من التأويل فى ذلك أن يقـال : الاهتزاز هو الاستبشار والسرور، وذهب بعض أهل العلم إلى أن العرش تحرك واهتز حقيقة ولا منـافاة بين الرأيين لأننا نشاهد فى الإنسان إذا زادت فرحته بشىء اهتز وتمايل من شدة الفرح .

من طيبه وحسن رائحته ، وبالجملة فأوصافه ﷺ الحسنة لا تحصى ولا تحصر ، وفى هذا القدر كفاية وتنبيه على ماسواه .

قال الإمام الشعرانى (رضى الله عنه) : وقد كتبت هذه الخصائص من خط سيدنا وشيخنا خاتمة الحفاظ الشيخ جلال الدين السيوطى (رحمه الله ونفعنا بعلمه والمسلمين) وكان رضى الله عنه يقول : تتبعت هذه الخصائص حتى أنهيتها إلى هذا الحد مدة عشرين سنة ، ولم أعلم أحداً أنهاها إلى هذا الحد ، والله أعلم .

****

العجز عن وصف المصطفى

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال فى الهمزية :

إن من معجــزاتك العجــز عن وصــ
ــــفك إذ لا يحـــــده الإحصــــاء

كيف يستـــوعب الكـــلام سجيـــا
ك وهل تنـــزح البحـــار الـــرِّكـــاء

ليس مــن غـــايـــة لمــدحك أبغيــــ
ــــها وللقـــول غـــايـــة وانتهـــاء

إنمــــا فضلك الـــزمـــان وآيـــا
تـك فيمـــــا نعـــــده الآنــــاء

وقال السبكى فى آخر تائيته :

وأقسم لـــو أن البحــار جميعهــا
مــدادى وأقـلامـى لهـا كـل غـوطـة

لمــا جئت بــالمعشـار مـن آيك التى
تــزيــد على عــد النجــوم المنيــرة

وقال غيره :

فبـــالـغ وأكثـــر لن تحيط بـــوصفـــه
وأين الثـــريـــا مـن يـــد المتنــــاول

ورؤى عمـــــر بن الفـــارض فى النوم فقيـل له : لِمَ لمْ تمـدح النبى ﷺ صراحة ؟ فقال :

أرى كل مـــدح فـى النبى مقصِّـــرا
مهمـا بـــالغ المثنى عليـــه وأكثـــرا
إذ الله أثنى بـــالـــذى هـــو أهلـــه
عليـه فمـا مقدار مـا تمـدح الـورى ؟

وقال غيره :

مـدحتـك آيـات الكتـاب فمـا عسى
يأتـى على عليـــاك نظم مـــديحى
وإذا كتـــاب الله جـــاءك مـــادحـــاً
كـــان القصـــور قصـــارى كلِّ فصيح

****

أنا ابن العواتك (١)

« أنا ابن العواتك من سليم » رواه سعيد بن منصور ، والطبراني عن شبابة بن عاصم (رضى الله عنه) . قال رحمه الله تعالى : قال في الصحاح : « العواتك من جداته ﷺ تسع ، وقال غيره : كان له ثلاث جدات من سليم ، كل تسمى عاتكة ، وهن : عاتكة بنت هلال بن فالج (بالجيم) ابن ذكوان ، أم عبد مناف ، وعاتكة بنت مرة بن هلال « أم هاشم » ، وعاتكة بنت الأوقصى بن مرة بن هلال « أم وهب أبى آمنة » وبقية التسع من غير بنى سليم .

قال الحليمى : لم يرد ﷺ بذلك فخراً بل تعريف منازل المذكورات ، كما يقال كان أبى فقيهاً لا يريد به إلا التعريف ، ويمكن أنه ﷺ أراد به التحدث بنعمة الله تعالى فى نفسه وآبائه وأمهاته ، وبنوسليم تفخر بهذه الولادة .

وفى رواية لابن عساكر ، « أنا ابن الفواطم » وهذا قاله يوم حنين ، قال فى الروض : يقال : امرأة عاتكة ، وهى المصفرة بالزعفران والطيب ، وفى القاموس : العاتك : الكريم وقال ابن سعد : العاتكة فى اللغة : الطاهرة .

(١) وفى القاموس : عتكت المرأة شرفت ورأست .

أنا أولى بالمؤمنين

« **أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم** » فمن توفى من المؤمنين فترك ديناً فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالاً فهو لورثته ، رواه الإمام أحمد ، والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة عن أبى هريرة (رضى الله عنه) . وهو ﷺ أولى بالمؤمنين بنص رب العالمين ، قال الله تعالى : ﴿ **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ .

قال بعض الصوفية : وإنما كان ﷺ أولى بهم من أنفسهم لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك ، وهو ﷺ يدعوهم إلى النجاة ، ويترتب على كونه أولى ، أنه يجب عليهم إيثار طاعته على شهوات نفوسهم ، وإن شق عليهم ، وأن يحبوه بأكثر من محبتهم لأنفسهم ، ويدخل فيه النساء .

وقوله ﷺ : « **من أنفسهم** » أى أنا أولى بهم من أنفسهم فى كل شيء من أمر الدارين ، لأنى الخليفة الأكبر الممد لكل موجود فيجب عليهم أن أكون أحب إليهم من أنفسهم ، وحكمى أنفذ عليهم من حكمها ، وهذا قاله ﷺ لما نزلت الآية .

ومن محاسن أخلاقه السنية ﷺ « **أنه لم يذكر ماله فى ذلك من الحقوق ، بل اقتصر على ما عليه ، حيث قال : فمن توفى من المؤمنين** » الخ .

قال النووى : وحاصل معنى الحديث : أنا قائم بمصالحكم

فى حياة أحدكم وموته ، أنـا وليه فى الحالين ، فإن كان عليه دين قضيته إن لم يخلف وفاء ، وإن كـان له مال فلورثتـه ، لا آخذ منه شيئاً ، وإن خلف عيالاً محتاجين ، فعلى مؤنتهم : ﷺ ، ما أرأفه وأشفقه على أمته . !

تقلله ﷺ من الدنيا كان اختياراً

عن أبى أمامـة (رضـى الله تعالى عنــه) قـال : قـال رسول الله ﷺ : «**عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً ، فقلت : لا يا رب ، ولكن أشبع يـوماً وأجوع يومـاً ، فإذا جعتُ تضرعت إليك وذكـرتك ، وإذا شبعت حمــدتك وشكـرتك** » رواه الإمام أحمـد والترمذى .

وجمع ﷺ بين الصبـر والشكر ، وهمـا صفتـا المؤمن الكـامل المخلص ، قال تعالى : « **إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور** » .

وحكمة هـذا التفصيل الاستلذاذ بـالخطاب ، وإلا فـالله تعالى عالم بالأشياء جملة وتفصيلاً . وهـذا يعرفك بأن ما كان عليه ﷺ من التقلل من الدنيا لم يكن اضطـراراً بل اختياراً مع إمكان التوسع والتبسط له صلى الله عليه وآله وسلم .

لطيفة

كان للأديب الأكبر الشيخ « عبد الجليل برادة المدنى ، صديق حميم سافر إلى المغرب فأرسل إلى الشيخ عبد الجليل يقول له :

تعــالـى نجــدد دارس الحب بيننـــا

كــلانـــا على طــول البعـــاد ملــوم

فأجابه :

تعــالـى نجــدد دارس الحب بيننـــا

بطيبـــة إذ فيهـــا النعيم يـــدوم

يــلام الـذى عنهــا تناءى فــلا تقل

كــلانــا علـى طــول البعــاد ملــوم

اهـــ/ إمـــلاء شيخنـــا محمـــد نـــور سيف

أسماء النبى

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قد تعـرض جماعة لتعـدادها ، وبلغـوا بها عدداً مخصـوصاً ، فمنهم من بلغ تسعـة وتسعين ، موافقـة لعدد أسمـاء الله الحسنى الواردة فى الحديث .

وقـال القـاضى عيـاض : وقد خصـه الله تعـالى بأن سمـاه من أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسماً .

وقال ابن دحية فى كتابه « المستوفى » : إذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن والحديث وفى الثلاثمائة .

قال فى المواهب : ورأيت فى كتاب أحكام القرآن للقاضى أبى بكـر بن العـربى ، قـال بعض الصـوفيـة ، : لله تعـالى ألف اسم وللنبى ﷺ ألف اسم ، والمراد من الأسماء « الأوصاف » فكل من الأسماء التى وردت أوصـاف مدح وإذا كـان ذلك فله ﷺ من كل وصف اسم ثم إن منها ما هو مختص به أو الغالب عليه . ومنها ما هو مشترك ، وكل ذلك بيّن بالمشـاهدة لا يخفى ، وإذا جعلنا له كل وصف من أوصافه اسماً بلغت أوصافه ما ذكر ، بل وأكثر .

قال : والذى رأيته فى كـلام شيخنا « يعنى الحافظ السخاوى » فى « القول البـديع » والقاضى عياض فى « الشفـا » وابن العربى فى « القبس » و« الأحكام » لـه ، وابن سيد الناس ، وغيرهم يـزيد

على الأربعمائة ثم سردها مرتبة على الحروف ، وأكثرها جمع شيخه السخاوى فى القول البديع ، وما زاده لغيره قليل جداً ، وزاد عليهم نحو ضعفها الحافظ الشامى تلميذ الحافظ السيوطى ، كما نقله عنه الزرقانى فى شرح المواهب ، وقد جمع ذلك الشيخ النبهانى ، وزاد عليه فبلغ ثمانمائة ونيفاً وعشرين اسماً ، ونظمها فى مزدوجة سماها ، « أحسن الرسائل فى نظم أسماء النبى الكامل » .

من علامات محبته

(صلى الله عليه وآله وسلم)

روى البخارى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أنه ﷺ قال : « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**» .

وروى البخارى عن عمر (رضى الله عنه) أنه قال للنبى ﷺ : لأنت يارسول الله أحب إلى من كل شىء إلا نفسى التى بين جنبى ، فقال النبى ﷺ : « **لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه » فقال عمر : « والذى أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلى من نفسى التى بين جنبيي ، فقال له النبى ﷺ : الآن يا عمر»** .

وقال على بن أبى طالب (رضى الله عنه) : **كان رسول الله ﷺ**

أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ، ومن الماء البارد على الظمأ » .

وروى ابن اسحق : أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ فقالت بعد أن أخبروها بموتهم : ما فعل رسول الله ﷺ قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبين ، فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : « كل مصيبة بعدك جَلَل » أى صغيرة .

ولما أخرج مشركو مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه ، قال له أبو سفيان بن حرب ـ وذلك قبل أن يسلم ـ : أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمداً الآن عندنا نضرب عنقه وأنك فى أهلك ، فقال زيد : والله ما أحب أن محمد الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة وأنى جالس فى أهلى فقال أبو سفيان : ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً » .

ولمحبته ﷺ علامات : أعظمها الاقتداء به ، واستعمال سنته ، وسلوك طريقته ، والاهتداء بهديه وسيرته ، والوقوف على ما حده لنا من شريعته ﷺ قال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ فجعل تعالى متابعة الرسول ﷺ آية محبة العبد ربه .

ومن علامات محبته ﷺ : أن يرضى المؤمن بما شرعه الله

تعالى على لسانه ﷺ حتى لا يجد فى نفسه حرجاً مما قضى قال الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » فسلب اسم الايمان عمن وجد فى صدره حرجاً من قضائه ولم يسلم له ﷺ فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله ، كما قال تعالى : ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾ وأكد ذلك بقوله : « **يد الله فوق أيديهم** » .

قال سهل بن عبد الله : من لم يـر ولاية رسول الله ﷺ فى جميع أحواله ويرى نفسه فى ملكه ﷺ لم يذق حلاوة سنته . ومن علامات محبته ﷺ نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه فى الجود والإيثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها ، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشقات وأثر ذلك على أعراض الدنيا الفانيات .

ومن علامات محبته ﷺ تعظيمه عند ذكره ، وإظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه ، فكل من أحب شيئاً خضع له ، كما كان كثير من الصحابه بعده إذا ذكروه ﷺ خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا ، وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم ، يفعلون ذلك محبة له وشوقاً إليه وتهيباً وتوقيراً .

ومن علامات محبته ﷺ كثرة الشوق إلى لقائه .

ومن علامات محبته ﷺ حب القرآن الذى أتى به ، وإذا أردت أن تعرف ما عندك من محبه الله ورسوله فانظر محبة القرآن من قلبك .

ومن علامات محبته ﷺ محبة سنته وقراءة حديثه .

ومن علامات محبته ﷺ إن يلتذ بحبه وبذكره ، وعند سماع اسمه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن علامات محبته ﷺ محبة دينه وآله وصحبه وبلده ، ومحبة كل شيء ينسب إليه ﷺ ، وإذا اشتدت محبة العبد للنبى ﷺ شغلته عن كل شيء ، واستغرقت قلبه وروحه وسمعه ، فتكثر رؤيته له فى المنام ولا يذهب عن خاطره ، وقد يراه ﷺ يقظة فيكون من أكابر الأولياء وخيرة الأصفياء .

وهذه صورة من حرص الصحابه على آثار المصطفى ﷺ :

قال أبو نعيم فى الدلائل : حدثنا سليمان بن أحمد . حدثنا على بن عبد العزيز ، حدثنا سعيد بن منصور ، قال حدثنا هشيم، قال حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن خالد بن الوليد ، أنه فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال : اطلبوها ، فلم يجدوها ، فقال : اطلبوها فوجدوها فإذا هى قلنسوة خَلِقَةٌ ، فقال خالد : اعتمر رسول ﷺ فحلق رأسه ، فابتدر الناس جوانب

شعره، قال فسبقتهم إلى ناصيته ، فجعلتها فى هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالاً وهى معى إلا رزقت النصر ، رواه أبو نعيم .

أبو لهب يخاف من دعوة النبى

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الحافظ أبو نعيم : « **عن هبّار بن الأسود ، قال : كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام ، وتجهزتُ معهما ، فقال ابنه** « **عتبة** » **والله لأنطلقن إليه فلأوذينه فى ربه** ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : «**يا محمد هو يكفر بالذى دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى** » فقال رسول الله ﷺ « **اللهم ابعث عليه كلباً من كلابك** » ثم انصرف عنه فرجع إليه ، فقال : أى بُنَّى ما قلت له ؟ قال : كفرت بإلهه الذى يعبد ، قال : فماذا قال لك ؟ قال : قال : اللهم ابعث عليه كلباً من كلابك ، فقال : أى بنى والله ما آمن عليك دعوة محمد ، فسرنا حتى نزلنا الشراة (وهى مأسدة) فنزلنا صومعة راهب ، فقال : يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد ، وإنها مسرح الضيغم ؟ فقال لنا أبو لهب : إنكم قد عرفتم حقى ، قلنا : أجل يا أبا لهب ، فقال : إن محمداً قد دعا على ابنى دعوة، والله ما آمنها عليه ، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة ، ثم افرشوا حوله ففعلنا حتى جمعنا المتاع حتى ارتفع ، ثم فرشنا له عليه ، وفرشنا حوله ، فبينا نحن حوله ، وأبو لهب معنا

أسفل ، وبات هو فوق المتاع ، فجـاء الأسد فشم وجوهنا ، فلما لم يجد مـا يريد تقبض ، ثـم وثب ، فإذا هو فوق المتـاع ، فجاء الأسد ، فشم وجهه ثم هزمه هزمة ففضح رأسه ، فقال : سيفى يا كلب : لم يقدر على غير ذلك ، ووثبنا فانطلق الأسد ، وقد فضح رأسه .

«رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة» .

من عجائب آثار معجزاته

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الحافظ أبو نعيم : « حدثنا أحمد بن إسحق وعبد الله بن محمد ، قال : حدثنا أبو بكر بن عاصم قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة : قال : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، : حدثنى رجل من بنى سلامان بن سعد ، عن أمه ، أن خالها حبيب بن أبى فديك ، حدثها ، أن أباه خرج به رسول الله ﷺ وعيناه مبيضتان ، لا يبصر بهما شيئاً ، فسأله : ما أصابه ؟ قال : إنى كنت أمرّن جملاً لى ، فوقعت رجلى على بيض حية ، فأصيب بصرى ، فنفث رسول الله ﷺ فى عينيه فأبصر ، قال : فرأيته يدخل الخيط فى الإبرة وإنه لابن ثمانين ، وإن عينيه لمبيضتان .

من عجائب المعجزات وتأثيرها فى القوى البدنية

قال الحافظ أبو نعيم :

وحدثنا فاروق الخطابى ، حدثنا أبو مسلم ، حدثنا المقدمى ، قال : حدثنا زيد بن الحباب ، : حدثنا حسين بن واقد ، : حدثنى أبو نهيك الأزدى ، : حدثنى عمرو بن أخطب قال : استَسقى رسول الله ﷺ فأتيته بجمجمة وفيها ماء ، وفيه شعرة فناولته ، فنظر إلىَّ فقال : اللهم جمِّله ، قال : فرأيته وهو ابن

ثلاث وتسعين سنة ، وما فى رأسه ولحيته شعرة بيضاء » وقال : حدثنا به القاضى أبو أحمد إملاءً ، قال أحمد بن إسحق الجوهرى، قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن خالد الرقى ، : حدثنا يعلى بن الأشدقى ، قال : سمعت النابغة بن الجعد ، يقول : أنشدت رسول الله ﷺ هذا الشعر فأعجبه :

بلغنا السماء مجدنا وثراءنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

فقال النبى ﷺ إلى أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت : إلى الجنة ، قال : أجل إن شاء الله تعالى :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبى ﷺ : أجدت ، لا يفضض الله فاك » قال يعلى : فلقد رأيته وقد أتى عليه نيف ومائة سنة ، وما ذهب له سن » . اهـ

زيارة أبى الحسن الشاذلى « رضى الله تعالى عنه »

لما جاء الإمام أبو الحسن الشـاذلى المدينة المنورة ، وقف أمام القبر الشريف من الروضـة المباركة ، وقال : « **السلام عليك أيها النبى ورحمـة الله وبـركاتـه ، صلى الله يـا رسـول الله أفضل وأزكى وأسنى وأعلى صلاة صلاها على أحـد من أنبيائه وأصفيائه ، أشهد يارسـول الله أنك بلغت ما أرسلت بـه ، ونصحت أمتك ، وعبدت ربَّك حتى أتاك اليقين ، كنت كما نعتك الله فى كتابه :**

« لقد جاءكم رسـول من أنفسكم عزيز عليه مـا عنتم ، حريص عليكم بالمـؤمنين رؤوف رحيم » . فصلوات الله وملائكتـه وأنبيائه ورسله وجميع خلقه من أهل سمواته وأرضه عليك يارسول الله .

السلام عليكمـا يا صـاحبى رسول الله ﷺ يا أبـا بكر ويـا عمر، ورحمـه الله وبركـاته ، فجـزا كما الله عن الإسـلام وأهله أفضل مـا جازى به وزيرى نبى فى حياتـه ، وعلى حسن خلافته فى أمته بعد وفاته ، فقـد كنتما لمحمد ﷺ وزيرى صدق ، وخلفتمـاه بالعدل والإحسان فى أمتـه بعد وفـاته فجـزاكما الله عن ذلك مـرافقته فى الجنة ، وإيـانا معكما بـرحمته ، إنه أرحـم الراحمين . اللهم إنى أشهدك وأشهـد أبا بكـر وعمر ، وأشهـد الملائكـة النازليـن بهذه الروضـة الكريمة ، والعـاكفين عليها ، أنى أشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمـداً عبده ورسوله خاتم النبيين

و إمام المرسلين . وأشهد أن كل ما جاء به من أمر ونهى ، وخبر عن ما كان وما هو كائن ، فهو صدق لاشك فيه ولا امتراء ، وإنى مقر لك بجنايتى ومعصيتى فى الخطرة والفكرة ، والارادة والفعلة ، وما استأثرت به على إذا شئت أخذت و إذا شئت عفوت عنه ، مما هو متضمن للكفران ، والنفاق أو البدعة أو الضلالة أو المعصية أو سوء الأدب معك ومع رسولك وأنبيائك وأوليائك من الملائكة والإنس والجن ، وما خصصت به من شىء فى ملكك فقد ظلمت نفسى بجميع ذلك ، فامنن على بالذى مننت به على أوليائك ، فإنك أنت الله الملك المنان الكريم الغفور الرحيم » .

(انظر درة الأسرار)

عمر رضى الله عنه لم يقطع شجرة الرضوان

جاء أن سيدنا عمر قطع الشجرة التى بايع عندها ﷺ أصحابه على الموت ، وتسمى بشجرة الرضوان ، ويستدل بعض الناس بهذا على عدم جواز التبرك بالآثار النبوية ، وعندى : أن هذا لايدل على ذلك .

وقد ظهر لى دليل بحمد الله قوى ، وهو أن الشجرة التى قطعها عمر رضى الله عنه شجرة زعم الناس أنها شجرة الرضوان ، فصلوا عندها ، وقصدوها بالتوجه . وهذا عمل باطل عند شىء لا تصح نسبته إلى صاحبه ، ولا تثبت إضافته إليه ، فهم نسبوا الشجرة إلى النبى ﷺ ، ومن هنا اشتدت غيرة الصحابى الجليل على هذه الإضافة المشكوك فيها .

ودليلى على ذلك : هو أن الشجرة غير معروفة ولأمر أراده الله ، أنسى الله الأمة محلها ، كما أنسى نبيه ﷺ تعيين ليلة القدر فى لحظة ، وهذا مصداق قول ابن عمر فى البخارى : أنه جاء فى العام التالى لعام بيعة الرضوان ، قال : فبحثنا عن الشجرة فلم يقع عليها رجلان .

وقول المسيب والد سعيد : لقد رأيت الشجرة ، ثم أنسيتها بعد فلم أعرفها .

وقول طارق بن عبد الرحمن : طلعت حاجاً فمررت بقوم يصلون ، فقلت ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان ، فأتيت سعيد بن المسيب ، فأخبرته ، فقال : حدثني أبى : أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة ، قال : فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها ، وعلمتموها أنتم ، فأنتم أعلم ، وفى رواية أنه قال : فعميت علينا .

[انظر صحيح البخارى ـ كتاب المغازى ـ باب غزوة الحديبية]

أى لم يتفق رأى رجلين على شجرة بالتعيين ، فإذا كان هذا فى خلال سنة واحدة ، فى عهد واحد ، ومع توفر وجود أصحاب الرضوان الذى حضروا عندها وبايعوا تحتها ، فما بالك بحال شجرة ظهرت فى زمن عمر بعد سنوات عديدة . اختلف العهد ، ومات أكثر من حضر الموقف فعمر (رضى الله عنه) لم يقطعها لمنع التبرك بالآثار ، أو لأنه لا يرى ذلك ، ولم يقع ذلك المعنى فى قلبه أصلاً ، ولم يخطر على باله أبداً ، بدليل أنه (رضى الله عنه) ثبت عنه التبرك ، وطلب التبرك بالآثار ونحوها ، كطلبه من أبى بكر العنزة التى كانت عند رسول الله ﷺ . وكان رسول الله ﷺ قد استعارها من الزبير ، كما فى البخارى « باب شهود الملائكة بدراً » من كتاب المغازى ، وفى نسخة القسطلانى جـ ٦ ص ٢٦٤ .

رجل يطلب من النبى ﷺ الشفاعة

كان رجل يقال له : مازن بن الغضوب ، وكان يقوم بخدمة صنم فى قرية يقال لها : « سمايا » من عمان ، فشرح الله صدره للإسلام ، وقدم على رسول الله ﷺ يقول : يارسول الله : إنى امرؤ مولع بالطرب وبالهلوك من النساء وبشرب الخمر ، فألحت علينا السنون فأذهبن الأموال وأهزلن الذرارى والعيال ، وليس لى ولد فادع الله أن يذهب عنى ما أجد ، ويأتينا بالحيا ، ويهب لى ولدا . فقال النبى ﷺ : « **اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالإثم وبالعهر عفة ، وأته بالحيا ، وهب له ولدا** » .

قال : فأذهب الله عز وجل عنى ما أجد ، واخصبت عمان ، وتزوجت أربع حرائر ، وحفظت شطر القرآن ، ووهب الله عز وجل لى حيان بن مازن ، وأنشأت أقول :

إليك رسول الله خبَّت مطيتى
تجوب الفيافى من عمان إلى العَرج
لتشفع لى يا خير من وطئ الحصا
فيغفر لى ربى فأرجع بالفلج
إلى معشر خالفت فى الله دينهم
فلا رأيهم رأيى ولا شرحهم شرحى

وكنت امـرءًا بـالعهـر والخمـر مـولعـاً

شبـــابـى حتى آذن الجسم بـــــالنهج

فبــدّلَنى بـالخمـــر خــوفـاً وخشيــة

وبالعهـر إحصانـاً ، فحصن لى فرجى

فأصبحـت همى فـى الجهـــاد ونيتى

فللّـــه مــا صـــومـى ولله مــا حجى .

رواه أبو نعيم بسنده فى دلائل النبوة : ص٧٧ ، ٧٨ .

من عجائب القدرة الإلهية
فى حماية الحضرة المحمدية

من عجائب القدرة ما حصل بالمستهزئين بالنبى ﷺ من قريش وهم سبعة : الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى ، والأسود بن عبد يغوث الزهرى ، وفكيهة بن عمرو الفهرى ، والحرث بن الطلاطلة ، والأسود بن الحرث ، وابن عيطلة . كانوا يكثرون به الاستهزاء ويواصلون عليه الإيذاء ، وهو ﷺ صابر محتسب ، خصوصاً بعد قول الله تعالى له ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ وقد أظهر الله تعالى فيهم جميعاً عجائب قدرته ، وتولى أمرهم .

فأما الوليد بن المغيرة فإنه ارتدى فعلق بردائه شوك ، فذهب يجلس عليه ، فقطع أكحله (١) ، فنزف فمات لوقته .

وأما العاص بن وائل ، فوطىء على شوكة فتساقط لحمه من عظامه ، فمات من يومه .

وأما الأسود بن عبد يغوث ، فقد كان رسول الله ﷺ دعا عليه بالعمى ، وثكل ولده ، فأتى بغصن فيه شوك فأصاب عينه فسالت

---

(١) عرق فى الذراع يفصد .

حدقتاه على وجهه ، وقتل ولده زمعة يوم بدر ، فأعمى الله بصره، وأثكله ولده . وأمـا فكيهة بن عامر فخرج يريـد الطائف ففقد ولم يوجد .

وأما الحرث بن الطلاطلة ، فإنـه خرج لبعض حوائجه ، فضربه السَّمُوم فى الطريق ، فاسودَّ منه ومات ، وأما الأسود بن الحرث ، فأكل حوتاً مملوحاً ، فأصابه عطش ، فلم يتمالك من شرب الماء حتى انشق بطنه ومات .

وأما ابن عيطلة فاستسقى فمات .

من منهجه فى التربية والتعليم

صلى الله عليه وآله وسلم

من هـديه ﷺ فى منهج تعليمـه أن ينتقل بالحـاضر من صـورة واقعية محسوسة إلى صورة ذهنية بالإيمان أو الأخلاق أو السلوك .

وهذا أكبر سبيل لتثبيت النظرية ، وتجسيدها أمام الناظر .

ومثال ذلك : أنه رأى امرأة من السبى ، وقد اندفعت وراء طفلها ناسيـة حالتهـا ، فأخذتـه ووضعته على ثـديها ، وكأنهـا ليس بها شيء ، فقال : أرأيتم رحمة هذه الأم بولدها (أو فرحها بولدها) .

قالوا : نعم ، قـال : فالله أرحم بعبده (أو أفرح بتـوبه عبده من فرح هذه الأم بولدها) .

ومن هديـه ﷺ فى منهج تعليمه : أن يوجـه الهمم والعزائم إلى عوالى الأمور ، ومعالى المقاصد .

وأن يكون المؤمن عـالى الرأس فى غير كبر ، وعـزيز النفس فى غير عجب ، وأصيل الرأى فى غير أنفه .

يقول ﷺ فـى هذا الميدان : إن الله يحـب معالى الأمـور ويكره سفسافها [١] ، ويقول : «إذا سألت الله فـاسأل الفردوس الأعلى ، فإنـه أعلى الجنـة وسقفـه عرش الـرحمن» [٢] ، وكثيـراً مـا يغتنم ﷺ

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن الحسن بن على رضى الله عنه .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن العرباض بن سارية رضى الله عنه .

الفرصة فينتقل بالسامع من المعانى القريبة المحسوسة إلى معانٍ بعيدة ، ومقاصد شريفة ، مستخدماً للألفاظ المستعملة فى المعنى المصطلح عليه .

ومن ذلك قوله ﷺ فى حقيقة الرجل الشديد القوى ، إذ الظاهر أنه الذى يغلب الناس ، ويصرعهم ، ولكنه ﷺ يضع للشديد تعريفاً جديداً جيداً بقوله : « **ليس الشديد بالصُّرَعَة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب** » .

(رواه البخارى فى الأدب ، باب الحذر من الغضب فتح ١٠ / ٥١٨)

ومن ذلك قوله ﷺ : «**أتدرون ما الرقوب ؟ قلنا : الذى لا يولد له ، قال : إن الرقوب الرجل الذى له الولد ، لم يقدم منهم شيئاً** » .

رواه البيهقى (ترغيب ٢ / ١٥٢) .

ومن ذلك قوله ﷺ : أتدرون ما الصعلوك ؟ قال : قلنا : الذى لا مال له ، قال : « **إن الصعلوك كل الصعلوك الذى له المال لم يقدِّم منه شيئاً** » رواه البيهقى (ترغيب ٢ / ١٥٢) .

ومن ذلك قوله ﷺ : أرأيتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل منه فى اليوم خمس مرات : هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا ، قال : كذلك الصلوات الخمس . . . » الحديث .

****

شهود فضله فى كل نعمة

صلى الله عليه وآله وسلم

وقلت فى مجلس من مجالس الخير : « **شهود فضل النبى ﷺ فى كل نعمة يشهدها المسلم أمر واحب ، لأن دواعيها حاصلة ، إذ هو الذى فتح لنا طرق الخير ، وأظهر لنا سبل الفضل ، ولذلك فإنه فى كثير من مواطن النعمة الإلهية والتوفيق الربانى يأتى ذكره ﷺ ليلتفت العبد إلى سبب هذا التوفيق والفضل ، وواسطة هذا الخير العميم ، ألا وهو الرحمة المهداة سيدنا محمد ﷺ** . فمثلاً فى الأذان يأتى ذكره ، وفى التشهد ، وعند مصافحة الأخ لأخيه ، تشرع الصلاة عليه . وعند دخول المسجد ، وعند الدعاء، وعند ابتداء الخطيب ، وافتتاح الكلام .

حضور روحانية المصطفى

صلى الله عليه وآله وسلم

وقلت فى مجلس من مجالس الخير :

روحانية المصطفى ﷺ حاضرة فى كل مكان ، فهى تشهد أماكن الخير ، ومجالس الفضل ، والدليل على ذلك أن الروح من حيث هى روح غير مقيدة فى البرزخ ، بل منطلقة تسبح فى ملكوت الله .

وهذا عـام فى جميع أرواح المؤمنين ، مع ملاحظة أن إطـلاقها وسياحتها تختلف باختلاف أهليتهـا ، ـ شأنها فى ذلك شأنها لما كانت فى الدنيـا ـ فمنها القريب ، ومنها البعيد ومنهـا الحاضر مع حضرة الحق ، ومنهـا الغائب ، ومنها الشاهـد ، ومنها المظلم ، ومنها المنـوّر ، ومنها الخفيف ، ومنهـا الكثيف ، وهى هكذا فى البـرزخ ، انطـلاقها وسيـاحتهـا وحضـورها واستجـابتهـا بحسب مقامها ، والدليل علـى ذلك قـول ﷺ فى الحـديـث الصحيـح : « نسمة المؤمن على طائر تسبح حيث تشاء » .

أو كما قال ، (رواه مالك) .

وروحـه ﷺ أكمل الأرواح ، فهى لـذلك أكمل فى الحضـور والشهود .

وقد جاء فى الحديث : « أنـه ينبغى للعبد إذا دخل المسجد أن يسلم على رسول الله ﷺ ، وذلك لحضـور روحانيتـه فى مثل هذا المشهد المبارك .

وجاء فى الحـديث : « **أنـه اذا سلم عليه المسلـم يرد الله عليـه روحه فيرد عليه السلام** » .

وهذا يدل على أمرين :

الأول : أن روحه منطلقه فى ملكوت الله .

الثانى : أن جسـده باق متكامل وهـو أهل لرجوع الـروح إليه ،

ومعنى « **رد الله على روحى** » هنا أى حصول إمكان سماع الجواب لمن أراد الله لـه ذلك ، وأنـه لـولا اختـلاف الـدائرتين بين المسلِّم والمسلَّم عليه لأمكن سماع جوابه ورده ﷺ .

****

الفرح بالحبيب

صلى الله عليه وآله وسلم

وقلت فى مجلس من مجالس الخير : الفرح بسيدنا محمد ﷺ من المأمور به شرعاً ، وقد استظهرت ذلك من القرآن الكريم وهو من قوله تعالى ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ (١) .

وهو ﷺ رحمة لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وما أرسلناك الا رحمة للعالين** ﴾ (٢) ولقوله سبحانه وتعالى ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم** ﴾ (٣) وقوله ﷺ : « **إنما أنا رحمة مهداة** » وقد ورد ما يدل على أن الفرح والسرور برسول الله ﷺ من أجل الأعمال النافعة ، وقد انتفع به أبو لهب إذ جاء : أنه لما أخبرته ثويبة بولادته ﷺ فرح وسر ، وأعتقها لذلك ، فهو يخفف عنه كل يوم اثنين ، فيشرب من نقرة إبهامه ، وفى ذلك يقول الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقى :

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه ... بتبت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى أنه فى يوم الاثنين دائماً ... يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى طول عمره ... بأحمد مسروراً ومات موحدا

(١) سورة يونس آية ٥٨ .
(٢) الأنبياء آية ١٠٧ .
(٣) التوبة آية ١٣٨ .

ومما يدل على الفرح بالنبى ﷺ ما حصل فى يوم دخوله ﷺ إلى المدينـة قادمـاً من مكة ، وقـد خرجت المـدينة عن بكـرة أبيها ، رجالاً ونساءً وهم يرحبون به ﷺ .

ومما يدل على الفرح به ﷺ : أن امـرأة نذرت أن تضرب بالدف على رأس الـرسول ﷺ إن عـاد سـالماً من غـزوة بـدر ، فلما عـاد وأخبرته ، قال لها : أوف بنذرك ، فقامت ففعلت .

****

اهتمام العلماء بمثال نعل النبى

صلى الله عليه وآله وسلم

اهتم بذلك الأئمة الفحول ، وصنف فيها رسالة خاصة الشيخ المقرى ، وذكر لها أمثلة ، وكتب عنها كلمات جليلة مهمة ، خلاصتها : اعلم أرشدنى الله و إياك إلى سواء السبيل ، وأوردنا مع الرعيل الأول مناهل الرحيق والسلسبيل : أن جماعة من الأئمة المغاربة المقتدى بهم تعرضوا للمثال الطاهر ، وحسنه الباهر ، وأقروا بمشاهدته عين الناظر ، منهم الامام أبو بكر بن العربى ، والحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعى ، والكاتب الحافظ أبو عبد الله بن الأبَّار ، والرحالة أبو عبد الله بن رُشيد الفهرى ، والراوية أبو عبد الله محمد بن جابر الواديشى ، وخطيب الخطباء أبو عبد الله بن مرزوق ، والمفتى الإمام أبو عبد الله محمد الرصاع التونسى والولى الصالح الشهير أبو إسحق إبراهيم بن الحاج السلمى الأندلسى ، وعنه أخذ ابن عساكر المثال ، وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم ، كأبى الحكم مالك بن المرحّل ، وابن أبى الخصال ، وهم القدوة ، ولنا بهم أسوة .

وتلاهم من أهل المشرق جماعة كالحافظ ابن عساكر ، وتلميذه البدر الفارقى ، والحافظ العراقى ، وابنه (أى الولى العراقى) والشيخ القسطلانى فى مواهبه اللدنية وغيرهم .

قـال الإمـام المقرى : وقـد بلغنى عن بعض الأغمـار ممن هـو كمثل الحمار ، أنـه أنكر تصويـرى الأمثلة الشريفـة ذات الظلال الوريفة ، قائلاً : كيف تنهون عن الصور وأنتم تفعلونها ! ؟ فقلت لمن بلغنى عنه ذلـك : قل له : وأنتم لـم تتكلمون فـى الأمور التى تجهلونها ؟ وليس هذا من تلك الصور ، لا فى ورد ولا صدر ، ثم قال : فلنشـرع فيما أردته ، سـائلاً من الله العون على مـا أوردته ، فأقـول مستمداً من واهب العقـول : إنى ذاكر هنـا مثالين عليهمـا المعـوّل ، ثم أعززهمـا بأربعـة : لا تقـوى قوة الثـانى ولا الأول . منشداً من جحد ما يتعدد من الأمثلة ويتنوع :

أعـد ذكــر نعمــان لنـــا إن ذكــره
هــو المسك مـــا كــررتـه يتضـوع

ومذكراً بقول الآخر كل لبيب :

أيــا ســاكنى أكنـــاف طيبــة كلكم
إلى القلـب من أجـل الحبيب حبيـب

ولا خفـاء أن مثـال النعل الشريف ، تصـدر بإضـافتـه إلى ذى الصدر . وخص لـذلك برفعة الشأن والقدر ، فعـلا على البدر ،

قدم النبوة والرسالة والعلا :

يا من يذكرنى حديث أحبةٍ طاب الزمان بذكرهم ويطيب
أعد الحديث علىّ من جنباته إن الحديث عن الحبيب حبيب

وما المثال المكرم . إلا وسيلة للقدم ــ التى خص الله بأكمل الأوصاف صاحبها ﷺ .

ومـا حبُّ النعالِ شَغَفْنَ قلبى
ولكن حب من لَبِسَ النعالا

فأكرم بها من نعال ، زكت بأطيب الفعال ، وشرفت بالمختار وسمت . واتسمت من الفضائل بما اتسمت ، وحاكاها المثال بمحاسنه التى ارتسمت ، فأنشدته بلسان الحال . مخاطبا ذلك المثال :

حاكاكَ بدرُ الدجَىٰ
لم يَدْرِ مَنْ حَاكىٰ
شتان ما بين
مَحْكِىٍّ ومَنْ حَاكىٰ

ولو لم يحصل للمثال المعظم من الشرف إلا محاكاة نعل من ليس لمجده حد ولا طرف سيد ولد آدم . عمدة من تأخر أو

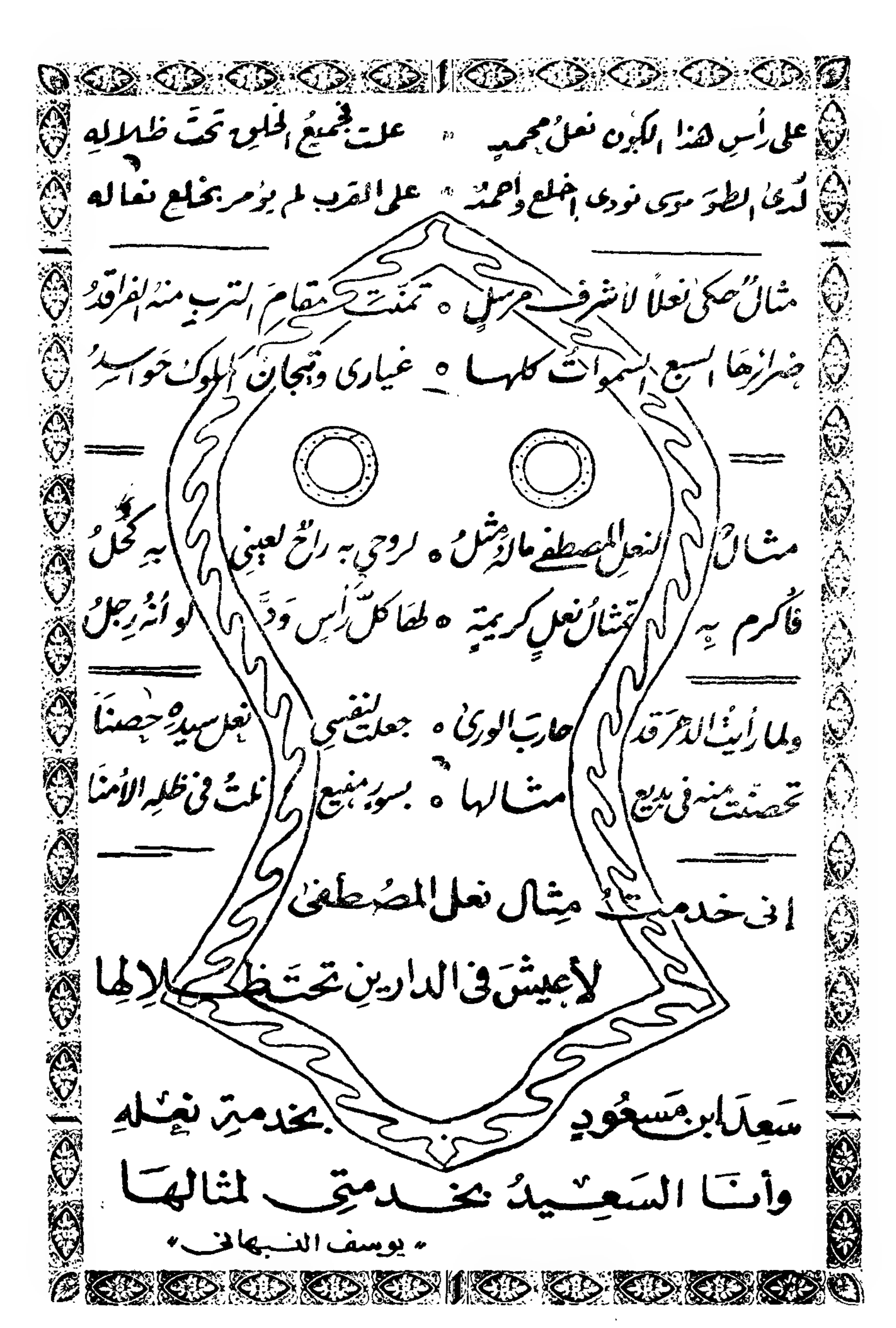
تقـدم ، ﷺ وشرف وكـرم ــ لكان مـا حصل لـه من ذلك كافيـاً . وبالمنى وافياً فكيف وقد غدا للأوصاب شافيا ـ وللأسقام نافياً ؟ . فخـواصـه ظاهـرة ومنـافعـه باهـرة ، وفضلـه بينّ . ووضعـه على المحاجر متعين .

ويرحم الله الشيخ العلامة النـاصح الصالح ، الشيخ أبا حفص عمر الفا كهانى الاسكندرى المالكى ، إذ قال : حين أبصر المثال الذى جر على المجرة ذيلا ، متمثلا بقول مجنون ليلى :

ولو قيل للمجنون : ليلى ووصلها تريـد أم الدنيـا وما فى زوايـاها
لقـال : غبـار من تـراب نعـالهـا أحب إلى نفسى وأشفى لبلواها

****

هذه صورة مثال النعل النبوي الشريف



الاحتفال بمولد النبى

صلى الله عليه وآله وسلم

وقلت فى مجلس من مجالس الخير : عن حكم الاحتفال بالمولد النبوى : أن ذلك جائز من وجوه :

الأول : أن الاحتفال بالمولد الشريف تعبير عن الفرح والسرور بالمصطفى ﷺ ، وقد انتفع به الكافر ، فقد جاء فى البخارى أنه يخفف عن أبى لهب كل يوم اثنين بسبب عتقه لثويبة جاريته لما بشرته بولادة المصطفى ﷺ .

ويقول فى ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدمشقى :

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه ... بتبت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى أنه فى يوم الاثنين دائماً ... يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى طول عمره ... بأحمد مسروراً ومات موحدا

الثانى : أنه ﷺ كان يعظم يوم مولده ، ويشكر الله تعالى فيه على نعمته الكبرى عليه ، وتفضله عليه بالوجود لهذا الوجود ، إذ سعد به كل موجود ، وكان يعبر عن ذلك التعظيم بالصيام ، كما جاء فى الحديث عن أبى قتادة : أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم

يـوم الاثنين فقال : « فيـه ولدت ، وفيـه أنزل على » . رواه الإمـام مسلم فى الصحيح فى كتاب الصيام .

وهـذا فى معنى الاحتفـال بـه إلا أن الصـورة مختلفـة ، ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام أو إطعام أو اجتماع على ذكر أو صلاة على النبى ﷺ أو سماع شمائله الشريفة .

الثالث : أن الفرح به ﷺ مطلوب بأمـر القرآن من قوله تعالى : ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبـذلك فليفرحوا** ﴾ فالله تعالى أمرنا أن نفرح بـالرحمة ، والنبى ﷺ أعظـم الرحمة . قـال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** ﴾ .

الـرابع : أن النبى ﷺ كـان يلاحظ ارتبـاط الـزمـان بالحـوادث الـدينيـة العظمى التى مضت وانقضت ، فإذا جـاء الزمـان الـذى وقعت فيه كـان فرصة لتـذكرهـا ، وتعظيم يومها ، لأجلهـا ، ولأنه ظرف لها :

وقد أصل ﷺ هذه القـاعدة بنفسه ، كما صح فى الحـديث أنه ﷺ : لما وصل إلى المدينـة ورأى اليهود يصومون يـوم عاشوراء ، سأل عن ذلك ، فقيـل لـه : إنهم يصـومـونــه لأن الله نجى نبيهم وأغرق عـدوهم فيه ، فهم يصـومونـه شكراً لله على هـذه النعمة ، فقال ﷺ : نحن أولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه .

الخامس : أن الاحتفـال بالمـولد لم يكن فى عهـده ﷺ ، فهو

بدعة ، ولكنهـا حسنة لاندراجها تحت الأدلة الشرعيـة ، والقواعد الكلية ، فهى بدعة باعتبار هيئتها الاجتماعية ، لا باعتبار أفرادها ، لوجود أفرادها فى العهد النبوى كما سنعلم ذلك تطبيقاً إن شاء الله تعالى .

السـادس : أن المـولد الشـريف يبعث على الصـلاة والسـلام المطلوبين بقوله تعالى : ﴿ **إن الله وملائكتـه يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾ وما كان يبعث على المطلوب شرعـاً فهو مطلوب شرعاً ، فكم للصـلاة عليه من فوائد نبوية ، وإمدادات محمديـة ، يسجد القلم فى محراب البيان عن تعداد آثارها ، ومظاهر أنوارها .

السابع : أن المولـد الشريف يشتمل على ذكر مـولده الشريف ومعجزاته وسيرته والتعريف به ، أو لسنا مأمورين بمعرفته ومطالبين بالاقتداء به ، والتأسى بأعمالـه ، والإيمان بمعجزاته ، والتصديق بآياته ، وكتب المولد تؤدى هذا المعنى تماماً .

الثامن : التعرض لمكافأته بأداء بعض ما يجب له علينا ، ببيان أوصافه الكـاملة ، وأخلاقه الفـاضلة ، وقد كان الشعـراء يتقربون إليـه ﷺ بـالقصـائد ، ويـرضى عملهم ، ويجـزيهم على ذلك بالطيبات والصلات ، فإذا كان يرضى عمن مدحه فكيف لا يرضى عمن جمع شمائله الشريفة؟ ، ففـى ذلك التقرب له عليه الصلاة والسلام ، باستجلاب محبته ورضاه .

التاسع : أن معرفه شمائله ومعجزاته و إرهاصاته تستدعى كمال الإيمان به عليه الصلاة والسلام ، وزيادة المحبة إذ الإنسان مطبوع على حب الجميل ، خَلقاً وخُلقاً عِلماً وعملاً حالاً واعتقاداً ، ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل من أخلاقه وشمائله ﷺ وزيادة المحبة وكمال الإيمان مطلوبان شرعاً . فما كان يستدعيهما مطلوب كذلك .

العاشر : أن تعظيمه ﷺ مشروع ، والفرح بيوم ميلاده الشريف بإظهار السرور ووضع الولائم والاجتماع للذكر ، وإكرام الفقراء من أظهر مظاهر التعظيم والابتهاج والفرح والشكر لله ، بما هدانا لدينه القويم ، وما من به علينا من بعثه عليه أفضل الصلاة والتسليم .

الحادى عشر : يؤخذ من قوله ﷺ فى فضل يوم الجمعة ، وعد مزاياه ، « وفيه خلق آدم » تشريف الزمان الذى ثبت أنه ميلاد لأى نبى كان من الأنبياء عليهم السلام ، فكيف باليوم الذى ولد فيه أفضل النبيين وأشرف المرسلين .

ولا يختص هذا التعظيم بذلك اليوم بعينه ، بل يكون له خصوصاً ولنوعه عموماً مهما تكرر ، كما هو الحال فى يوم الجمعة، شكراً للنعمة ، وإظهاراً لمزية النبوة ، وإحياءً للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الإصلاح المهم فى تاريخ الإنسانية وجبهة الدهر وصحيفة الخلود ، كما يؤخذ تعظيم المكان الذى ولد فيه

نبى من أمر جبريل عليه السلام النبى ﷺ بصلاة ركعتين ببيت لحم، ثم قال له : أتدرى أين صليت ؟ قال : لا ، قال : صليت ببيت لحم ، حيث ولد عيسى .

الثانى عشر : أن المولد أمر استحسنه العلماء والمسلمون فى جميع البلاد ، وما جرى به العمل فى كل صقع ، فهو مطلوب شرعاً للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف : « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح [1] ، أخرجه أحمد .

الثالث عشر : أن المولد اجتماع ذكر وصدقة ، ومدح وتعظيم للجناب النبوى فهو سنة ، وهذه أمور مطلوبة شرعاً ، وممدوحة وجاءت الآثار الصحيحة بها ، وبالحث عليها .

الرابع عشر : أن الله تعالى قال : ﴿ **وكلاً نقص عليك من أبناء**

---

(١) قال صاحب المقاصد الحسنة ما نصه : « حديث ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» رواه أحمد فى كتاب السنة ووهم من عزاه للمسند من حديث أبى وائل عن ابن مسعود قال : إن الله نظر فى قلوب العباد فاختار محمداً ﷺ فبعثه برسالته ، ثم نظر فى قلوب العباد فاختار له أصحابه ، فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه ، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح » وهو موقوف حسن وكذا أخرجه البزار والطيالسى والطبرانى وأبو نعيم فى ترجمة ابن مسعود من الحلية بل هو عند البيهقى فى الاعتقاد من وجه آخر عن ابن مسعود » .

وقال معلق حواشيه (الشيخ عبد الله الصديق الغمارى) فى الحاشية : « بل هو فى المسند أيضاً » .

الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾[1] يظهر منه أن الحكمة فى قصص أنباء الرسل عليهم السلام تثبت الفؤاد الشريف بذلك ، ولا شك أننا اليوم محتاجون إلى تثبيت أفئدتنا بأنبائه وأخباره أشد من احتياجه هو ﷺ .

الخامس عشر : ليس كل ما لم يفعله السلف ، ولم يكن فى الصدر الأول بدعة منكرة سيئة يحرم فعلها ويجب الإنكار عليها ، بل يجب أن يعرض ما أحدث على أدلة الشرع ، فما اشتمل على مصلحة فهو واجب ، أو على محرم فهو محرم ، أو على مكروه فهو مكروه أو على مباح فهو مباح ، أو على مندوب فهو مندوب ، وللوسائل حكم المقاصد ، ثم قسم العلماء البدعة إلى خمسة أقسام :

واجبة : كالرد على أهل الزيغ ، وتعلم النحو.

ومندوبة : كإحداث الرُّبط والمدارس ، والأذان على المنائر ، وصنع إحسان لم يعهد فى الصدر الأول . ومكروهه : كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف .

ومباحة : كاستعمال المنخل ، والتوسع فى المأكل والمشرب .

ومحرمة : وهى ما أحدث لمخالفة السنة ، ولم تشمله أدلة الشرع العامة ولم يحتو على مصلحة شرعية .

---

(٢) سورة هود آية ١٢٠ .

السادس عشر : كل ما لم يكن فى الصدر الأول بهيئته الاجتماعية ، لكن أفراده موجودة ، يكون مطلوباً شرعاً ، لأن ما تركب من المشروع فهو مشروع كما لا يخفى .

السابع عشر : ليست كل بدعة محرمة ولو كانت كذلك لحرم جمع أبى بكر وعمر وزيد رضى الله عنهم القرآن ، وكتابته فى المصاحف خوفاً على ضياعه بموت الصحابة القراء (رضى الله عنهم) ولحرم جمع عمر (رضى الله عنه)الناس على إمام واحد فى صلاة القيام مع قوله : « نعمت البدعة هذه » ولحرم التصنيف فى جميع العلوم النافعة ، ولوجب علينا حرب الكفار بالسهام والأقواس مع حربهم لنا بالرصاص والمدافع والدبابات والطائرات والغواصات والأساطيل ، ولحرم الأذان على المنائر واتخاذ الربط والمدارس والمستشفيات والإسعاف ، ودار اليتامى والسجون ، ومن ثمَّ قيد العلماء (رضى الله عنهم) حديث « **كل بدعة ضلالة** » بالبدعة السيئة ويصرح بهذا القيد ما وقع من أكابر الصحابة والتابعين من المحدثات التى لم تكن فى زمنه ﷺ .

الثامن عشر : قال الامام الشافعى (رضى الله عنه) : ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً فهو البدعة الضالة وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئاً من ذلك فهو المحمودة . اهـ

وجرى الإمام العز بن عبد السلام والنووى كذلك ، وابن الأثير

على تقسيم البدعة إلى ما أشرنا إليه سابقاً .

التاسع عشر : كل ما تشمله الأدلة الشرعية ، ولم يقصد بإحداثه مخالفة للشريعة ولم يشتمل على منكر فهو من الدين .

وقول المتعصب : إن هذا لم يفعله السلف ليس هو دليلاً له ، بل هو عدم دليل ، كما لا يخفى على من مارس علم الأصول ، فقد سمى الشارع بدعة الهدى سنة ، ووعد فاعلها أجراً فقال عليه الصلاة والسلام : « **من سن فى الإسلام سنة حسنة فَعُمِل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا يُنقَص من أجورهم شيء** » (١) .

العشرون : إن الاحتفال بالمولد إحياءٌ لذكرى المصطفى ﷺ ، وذلك مشروع عندنا فى الإسلام ، فأنت ترى أن أكثر أعمال الحج إنما هى إحياء لذكريات مشهودة ، ومواقف محمودة ، فالسعى بين الصفا والمروة ، ورمى الجمار والذبح بمنى ، كلها حوادث ماضية سابقة ، يحيى المسلمون ذكراها بتجديد صورتها فى الواقع .

الحادى والعشرون : كل ما ذكرنا سابقاً من الوجوه فى مشروعية المولد إنما هو فى المولد الذى خلا من المنكرات المذمومة التى يجب الإنكار عليها ، أما إذا اشتمل المولد على شيء مما يجب

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجة بألفاظ مختلفة .

الإنكار عليه كاختلاط الرجال بالنساء وارتكاب المحرمات ، وكثرة الإسراف مما لا يرضى به صاحب المولد الشريف ﷺ فهذا لا شك فى تحريمه ومنعه لما اشتمل عليه من المحرمات ، لكن تحريمه حينئذ يكون أمراً عرضياً لا ذاتياً ، كما لا يخفى على من تأمل ذلك .

****

توسل الناس بالنبى

(صلى الله عليه وآله وسلم)

فى عهد عمر (رضى الله تعالى عنه)

روى سيف عن مبشر بن الفضل ، عن جبير بن صخر ، عن عاصم بن عمر بن الخطاب ، أن رجلاً من مزينة ـ عام الرمادة ـ سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال : ليس فيهن شيء فألحوا عليه فذبح شاة فإذا عظامها حمر، فقال : يا محمداه ، فلما أمسى أُرِىَ فى المنام أن رسول الله ﷺ يقول له : « أبشر بالحياة إيت عمر فأقرئه منى السلام وقل له : إن عهدى بك ، وفى العهد شديد العقد ، فالكيس الكيس يا عمر » فجاء حتى أتى باب عمر ، فقال لغلامه استأذن لرسول رسول الله ﷺ فأتى عمر فأخبره ، ففزع ثم صعد عمر المنبر ، فقال للناس : أنشدكم الله الذى هداكم للاسلام ، هل رأيتم منى شيئاً تكرهونه ؟

فقالوا : اللهم لا ، ومِمَّ ذاك ؟ فأخبرهم بقول المزنى (وهو بلال بن الحرٰث) ففطنوا ، ولم يفطن .

فقالوا : إنما استبطأك فى الاستسقاء فاستسق بنا . فنادى فى الناس فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ، ثم قال : اللهم عجزت عنا أنصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا ، وعجزت عنا أنفسنا ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم اسقنا وأحى البلاد والعباد .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسى ، قالا : حدثنا أبو عمر بن مطر ، حدثنا إبراهيم ابن على الذهلى ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن مالك ، قال : أصاب الناس قحط فى زمن عمر بن الخطاب ، فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام ، فقال : إيت عمر فأقرئه منى السلام ، وأخبرهم أنهم مُسْقَون ، وقل له : عليك بالكيس الكيس ، فأتى الرجل فأخبر عمر ، فقال : يارب ما آلو إلا ما عجزت عنه » . وهذا إسناد صحيح . كذا قال الحافظ ابن كثير فى البداية ح ٧ ص ٩١ فى حوادث سنة ثمانية عشر (١) .

---

(١) هذا الحديث رواه أيضاً ابن أبى شيبة بإسناده عن أبى صالح السمان عن مالك الدار (وكان خازن عمر). وهو حديث صحيح، صحّحه الحافظ ابن حجر في فتح البارى [جـ ٢/ ٣٩٧] والكوثرى فى المقالات [ص ٣٨١] والغمارى فى الردّ المحكم المتين [ص ٥٢ ، ٥٣] . وقد طعن الألبانى فى الحديث بأنّ مالك الدّار مجهول، وعوّل في ذلك على سكوت ابن أبي حاتم عنه.

وهذه علة واهية لأن سكوت ابن أبي حاتم يعنى أنه لم يجد جرحًا ولا تعديلا ولا يلزم من ذلك جهالة الرّاوي. إذا تقرّر هذا فاعلم أنّ مالك الدار ذكره الحافظ ابن حجر في المخضرمين من كتاب الإصابة [جـ٣ / ٤٨٤]، وابن سعد في الطبقات (٥/ ٦) وقال: وكان معروفا، ووثقه ابن حبان في الثقات [جـ ٥ / ٣٨٤].

وقال الخليلي في الإرشاد [جـ ١/ ٣١٣]: تابعي قديم متفق عليه أثنى عليه التابعون =

= ولو لـم يكن في توثيقـه من النقل إلا أنه خـازن عمر مع روايـة أربعة عنـه كما في الإصـابة لكفى. ولا تضرّ عنعنـة الأعمش إسناد الحديث رغم عدم تصـريحه بالسماع لأنّـه يروي عن أبي صالح السمان. فحديثـه هذا من جملة ما يقبل. قال الذهبي عنـد ترجمته للأعمش في الميزان [جـ ٢/ ٢٢٤]: متى قـال: «عن» تطرق إليه احتمال التدليس إلا في شيـوخ له أكثر عنهم كإبراهيم وابـن أبي وائل وأبي صالح السمان فإن روايتـه عن هذا الصنف محمـولة على الاتصال ا هـ.

فالحديث حينئذ صحيح ولو كان ما فعله الرجل منكرا وباطلا لما أقره عمر رضي الله عنه على ذلك لأنه شديد في الحق. وفي الحـديث الذي رواه أبو داود وأحمد بسند صحيح: إنَّ الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

وقد علّق الشيخ زاهد الكوثري في المقالات [ص ٣٨٩] على حديث مالك الدار بقوله: وهذا نص على عمل الصحابة في الاستسقاء به صلّى الله عليه وسلم بعد وفاته حيث لم ينكر عليه أحـد منهم مع بلوغ الخبـر إليهم، وما يُرفع إلى أميـر المؤمنين يـذيع ويشيع ا هـ. والله أعلم.

[كتب هذا التعليق الأخ الفاصل محمد الهادي عبيد التونسي].

فضائل أعمال الأمة فى ميزان رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلـم)

قال الامام العز بن عبد السلام فى بداية السول : « إن الله يكتب لكل نبى من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها ، وأمته ﷺ شطـر أهل الجنة . وقد أخبـر الله تعالى أنهم « خيـر أمة أخرجـت للناس » [١] وإنمـا كانـوا خير الأمم لمـا اتصفوا بـه من المعارف والأحوال والأقوال والأعمال ، فما من معرفة ولا حالة ولا عبادة ولا مقالة ولا شىء يتقرب بـه إلى الله عز وجل مما دل رسول الله ﷺ ، ودعا إليـه ، إلا وله (ﷺ) مثل أجر من عمل بـه إلى يوم القيامـة ، لقولـه ﷺ : « **من دعا إلى هدى كـان له أجره وأجر من عمل به إلى يـوم القيامة** » [٢] ولا يبلغ أحـد من الأنبيـاء إلى هـذه المرتبة .

وقد جـاء فى الحديث : «الخلق عيـال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» فإذا كـان ﷺ قد نفع شطر أهل الجنة ، وغيـره من الأنبياء إنما نفع جزء الشطر ، كانت منزلتـه ﷺ فى القرب على قدر منزلته فى النفع ، فما مـن عارف من أمته إلا ولـه ﷺ مثل أجر معـرفته ،

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٢) رواه أحمد فى مسنده والامام مسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه .

مضافاً إلى معارفه ، وما من ذى حال من أمته إلا وله مثل أجره على حاله مضموماً إلى أحواله ﷺ ، وما من ذى مقال يتقرب به إلى الله تعالى إلا وله ﷺ مثل أجر ذلك القول ، مضموماً إلى مقالته وتبليغ رسالته ، وما من عمل من الأعمال المقربة إلى الله عز وجل من صلاة وزكاة وعتق وجهاد وبر ومعروف وذكر وصبر وعفو وصفح إلا وله ﷺ مثل أجر عامله مضموماً إلى أجره على أعماله ، وما من درجة عالية ومرتبة سنية نالها أحد من أمته بإرشاده ودلالته إلا وله مثل أجرها مضموماً إلى درجته ﷺ ومرتبته ويتضاعف ذلك بأن من دعا من أمته إلى هدى ، أو سن سنة حسنة كان له أجر من عمل بذلك على عدد العالمين ، ثم يكون هذا المضاعف لنبينا ﷺ لأنه دل عليه وأرسل إليه ، ولأجل هذا بكى موسى عليه السلام ليلة الإسراء بكاء غبطة غبط بها النبى ﷺ إذ يدخل من أمته الجنة أكثر ممن يدخل من أمة موسى ، ولم يبك حسداً كما يتوهمه بعض الجهلة ، وإنما بكى أسفاً على ما فاته من مثل مرتبته .

****

وا محمداه ـ وا محمداه

روى الحافظ ابن كثير عن الإمام أحمد بن حنبل (رضى الله عنه) قصة موت رسول الله ﷺ بسنده إلى السيدة عائشة رضى الله عنها . وفيها أنه جاء أبو بكر (رضى الله عنه) فرفعت الحجاب فنظر إليه ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات رسول الله ﷺ : ثم أتاه من قبل رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال : وانبياه ، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته وقال : واصفياه ، ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال : واخليلاه ، مات رسول الله ﷺ (انظر البداية ج٥ ص ٢٤٢) .

وروى الحافظ الدارمى فى سنند قال : أخبرنا أبو النعمان ، ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك : أن فاطمة قالت : يا أنس كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟ وقالت : يا أبتاه من ربه ما أدناه ، وا أبتاه جنة الفردوس مأواه ، وا أبتاه إلى جبريل ننعاه ، وا أبتاه أجاب رباً دعاه .

قال حماد : حين حدث به ثابت بكى ، وقال ثابت : حين حدث به أنس بكى ، (انظر سنن الدارمى ح : ١ ص ٤١ باب وفاة النبى ﷺ) .

وذكر الحافظ ابن كثير أن شعار المسلمين فى موقعة اليمامة كان : « يا محمداه » وقال ما نصه : « وحمل خالد بن الوليد ، حتى جاوزهم وسار لجبال مسيلمة ، وجعل يترقب أن يصل إليه

فيقتله ، ثم رجع ، ثم وقف بين الصفين ، ودعا إلى البِرَاز [1]، وقال أنا ابن الوليد العود [2] أنا ابن عامر وزيد ، ثم نادى بشعار المسلمين، وكان شعارهم يومئذ « وا محمداه » .

(انظر البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٢٤) .

---

(١) أي المبارزة.

(٢) العَوِد : الرجاع ، والمعنى أنه كرار ليس بفرار .

النبى يعلم أحد الصحابة كيفية التوسل به

(صلى الله عليه وآله وسلم)

أخرج الحاكم فى مستدركه عن شبيب بن سعيد الحبطى ، حدثنا أبى عن رَوْح بن القاسم عن أبى جعفر المدنى ، وهو الخطمى عن أبى أمامة عن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف (رضى الله عنه) قال : « سمعت رسول الله ﷺ وجاءه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال : يا رسول الله ليس لى قائد ، وقد شق على ، فقال رسول الله ﷺ : ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل : « **اللهم إنى أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك فيجلّى لى عن بصرى ، اللهم شفعه فِىّ وشفعنى فى نفسى** ، قال عثمان : فوالله ما تفرقنا ، ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل ، وكأنه لم يكن به ضر » هذا حديث صحيح ، على شرط البخارى ولم يخرجاه ، وهو فى الجزء الأول من الترغيب والترهيب ص ١٩٠ .

عن عثمان بن حنيف ـ رضى الله عنه ـ « **أن أعمى أتى إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ادع الله أن يكشف لى عن بصرى ، قال : أوْ أَدَعُك؟ ، قال : يارسول الله قد شق على ذهاب بصرى . قال : فانطلِق فتوضأ ثم صل ركعتين ، ثم قل : اللهم إنى أسألك**

وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه إلى ربى بك أن يكشف لى عن بصرى ، اللهم شفعه فىّ وشفعنى فى نفسى ، فرجع وقد كشف الله عن بصره » .

رواه الترمذى، وقال : حديث حسن صحيح غريب ، والنسائى واللفظ له ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وصححه والحاكم ، وقال : صحيح على شرط البخارى ومسلم ، وليس عند الترمذى « ثم صل ركعتين » إنما قال : وأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يدعو بهذا الدعاء، فذكره بنحوه ، ورواه فى الدعوات ، وروى الطبرانى هذا الحديث وذكر فى أوله قصة وهى أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان (رضى الله عنه) فى حاجة له ، وكان عثمان (رضى الله عنه) لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته ، فلقى عثمان ابن حنيف ، فشكا ذلك إليه ، فقال له عثمان بن حنيف : ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ، ثم قل : « اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فيقضى حاجتى وتذكر حاجتك ، ورح إلىَّ حتى أروح معك ، فانطلق الرجل فصنع ما قال له ، ثم أتى باب عثمان ، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان ابن عفان ، فأجلسه معه على الطنفسة ، وقال : ما حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له .

ثم قال : ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة . ثم قال :

ما كانت لك حاجة فائتنا ، ثم إن الرجل لما خرج من عنده لقى عثمان بن حنيف ، وقال له : جزاك الله خيراً ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلىَّ حتى كلمته فىَّ ، فقال عثمان بن حنيف : والله ما كلمته ، ولكن شهدت رسول الله ﷺ ، وأتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال له النبى ﷺ : أو تصبر ؟ فقال يا رسول الله ليس لى قائد وقد شق علىّ فقال له النبى ﷺ : ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ، ثم ادع بهذه الدعوات ، فقال عثمان بن حنيف : فوالله ما تفرقنا ـ وطال بنا الحديث ـ، حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط » قال الطبرانى بعد ذكر طرقه ، والحديث صحيح .

رأى الشيخ ابن تيمية فى درجة الحديث [1]:

وقد ذكر هذا الحديث بطوله شيخ الاسلام ابن تيمية ، وذكر كل طرقه وأسانيده وذكر قصة عثمان بن حنيف مع الرجل بكاملها ، وصحح كل ذلك وأيده من الناحية الإسنادية فى كتابه « قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة » (ص ٩٥ و ٩٦) .

---

(١) بحث هام يتعلق بحديث الأعمى للأخ الفاضل محمد الهادى عبيد التونسى .
لم ينفرد ابن تيمية رحمه الله بتصحيح حديث الأعمى بل صحّحه أيضا جمع من الحفّاظ ـ كما ذكره المؤلّف أكرمه الله ـ منهم الترمذي والطبراني وابن خزيمة والحاكم والذهبي .
وإتماماً للفائدة فسأذكر إن شاء الله تعالى بعض المباحث المتعلّقة بمتن الحديث =

أبيّن فيها وجه الاستدلال بـه على مشروعيّة التوسّل وبعض ما يؤيـد ذلك من الأثر والنظر والله ولي التوفيق .

يرى بعض أهل العلم أن التـوسل بالنبي ﷺ لا يكون إلا بـدعائه ويقولون : لـو كان التوسل بالـذّات جائزا لما عدل عمـر رضي الله عنه عن التوسل به صلى الله عليـه وآله وسلم إلى التوسل بالعبّاس رضي الله عنه .

وعلى هذا فقول الأعمى « أسالك وأتوجه إليك بنبيّك محمّد » فيه حذف عندهم والتقدير : بدعائه وشفاعته .

وهذا الذي قالوه غير مسلّم بل هو احتمال ضعيف لا تنهض به الحجّة لأنّ التوسّل بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما يكون بـدعائه فإنه يكون بذاته التى شـرفها الله تعالى ، ولا مانع من هذا لصحّة الدليل عليه .

ــ أمّـا دليل التوسل بـالـدّعـاء الذي اتفـق أهل العلم على جـوازه فهو ثـابت في كتـاب الاستسقاء من صحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك فلا داعي لذكره .

ـ وأمّا الدّليل على جواز التوسل بالذّات صراحة فهو ما رواه البخاريّ فى صحيحه [كتاب الاستسقاء باب سؤال الناس الامام الاستسقـاء إذا قحطوا] عن عبد الرحمٰن بن دينار عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب :

وأبيض يُستسقـى الغمـــام بـــوجهـــه * ثمـــالَ اليتـــامى عصمـــة لـــلأرامل

ووجـهُ الاستدلال بـالحديث هـو أنّ ابنَ عمـر رَضى الله عنهما قـد تذكّـر ذلك البيتَ من الشِّعْر وتَمثّلَ بـه جِهَارًا حتّى سمعَهُ غيـرُهُ فلم يُعْتَرَضْ عليه فى ذلك وهـذا يدلُّ على أنَّ معنى البيت ثابـتٌ ومقبُولٌ ، وتقديـره : وأبيضَ يَسْتَسْقِي النّاسُ بِـوَجْهِهِ . فهـذا ظاهرٌ فـي التّوسّلِ بالذّاتِ لأنَّ الوجهَ جُزْءٌ منْهَا ولم يَرِدْ في لسـان العرب أنَّ الوَجْهَ يكُونُ بمعنى الدُّعاء بَلْ قد وَرَدَ في القرآن استعمالُ لَفْظةِ الوجه بمعنى الـذَّاتِ وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِك ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَام ﴾ [انظر تفسير ابن كثير جـ ٣ صفحة ٤٠٣ طـ التراث الاسلامي] . ولذلك فإنّ المعنى لا يَستقيم هنا لمن أراد أن يقدّر مضافا محذوفا لما في ذلك من التكلف المفضي إلى تحميل اللّفظ أكثر ممّا يتحمل مع أن الأصل فى الكلام عـدم الحذف . ويؤيده قول ابن عمـر رضي الله عنهما في روايـة أخـرى للبخاري : وأنـا أنظـر إلى وجه النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، فإنّه يدلّ على تـرجيح حمل لفظة الوجه على حقيقة معنـاها وأن إحضار النبيّ صلى الله عايه وسلم مقـام الاستسقاء رغم صغـر سنه زمن عبد المطلب كـان للتوسل بـذاته فكأن لسان حال أبي طالب يقول : اللهم اسقنا بوجود ذاته المباركة بيننا . =

= قال الامـام العيني في عمدة القاري (جـ ٦ صفحـة ١٠) عند تعليقه على الترجمـة ما نصّه : « . . . معنى قول أبي طالب هذا في الحقيقـة توسل إلى الله عز وجلّ بنبيّه لأنّه حضر استسقاء عبد المطلب والنبـي صلى الله عليه وسلم معه . فيكون استسقـاء الناس الغمام فى ذلك الوقت ببركة وجهه الكريم وإن لم يكن في اللفظ أنّ أحدا سأله . . . الخ ا هـ .

فالحاصل ممّـا سبق أنّ حديث ابن عمر رضى الله عنهمـا يؤيّد صحّة ما فهمـه أكثر أهل العلم من حديث الأعمى .

وبيان ذلك أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يكتف بما وعدَ بِهِ الأعْمَى من الدُّعاء لَهُ ، بل دلَّه على مايَزيدُ في تحقيق التّذَلُّل والعبُوديَّةِ لله سبحانه فأمره بالطَّهارةِ والصَّلاَةِ وعلَّمهُ أن يقولَ في أوّلِ دعائِه : « اللّهم إنّي أسألُكَ وأتوجَّهُ إليك بنبيّك محمّـد نبيّ الرَّحمة . وهذا هُوَ مَحلُّ الشَّاهِدِ مِنَ الحديث إذ لا شكَّ أنَّ هـذه الصّيغةَ تدُلُّ صراحةً عَلَى التّوسّل بـالذّات . وأمَّا قولُ من قال : هناكَ مُضَافٌ محذوفٌ والتّقديرُ: اللَّهـمّ إنّي أسألك وأتوجّهُ إليك بدعاء نبيك ، فهو قولٌ مَرْجُوحٌ وتأويلٌ واه لأنَّ الأصْلَ في اللّغةِ عَدَمُ التَّقدير ولا حاجةَ إليه لعَدَمِ وجودِ ما يَقْتَضى صَرْفَ اللّفظِ عن ظـاهرِ مَا دَلّ عليـه . ومِنْ أقوى القرائِن إبقاءً للكـلام على ما هو عليـه قولُ الأعمى بعدَهُ: يا محمّدُ إنّي أتوجّـه بك إلى ربّي في حاجتي هذه . فلفظةُ محمّد ، اسمٌ عَلَمٌ دالٌ على الذّات المُصْطَفَويَّةِ ، وحينئذ فما محلُّ ذلك القول؟ ولماذ هذا النّداء للنبّي صلّى الله عليه وسلّم بعد أنِ استهلَّ الأعمى دعـاءَه بنداء الله حيث قـال : اللَّهمّ ؟ فهذا يـدل على أنّ الأعمى مستشعر لحـرمة النبي صلى الله عليـه وسلـم مستحضر لذاتـه متوسل بهـا . ومن ترك التكلف والتعسف أدرك أَنَّ حـديث الأعمى هَذَا يـدُلّ بَطَرَفَيْـهِ بِدُونِ تعطيل ولا تَنَـاقُض على أمرين : فأول الحديث يدل على وقوع التَّـوسّل بذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقد سبق ما يؤيّد جوازَه ، وآخره يدلُّ على وقـوع التّوسّل بدعاء النبي صلّى الله عليه وسلّم وهذا يقتضي أنّ النبى صلى الله عليه وسلّم قد دعا فِعْلاً لـلأَعَمى وهو الراجح وَإنْ لم يَنُصّ عليه الحديث لأنَّ رسولَ الله صلّى الله عليـه وسلّم خيرُ من وَفّى بِمَـا وَعَد ، ولا مانع من أن يكـون صلى الله عليه وسلم قد توجه إلى الله تعالى بقلبه ونوى الدعاء أثناء تلقينه صيغة التوسل للأعمى . =

= وحينئذ فقولُـه : وتُشَفِّعَني فيه معناه : اقْبلْ دعائي في أن تَقْبَلَ شفـاعةَ النبي صلّى الله عليه وسلّم فيَّ : وأمّـا قولـه : وَتُشَفِّعَهُ فيَّ فمعناه : اللّهمّ اقْبلْ شفـاعته أي دَعَـاءَهُ في أن تَرُدَّ عَلَيَّ بَصَرِي .

فإن قيل لقـد وُجدَ مِنَ العُمْيِ مَنْ دعـا بدُعاء الأعمـى ولم يُشْفَ قلنا لا يلـزَمُ مِنْ حُصُولِ الإبْصارِ لهـذا الأعمى أن يحصُلَ ذلك لِكُلّ مَنْ فَعلَ مثلَ فِعْلِه ، ولا يتـوقّف الإبْصَارُ على هـذا التّوسّل وهذا الـدّعاء إذ إنّ الإجابـةَ لها شـروطٌ معيَّنَةٌ لا بُـدَّ من تَوَفُّرِهَـا كَأكْلِ الحَلاَلِ وَصِدْقِ التَّوَجُّـهِ إلى الله عزَّ وجلَّ والإخْلاَصِ وَغيْرِهَا ممّا يَفقِـدُهُ كثيرٌ من النَّاس . بل لقد دعا بعضُهم باسم الله العظيم الذي إذا دُعِيَ بـه أجابَ وإذا سُئِلَ به أعطى ـ كما في رواية أبي داود والنسـائي وغيرهمـا بسند صحيح ـــ فلم يستجب له . وصفـوة القول فى هـذا أنّ الله تعالى ضمن لنا الاجابة فيما يريده هو لا فيما نريده نحن وفي الوقت الذي يريده هو لا في الوقت الذي نريده نحن .

وقد أخرج الترمذي في السنن [كتاب الدعـاء باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال : ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتـاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحِم » .

أمّا قول ابن تيمية : لو كان أعمى توسل به صلّـى الله عليه وسلم ولم يدع له الرسول بمنزلة ذلك الأعمى لكان عميـان الصحابـة أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمـى ، فعدولهم عن هذا إلى هذا دليل على أنّ المشـروع ما سألوه دون ما تركوه . اهــ [قاعدة جليلة ص ١٣٤] فليس بسديد لأنـه مجرّد احتمال لا دليل عليه إذ يجـوز أنهم فعلوا ذلك أو أن بعضهم فعله ، خاصّة ولم يرد ما ينص على تركهم . وعلـى فرض أنّ بعضهم ترك ذلك فإنّه لا يدل أبدا على المنع بل يجوز أنهم آثروا الصبر والفوز بالأجر.

وأمّا عدول عمر رضى الله عنه عن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلّم إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه فلا حجة فيه على المنع لانه لا ينفى وقـوع التوسل بذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم حيّا وميّتا . لاسيّما وقد كان الناس ـ كما في رواية البخاري ـ يرفعون أيديهم يدعون مع النبي صلى الله عليه وسلم وقت استسقائه لهم . وقـد تقدّم الاستدلال بحديث الأعمى وأنّ ابن عمر رضي الله عنهما كان يتمثل بشعر أبي طالب : وأبيض يستسقى الغمام بوجهه . الخ . =

= فإذا كانوا يتوسلون به إلى الله فيسقيهم فأحرى أن يقدّموه للسّؤال.

فقول عمر رضي الله عنه « اللهم إنّا كنّا نتوسل إليك بنبيّك صلّى الله عليه وسلّم » لا يفيد عند التحقيق سوى العدول عن التوسل بالدعاء إذ الغالب أن الصحابة (رضى الله عنهم) إذا استسقوا يتوسلون بمن كان من أهل الفضل والصلاح بأن يقدموه ويقيموه بينهم ليدعُوَ هو ويدعو الناس معه.

ولا يخفى أن هذا التقديم هو المتعذر بعد وفاته صلى الله عليه وسلّم لا سيّما إذا اجتمع النّاس ليصلي بهم الداعى صلاة الاستسقاء. إذا تقرّر هذا فعدول عمر رضي الله عنه لا يصلح دليلا على منع التوسل بالنبيّ صلّى الله عليه وسلم بعد وفاته، وقد سبق بيان ذلك عند الكلام على جواز التوسل بغير النبي صلّى الله عليه وسلم [ص ١٦٠ / ١٦١].

هذا وإنّ القصّة التى رواها الطبراني والبيهقى صحيحة خلافا لمن ضعّفها وهي تنص على أن الصحابيّ الجليل عثمان بن حنيف رضى الله عنه وجّه رجلا إلى التوسل بالنبيّ صلى الله عليه وسلّم بعد وفاته فأفاد ذلك أن حديث الأعمى مشتمل على التوسل بالذات وهذا مترجّح لأنّ فهم الصحابيّ أولى من فهم غيره إذا كان هو الراوى للحديث والمعاين لأسباب وروده وسائر ملابساته.

ولا يبعد أن يقال بأن التوسل بالدّعاء مرتبط بالتوسل بالذات ارتباط الفرع بأصله إذ لولا الاعتقاد بأن المتوسَّل به وجيه عند الله ذو صلاح وفضل لما تضافرت الدواعي في النفوس لتتوسل بدعائه. ولو كان التوسل بالدعاء خاليا من ملاحظة التوسل بالذات لما كان للالتجاء إلى المتوسل به وجه من النظر.

ألا ترى أنّ طالب الدعاء يلاحظ بقلبه مكانة المتوسَّل به وكرامته على الله بحيث يكون ذلك هو الباعث على رجاء الاجابة.

وهذا المعنى متأصل في التوسل بالذات، فمن يقول: « اللهم إني أسألك بنبيّك محمد » لا يريد بذلك سوى أن يستجيب الله له من باب إكرام نبيّه وإظهار مزيّته بحيث لا يُخيِّبُ في أفراد أمّته التى كان حريصا على نفعها فإن ما يؤلمها يؤلمه وما يسعدها يسعده صلّى الله عليه وسلم. والله تعالى أعلم وأحكم.

من خصائص آل البيت رضى الله تعالى عنهم

قال الإمام الحافظ ابن القيم فى كتابه جلاء الأفهام ص ٢١٠ ، ولما كان هذا البيت المبارك المطهر أشرف بيوت العالم على الإطلاق ، خصهم الله سبحانه وتعالى بخصائص :

منها : أنه أمر عبادة بأن يصلوا على أهل هذا البيت ، كما صلى على أهل بيتهم وسلفهم ، وهم إبراهيم وآله ، وهذه خاصية لهم .

ومنها : جعل أهل هذا البيت فرقاناً بين الناس ، فالسعداء أتباعهم ، والنار لأعدائهم ومخالفيهم .

ومنها أنه سبحانه وتعالى جعل خلاص خلقه من شقاء الدنيا والآخرة على أيدى هذا البيت ، فلهم على الناس من النعم ما لا يمكن إحصاؤه ، ولا جزاؤها ، ولهم المنن الجسام فى رقاب الأولين والآخرين من أهل السعادة والأيدى العظام عندهم التى يجازيهم الله عز وجل عليها .

ومنها : أن كل نفع وعمل صالح وطاعة لله فى العالم ، فلهم من الأجر مثل أجور عامليها ، فسبحان من يختص بفضله من يشاء من عباده .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى سد جميع الطرق بينه وبين العالمين، وأغلق دونهم الأبواب فلم يفتح لأحد قط إلا من

طريقهم وبابهم ، قال : وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك »[1] .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى خصهم من العلم بما لم يخص به أهل بيت سواهم من العالمين ، فلم يطرق العالم أهل بيت أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكامه وأفعاله وثوابه وعقابه وشرعه ومواقع رضاه وغضبه وملائكته ومخلوقاته منهم ، فسبحان من جمع لهم علم الأولين وا لآخرين .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى خصهم من توحيده ومحبته بما لم يخص به أهل بيت سواهم .

ومنها : أنه سبحانه مكّن لهم في الأرض واستخلفهم فيها ، وأطاع لهم أهل الأرض ما لم يحصل لغيرهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى محا بهم من آثار الضلال والشرك ومن الآثار التي يبغضها ويمقتها ما لم يمحه بسواهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعل آثارهم في الأرض سبباً لبقاء العالم وحفظه ، فلا يزال العالم باقياً ما بقيت آثارهم ، فإذا ذهبت آثارهم من الأرض فذاك أول خراب العالم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى غرس لهم من المحبة والإجلال والتعظيم في قلوب العالمين ما لم يغرسه لغيرهم .

وهكذا الناس إنما قيامهم بقيام آثار نبيهم وشرائعه بينهم ، وقيام أمورهم وحصول مصالحهم واندفاع أنواع البلاء والشر عنهم

---

(١) أخرجه ابن حميد وابن عوانة .

بحسب ظهورها بينهم وقيامها ، وهلاكهم وعنتهم وحلول البلاء والشر بهم عند تعطلها والإعراض عنها والتحاكم إلى غيرها واتخاذ سواها .

ومن تأمل تسليط الله سبحانه وتعالى البلاد والعباد من الأعداء ، علم أن ذلك بسبب تعطيلهم لدين نبيه وسنته وشرائعه ، فسلط الله عليهم من أهلكهم وانتقم منهم ، وحتى أن البلاد التى لا ظهور فيها لآثار النبى وسنته وشرائعه ، يكون دفع البلاء عنها بحسب ظهور ذلك بينهم ، وهذه الخصائص وأضعاف أضعافها من آثار رحمة الله عز وجل وبركاته على أهل هذا البيت ، فلهذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نطلب له من الله أن يبارك عليه وعلى آله كما بارك على هذا البيت العظيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ومن بركات أهل هذا البيت أنه سبحانه وتعالى أظهر على أيديهم من بركات الدنيا والآخرة ما لم يظهره على أيدى أهل بيت غيرهم .

ومن بركاتهم وخصائهم : أن الله سبحانه وتعالى أعطاهم من خصائصه ما لم يعط غيرهم ، فمنهم من اتخذه خليلاً .

ومن خصائصهم وبركاتهم على أهل الأرض : أن الله سبحانه وتعالى رفع العذاب العام عن أهل الأرض بهم وببعثهم ، وكانت عادته سبحانه وتعالى فى أمم الأنبياء قبلهم ، أنهم إذا كذبوا

أنبيـاءهم ورسلهم أهلكهم بعـذاب يعمهم ، كما فعـل بقوم نـوح وقوم هـود وقوم صالح وقـوم لوط ، فلما أنـزل الله التوراة والإنجيل والقرآن رفـع بها العذاب العـام عن أهل الأرض ، وأمر بجهـاد من كذبهم وخالفهم، وكان ذلك نصرة لهم بأيديهم وشفاء لصدورهم واتخـاذ الشهداء منهم وإهـلاك عدوهم بأيـديهم لتحصيل عقابـه سبحانه على أيديهم.

****

بئر الخاتم

وتسمى بئر « أريس » نسبة إلى رجل اليهود ، كان يقال له : «أريس» وهى أمام مسجد قباء ، وسميت ببئر الخاتم لأنه سقط فيها خاتم النبى ﷺ من يد عثمان بن عفان (رضى الله عنه) فى السنة السادسة من خلافته ، واجتهد ثلاثة أيام فى استخراجه بكل ما وجد إلى ذلك سبيلاً فلم يصل الى هذه الغاية ، وقيل : سقط من يد معيقيب ، واستدلوا بسقوطه على حادث فى الإسلام عظيم .

قالوا : ومنذ ذلك اليوم حصل فى خلافته من اختلاف الأمر لفوات بركة الخاتم .

وقد كان قبله فى يد أبى بكر ثم فى يد عمر رضى الله عنهما ثم بقى فى يد عثمان (رضى الله عنه) ست سنين جاء فى صحيح الإمام مسلم من حديث سعيد بن المسيب قال : أخبرنى أبو موسى الأشعرى (رضى الله عنه) أنه توضأ فى بيته ثم خرج فقال : لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومى هذا فجاء إلى المسجد فسأل عن النبى ﷺ فقالوا : خرج وجه ها هنا . قال : فخرجت على إثره أسأل عنه ﷺ فقالوا : حتى دخل بئر أريس ، قال : فجلست عند الباب ، «وبابها من جريد» ، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته ، وتوضأ ، فقمت إليه ، فإذا هو قد جلس على بئر أريس .

(كذا فى المغانم المطابه فى معالم طابة للفير وزبادى ص ٢٦)

زمزم المدينـــــة

زمزم : بئر بالمدينة ، على يمين السالك إلى بئر عليّ رضى الله عنه ، بعيدة عن الجادة قليلاً فى سند من الحرة وحُوِّط حولها ببناء مجصص ، وكان على شفيرها حـوض من حجارة تكسر ، لم يزل أهل المدينة ينزلون بها ، وينقل ماؤها إلى الآفاق ، كما ينقل زمزم مكة ، ولا يعرف فيهـا أثر (١) ، وهى بالقرب مـن البئر التى تعرف بسقيا سعد .

قال الشيخ جمال الدين المطرى : ولا تعرف أهى السقيا الأولى لقربها من الطـريق ، أم هذه لتواتر التبرك بها ؟ قـال : ولعلها البئر التى احتفـرتهـا فـاطمـة بنت الحسيـن بن على ، زوج الحسن بن الحسن بن على ، حين خـرجت من بيت جدتهـا فاطمـة الكبرى فى أيـام الـوليد ، لمـا أمـر بإدخـال الحجرات وبيت فـاطمـة فى المسجد فإنها بنت دارهـا بالحرة ، وأمرت بحفـر بئر فيها ، فطلع لهم جبل وأكدية ، فذكروا لها ، فتوضأت وصلت ودعت ، ورشت موضع البئر بفضل وضـوئها وأمرتهم فحفروا فبلغوا المـاء بسرعة ، فالظاهر أنها هذه السقيا الأولى ، والله أعلم .

(١) قال السمهودى عن بئر زمزم : اسم للبئر التى على يمين الذاهب للعقيق ، بعيدة عن الجادة ، وذكر فى بئر « إهـاب » : الظاهر أنها المعروفة اليوم « بـزمزم » وهى فى طرف الحرة الغربية .

(انظر المغانم فى معالم طابة) ص ١٧٢ اهـ مالكى . (المؤلف) .

العقيـــــــق

وعن جابر بن عبد الله (رضى الله تعالى عنهما) قال : كان سلمة بن الأكوع الأسلمى (رضى الله عنه) يصيد الظباء فيهدى لحومها لرسول الله ﷺ جفيفاً وطرياً ففقده رسول الله ﷺ فقال : **يا سلمة مالك لا تأتينى بما كنت تأتى به؟** فقال : يا رسول الله : تباعد عنا الصيد فإنما نصيد بتيب وصدور قناة ، فقال ﷺ : « **أما إنك لو كنت تصيد بالعقيق لشيعتك إذا ذهبت ، ولقيتك إذا رجعت ، فإنى أحب العقيق** » .

وعن زكريا بن إبراهيم قال : بات رجلان بالعقيق ، ثم أتيا رسول الله ﷺ قال : أين بتما ؟ قالا : بالعقيق ، قال ﷺ : « **لقد بتما بواد مبارك** » .

وعن عامر بن سعيد « رضى الله عنهما » قال : ركب رسول الله ﷺ إلى العقيق ، ثم رجع فقال : يا عائشة : جئنا من هذا العقيق ، فما ألين موطئه ، وأعذب ماءَه! قالت : قلتُ يارسول الله ، أفلا ننتقل إليه ؟ فقال ﷺ : وكيف وقد ابتنى الناس؟ ، وعن عامر بن سعيد رضى الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ نام بالعقيق ، فقام رجل من أصحابه يوقظه ، فحال بينه وبينه رجل من أصحابه وقال : لا توقظه ، فإن الصلاة لم تفته ، فتجاذبا

حتى أصاب بعض أحدهما رسـول الله ﷺ فأيقظه ، فقـــال ﷺ : ما لكما ؟ فأخبراه ، فقال : لقد أيقظتمانى ، وإنى لأرانى بالوادى المبارك .

(انظر المغانم المطابة فى معالم طابـة للفيـروز أبـادى ص٢٦٦) .

****

أم معبد تتحدث عن المصطفى

(صلى الله عليه وآله وسلم)

جاء فى الحديث أن النبى ﷺ أثناء هجرته مر بأم معبد ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة ، ودليلهم عبد الله بن أريقط الديلى ، فسألوها : هل عندها لبن أو لحم يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً . وقالت : لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القرى ، وكانوا ممحلين فنظر إلى شاة فى كسر خيمتها . فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : خلفها الجهد ، فقال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ فقالت : إن كان بها حلب فاحلبها ، فدعا بالشاة فمسحها ، وذكر اسم الله ، فذكر الحديث فى حلبه منها ما كفاهم أجمعين ، ثم حلبها وترك عندها إناءها ملأى ، وكان يربض الرهط ، فلما جاء بعلها استنكر اللبن ، وقال : من أين لك هذا يا أم معبد ولا حلوبة فى البيت ، والشاة عازب ؟ فقالت : لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ، فقال : صفيه لى فوالله إنى لأراه صاحب قريس الذى يطلب ، فقالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، حسن الخلق مليح الوجه ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزربه صعلة ، قسيم وسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف ، وفى صوته صحل ، أحور أكحل ، أزج ، أقرن ، فى عنقه سطع ، وفى لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات

نظم ينحدرن ، أبهى الناس وأجملهم من بعيد ، وأحلاهم وأحسنهم من قريب ، ربعة لاتشنؤه عين من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند .

فقال بعلها : هذا والله صاحب قريش الذى تطلب ، ولو صدفته لا لتمست أن أصحبه ، ولأجتهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً .

قال : وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقوله وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به ... فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجازى وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكمو إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادره رهناً لديها لحالب ... يدر لها فى مصدر ثم مورد

ثم إن الحافظ البيهقى أتبع هذا الحديث بذكر غريبه . . . ونحن نذكر ههنا نكتاً من ذلك : فقولنا : ظاهر الوضاءة : أى ظاهر الجمال . أبلج الوجه : أى مشرق الوجه مضيئه، «لم تعبه ثجله» ، قال أبو عبيد : هو كبر البطن ، وقال غيره : هو كبر

الرأس ، «ولم تزر به صعلة» : وهو صغر الرأس ، وأما « الوسيم » فهو حسن الخَلْق ، وكذا « القسيم» أيضاً ، «والدعج» : شدة سواد الحدقة ، والوطَفْ : طول أشفار العينين ، وفى صوته « صحل » وهو بحَّة يسيرة ، وهى أحلى فى الصوت ، قال أبو عبيد : وبالصَّحل يوصف الظباء ، وأما قولها : « أحور » فمستغرب فى صفة النبى ﷺ وهو فى العين يزينها لايشينها كالحول ، وقولها : « أزج » . قال أبو عبيد : هو المتقوس الحاجبين ، قال : وأما قولها : « أقرن » فهو التقاء الحاجبين بين العينين ، قال : ولا يعرف هذا فى صفة النبى ﷺ إلا فى هذا الحديث .

قال : والمعروف فى صفته عليه السلام أنه أبلج الحاجبين ، فى عنقه سطع ، قال أبو عبيد : أى طول ، وقال غيره : نور ، قلت : والجمع ممكن بل متعين ، وقولها : «إذا صمت فعليه الوقار» أى الهيبة عليه فى حال صمته وسكونه « وإذ تكلم سما » أى علا على الناس ، « وعلاه البهاء » أى فى حال كلامه حلو المنطق ، «فصل» أى فصيح بليغ ، يفصل الكلام ويبينه ، « لا نزر ولا هذر» أى لا قليل ولا كثير ، « كأن منطقه خرزات نظمن » من حسنه وبلاغته وفصاحته وبيانه وحلاوة لسانه ، « أبهى الناس وأجملهم من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب » أى هو مليح من بعيد ومن قريب ، وذكرَتْ أنه : « لا طويل ولا قصير » بل هو

أحسن من هذا ومن هذا ، وذكرت أن أصحابه يعظمونه ويخدمونه ويبادرون إلى طاعته وما ذلك إلا لجلالته عندهم وعظمته فى نفوسهم ومحبتهم له ، وأنه ليس بعابس ، أى ليس يعبس ، « ولا يفند أحداً» ، أى يهجنه ويستقل عقله ، بل جميل المعاشرة ، حسن الصحبة ، صاحبه كريم عليه ، وهو حبيب إليه صلى الله عليه وآله وسلم .

(انظر البداية والنهاية ح٦ ص ٣١) .

****

مشاركته أصحابه فى العمل

(صلى الله عليه وآله وسلم)

جاء فى الأثر أن رسول الله ﷺ فى غزوة الخندق اشترك مع المهاجرين والأنصار فى حفر الخندق وعمل فيه ، فكان أحياناً يحمل معهم التراب ، وأحياناً ينشد نشيداً يُنَشِّط به العاملين ، وهم يجيبونه بآخر . روى البخارى : أن الصحابة كانوا يحفرون وينقلون التراب على ظهورهم ورسول الله ﷺ ينشدهم قول عبد الله ابن رواحة :

اللهم إن العيش عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة
والله لولا أنت ما اهدتينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الذين قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

وكان الصحابة يجيبون بعد كل بيت ينشده بقولهم :

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبداً

وقد سن نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام فى العالم الإنسانى اشتراك الرؤساء والعظماء فى العمل مع من يعمل تحت سلطانهم ونفوذهم ، ثم خفف عن العاملين التعب والنصب ، بما كان ينشده من الرَّجز ليردّدوا فيسهل العمل ويجمل ، فيذهب الضجر والملل ، فهل نص التاريخ على أن عظيماً من عظماء أى دولة

فيما مضى أو فى هذا العصر الذى يسمونه : (عصر العمل والعمال) فعل كما فعل رسول الله ﷺ مع شعبه وقومه ؟ اللهم : لا، فالإسلام هو مهد الحضارة الحقة والحرية الكاملة ، والعدالة الشاملة وهو دين الإخاء والمساواة ، وليس له فى ذلك شريك .

صورة من صبره

(صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد اتصف النبى الكريم ﷺ بالصبر ، وشدة الاحتمال ، والعفو عند المقدرة ، كان لا يزداد مع كثرة الأذى إلا صبراً ، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً ، لقى فى سبيل الله الشدائد ، وتعرض للمكاره ، وهو لا يزداد إلا ثباتاً ومضاء وإقداماً ، ويقول :

« والله لو وضعوا (يريد قريشاً) الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » .

ولما أصابه من قريش ما أصابه يوم أحد ، شق ذلك على أصحابه وقالوا : لو دعوت عليهم . فقال ﷺ : **« إنى لم أبعث لعّاناً ، ولكنى بعثت داعياً ورحمة ، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون »** [1] .

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير والبخارى فى الأدب ومسلم فى الصحيح عن أبى هريرة (رضى الله عنه) والبيهقى فى شعب الايمان بهذا اللفظ الذى كتبه المؤلف .

ثلاثة من أعاظم قريش يقرون بصدق وأمانة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)

لقى رجل أبا جهل ـ وكا ن من ألد أعداء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد رسالته ـ فقال له : يا أبا الحكم ليس هنا غيرى وغيرك يسمع كلامنا ، فخبرنى عن محمد صادق أم كاذب ؟ فقال أبو جهل : والله إن محمداً لصادق ، وما كذب محمد قط ، ومع ذلك لم يؤمن به عناداً واستكباراً .

وسأل (هرقل) عنه (أبا سفيان) قبل أن يسلم أبو سفيان ، فقال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا.

وقال : (النضر بن أبى الحرث) لقريش المكذبين لمحمد : قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، فهذه شهادة ثلاثة من أعاظم قريش ، اتفقوا على صدقه وأمانته ﷺ .

«والفضل ما شهدت به الأعداء»

****

كمـــــال وجهه

(صلى الله عليه وآله وسلم)

أجمعت كلمة الصحابة الذين وصفوا رسول الله ﷺ على أنه كان منير الوجه ، مشـرق المحيا ، يتلألأ بالنور الباهـر والضياء الزاهر والبهاء الظـاهر ، فمن الصحـابة مـن ضرب المثل لبهـاء نوره ﷺ بـالشمس ، ومنهم من شبه ذلك بـالقمـر ، ومنهم من شبه لمعـة إشراقـات وجهه بلمعة القمـر ، وقد تقدم قـول كعب فى الحديث الصحيح ، « وكان إذا سر ﷺ استنار وجهه كأنه قطعة قمر » .

وجاء فى حديث الحسن بن على عن خالـه هند بن أبى هالة ، قال : « كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً ، يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر » رواه الترمذى .

ونظر إليه جابر بن سمرة فى ليلة مقمرة فقال « فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلهـو عندى أحسن من القمـر » رواه الترمـذى وهو صحيح .

وسأل رجل البـراء بن عـــازب : أكـان وجـه رسـول الله ﷺ مثل السيف ؟ ، فقال : « لا بل مثل القمر » رواه البخارى والترمذى .

وقال جابر : « مثل الشمس والقمر ، وكان مستديراً » رواه مسلم وتقول السيدة عـائشة : « كان ﷺ أحسن الناس وجهـاً ، وأنورهم لوناً لم يصفه واصف إلا شبه وجهه بـالقمر ليلة البدر ، وكان عرقه

فى وجهه مثل اللؤلؤ ، وأطيب من المسك الأذفر » رواه أبو نعيم . وقيل للربيع بنت معوذ : « صفى لنا رسول الله ﷺ ! فقالت : يا بنى لو رأيته لرأيت الشمس طالعة » رواه الترمذى والبيهقى .

وقال أبو هريرة : « كأن الشمس تجرى فى وجهه » رواه الترمذى، ووصفته أم معبد فقالت : « رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة ، حسن الخلق ، مليح الوجه ، قسيماً وسيماً » الحديث رواه البيهقى والحاكم وصححه ، وهو من الشهرة بمكان .

سيد ولد آدم

قال الحافظ الدارمى فى سننه المعروفة :

أخبرنا عبيد الله بن عبد المجيد ، حدثنا زمعة عن سلمة عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « جلس ناس من أصحاب النبى ﷺ ينتظرونه ، فخرج ، حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فتسمع حديثهم ، فإذا بعضهم يقول : عجبا : إن الله اتخذ من خلقه خليلاً ، فإبراهيم خليله ، وقال آخر : ماذا بأعجب من موسى : «وكلم الله موسى تكليماً» ، وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه . وقال آخر : وآدم اصطفاه الله ، فخرج صلى الله عليه وآله وسلم عليهم فسلم ، وقال : قد سمعت كلامكم وعجبكم : إن إبراهيم خليل الله ، وهو كذلك ، وموسى نجيه وهو كذلك ، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ،

ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك بحلق الجنة ولا فخر ، فيفتح الله لى فيدخلينها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، **وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر»** . سنن الدارمى ج١ ص٣٠

استرجاع النبى ﷺ لصفية من دحية

جاء فى الحديث أن النبى ﷺ استرجع صفية بنت حيى من دحية الكلبى ، وقال له : خذ غيرها من السبى ، وذلك فى غزوة خيبر ، ورواه البخارى فى مواضع ، منها فى « **باب ما يذكر فى حكم الفخذ** » من كتاب الصلاة .

قال القسطلانى : « وارتجعها منه ، لأنه إنما كان أذن له فى جارية من حشو السبى ، لا من أفضلهن ، فلما رآه أخذ أنفسهن نسباً وشرفاً وجمالاً ، استرجعها لئلا يتميز دحية بها على سائر الجيش ، مع أن فيهم من هو أفضل منه ، وأيضاً لما فيه من انتهاكها مع مرتبتها ، وربما ترتب على ذلك شقاق أو غيره ، مما لا يخفى ، فكان اصطفاؤه ﷺ لها قاطعاً لهذه المفاسد .

وفى فتح البارى ، نقلاً عن الشافعى فى « الأم » عن سيرة

الواقدى ، أنه (عليه الصلاة والسلام) أعطى دحية أخت كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق زوج صفية ، (أى تطييباً لخاطره) .

وفى سيرة ابن سيد الناس أنه أعطاه ابنتى عم صفية ، اهـ / ارشاد السارى ١ / ٣٩٩ .

قلت : وبهـذا ظهر أنـه ﷺ لم يعطـه صفيـة ابتداءً بـالتعيين ، وإنما أذن له فى أن يأخذ جارية من السبى فاختار هو صفية .

قاعدة طبية نبوية فى المركبات من الأدوية

جاء فى الحـديث : أن النبى ﷺ « **كان يأكل القثـاء بالرطب** » وهو صحيح .

وفى الترمذى : « **أنه جمع بين البطيخ والرطب** » وقال : يكسر حر هذا برد هذا .

قال القـرطبى : يـؤخذ من هـذا جواز مـراعاة صفـات الأطعمة وطبائعها واستعمالها على الوجه اللائق بها ، على قاعدة الطب ، لأن فى الرطب حـرارة ، وفى القثاء برودة ، فإذا أكلا معـاً اعتدلا ، وهذا أصل كبير فى المركبات من الأدوية ، انتهى .

من « نفثات صدر المكمّد بشرح ثلاثيات مسند أحمد » للسفارينى ٢/ ٥٥٤ .

حنين الجـــذع للنبى

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الإمام الحافظ الدارمى فى سننه : أخبرنا محمد بن حميد ، حدثنا تميم بن عبد المؤمن ، حدثنا صالح بن حيان ، حدثنى ابن بريدة ، عن أبيه ، قال : كان النبى ﷺ إذا خطب قام فأطال القيام فكان يشق عليـه قيامه ، فأتـى بجذع نخلة فحفـر له ، وأقيم إلى جنبه قائماً للنبى ﷺ فكان النبى ﷺ إذا خطب فطال القيام عليه ، استند إليه فاتكـأ عليه ، فبصر به رجل كان ورد المدينـة فرآه قائماً إلى جنب ذلك الجذع ، فقـال لمن يليه من النـاس : لو أعلم أن محمداً يحمدنى فى شىء يرفق بـه لصنعت له مجلساً يقوم عليه ، فإن شـاء جلس مـا شـاء ، وإن شـــاء قـام ، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : ائتونى به ، فأتوه ، فأمر أن يصنع له هذه المراقى الثلاث أو الأربع [هى الآن فى منبـر المـدينـــة] فـوجـد النبى ﷺ فى ذلك راحة، فلما فارق النبى ﷺ الجـذع ، وعمد إلى هذه التى صنعت له ، جـزع الجذع فحن كما تحن النـاقة ، حين فـارقه النبى ﷺ ، فزعم بريدة عن أبيه أن النبى ﷺ حين سمع حنين الجذع رجع إليه فوضع يده عليه ، وقال : اختـر أن أغرسك فى المكان الذى كنت فيه فتكون كما كنت ، وإن شئت أن أغرسك فى الجنة فتشرب من أنهارها وعيونهـا : فيحسن نبتك وتثمر فيأكل أولياء الله من ثمرتك

ونخلك ، فزعم أنه سمع من النبى ﷺ وهو يقول له : نعم ، قد فعلت (مرتين) فسأل النبى ﷺ فقال : اختار أن أغرسه فى الجنة .

وفى رواية : « حن ذلك الجذع حتى سمعنا حنينه ، فوضع رسول الله ﷺ يده عليه فسكن » وفى رواية أخرى « أنه لما حن احتضنه ﷺ وقال : لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة » .

(روى ذلك الدارمى فى سننه ج ١ ص ٢٣) .

تفضيل النبى على الكونين

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الإمام الحافظ الدارمى فى سننه المعروفة :

أخبرنا إسحق بن إبراهيم ، أخبرنا بن أبى حكيم ، حدثنى الحكيم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن الله فضل محمداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السماء ، فقالوا : يا ابن عباس بم فضله على أهل السماء ، قال : إن الله قال لأهل السماء : ﴿ **ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين** ﴾ الآية .

وقال الله لمحمد ﷺ : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾ قالوا : فما فضله على الأنبياء ؟ قال

قال الله عز وجل : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ الآية وقال الله عز وجل لمحمد ﷺ : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴾ فأرسله إلى الجن والإنس .

(انظر سنن الدارمى ج ١ ص ٢٩ ، ٣٠) .

معجـــــــزة باهرة

قال الإمام الحافظ الدارمى فى سننه المعروفة :

أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا أبان (وهو العطار) حدثنا قتادة عن شهر بن حوشب عن أبى عبيد ، **أنه طبَخ للنبى ﷺ قدراً فقال له : ناولنى الذراع ، (وكان يعجبه الذراع) فناوله الذراع ، ثم قال : ناولنى الذراع ، فناولة ذراعاً ، ثم قال : ناولنى الذراع ، فقلت يا نبى الله : وكم للشاة من ذراع ؟ فقال : والذى نفسى بيده لو سكت لأعطيت أذرعاً ما دعوت به .**

(انظر سنن الدارمى ١ ص ٢٧) .

أشياء ما كان يردُّها
(صلى الله عليه وآله وسلم)

جاء فى حديث الترمذى : « **ثلاث لا ترد : اللبن ، والوساد ، والدهن** » .

وأنشد بعضهم :

قد كان من سيرة خير الورى   صلى الله عليه طول الزمن
أن لا يرد الطيب والمتكا   والتمر واللحم معاً واللبن

وأوصلها الحافظ السيوطى إلى سبع

عن المصطفـى سبع يسن قبـــولهـــا

إذا مـا بهـــا قـد أتحف المـــرءَ خـلان

فحلــــو ، وألبــــان ودهن وســــادة

ورزق لمحتــــاج وطيب وريحــــان

وفى طبقات الشعرانى عـن سفيان بن عيينه : « ماء زمزم بمنزلة الطيب ، لا يرد » .

محبته ﷺ لماء زمزم وطلبه له من المدينة المنورة

كان ﷺ يـرسل فى طلب ماء زمزم ، ويحـرص على ذلك فكان يحمل إليه مخصوصاً من مكة إلى المدينة المنورة ، وقد ترجم فى الإصابـة لأثيلة الخـزاعى ، عن أبى قرة (مـوسى بن طارق) : أن النبى ﷺ كتب إلى سهيل بن عمرو : (وإن جاءك كتـابى ليلاً فلا تصبحن ، أو نهـاراً فـلا تمسين حتى تبعـث إلىّ من مـاء زمـزم ، قال : فاستعان سهيل بأثيلة الخزاعى ، حتى جعل مزادتين ملأهما سهيل من مـاء زمزم ، وبعث بهما على بعيـره ، ورواه المفضل بن محمد الجنوى ثم ترجم فى الإصابـة أيضاً : أزيهر مولى سهيل بن عمـر له صحبـة أرسلـه مولاه سهيل إلـى النبى صلى الله عليه وآلـه وسلم بماء زمزم .

وروى الفـاكهى من طـريق محمد بن سليمـان ، عن حـرام بن

هشام عن أبيه عن أم معبد ، قـال : مرَّ بخيمتى غلام سهيل أزيهر ومعه قربتا مـاء ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : إن النبى ﷺ كتب إلى مـولاه سهيل يستهديـه مـاء زمزم فإنـى أعجل السير لكيـلا تنشف القرب .

****

تنقله ﷺ من عهد آدم فى أصلاب الأنبياء

روى الحافظ عبد الرحمن بن الديبغ الشيبانى مؤلف « جامع الأصول » قال : قال ﷺ « كنت نوراً [1] بين يدى الله عز وجل قبل أن يُخلَق آدم بألفى عام ، يسبح الله ذلك النور ، وتسبح الملائكة بتسبيحه ، فلما خلق الله آدم أودع ذلك النور فى طينته » .

قال ﷺ : « فأهبطنى الله عز وجل إلى الأرض فى ظهر آدم ، وحملنى فى السفينة فى صلب نوح ، وجعلنى فى صلب الخليل إبراهيم حين قذف به فى النار ، ولم يزل الله عز وجل ينقلنى من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية الفاخرة ، حتى أخرجنى الله من بين أبوى ، وهما لم يلتقيا على سفاح قط » .

وقد مدح العباس (رضى الله عنه) رسول الله ﷺ فى قوله :

من قبلها طبت فى الظلال وفى ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لابشر أنـ ... ـت ولا مضعة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صلب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
ووردت نار الخليل مستتراً ... فى صلبه أنت : كيف يحترق ؟
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خِندفٍ[2] عُلْياء تحتها النطق[3]

(١) قوله كنت نوراً، رواه محمد بن عمر العدنى شيخ مسلم فى مسنده، وابن الجوززى فى «الوفا» ١/ ٢٥ وفى الموضوعات له ، والسيوطى فى اللآلىء المصنوعة ١/ ٣٤٥ والقاضى عياض فى الشفا، وقال: يشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور فى مدحه ﷺ ١/ ٨٣. اهـ مالكى. (المؤلف).

(٢) الخندفة : أن يمشى مفاجاً ويقلب قدميه كأنه يغرف بهما ، وهو من التبختر. اهـ قاموس .

(٣) النطق : أعراض وحبال بعضها فوق بعض، شبهت بالنطق التى تشد بها الأوساط والمنتطق : العزيز .

وقد ذكر الحافظ ابن عبد البر هذه الأبيات فى ترجمة « خريم بن أوس » قال : « هاجرت إلى رسول الله ﷺ فقدمت عليه منصرفه من تبوك ، فسمعت العباس عمه يقول : يا رسول الله إنى أريد أن أمتدحك ! فقال له النبى ﷺ : قل لا يفضض الله فاك . فأنشأ يقول : وساق الأبيات ، ثم قال : وقد روى هذه الأبيات جرير بن أوس أخو خريم بن أوس كما رواه خريم .

(كذا فى الاستيعاب ٣/ ٣٤٠)

قال مقيده عفا الله عنه : وجرير هذا قدم مع أخية خريم على النبى ﷺ . قال ابن عبد البر : جرير بن أوس الطائى : هاجر إلى رسول الله ﷺ فورد عليه منصرفه من تبوك فأسلم . وروى شعر العباس بن عبد المطلب الذى مدح به النبى ﷺ ثم قال : خريم وجرير قدما مع على إلى النبى ﷺ ورويا شعر العباس .

(الاستيعاب ٣/ ٣٤٠) .

قال مقيده عفا الله عنه : وذكر هذه الأبيات أيضاً الحافظ ابن حجر فى الإصابة فى ترجمة خريم ، وقال : رواها ابن خيثمة ، والبزار وابن شاهين ١ / ٤٣٣ .

قال مقيده عفا الله عنه : ثم ظفرت بفائدة نفيسة ، وهى أن الحاكم روى أيضاً فى كتابه « المستدرك » هذه الأبيات عن خريم

، وأقره الـذهبى ، وهو معـروف بتشـدده وتعنتـه ، فقال : روايـة الأعراب عن آبـائهـم ، ومثلهـم لا يضعون . (كذا فى المستدرك وتلخيصه ٣/ ٣٣٧)

وقـد ذكر هـذه الأبيات أيضـاً الحـافظ ابن كثير فى السيـرة ١ / ١٩٥ عن أبى السكن زكـريا الطـائى ، عن زخـر بن حصين ، عن جـده حميـد بـن منهب ، قـال : قـال جـدى خــريم بن أوس : هاجرت إلى رسول الله ﷺ ، فسمعت العباس عمه يقول : يارسول الله إنى أريد أن امتدحك ! فقال له النبى ﷺ : « **قل لايفضض الله فاك** » فأنشأ يقـول ... وقـال : قـد روى هـذا الشعـر لحسـان بن ثابت، والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس .

وجاء عن ابن عباس ما يؤيد هـذا التنقل النبوى فى تفسير قوله تعـالى من سورة الشعـراء : « **وتقلبك فى السـاجـدين** » قـال ابن عباس : يتقلب فى أصـلاب الأنبياء حتى ولـدته أمه (أخـرجه ابن أبى حاتم) وابن مردويه ، وأبو نعيم فى الدلائل .

(كذا فى الدر المنثور، ٥ / ٩٨) .

ونقل هذا أيضاً ابن كثير فى تفسيره وابن أبى حاتم وابن الجوزى كلهم فى سـورة الشعـراء ،عنـد قـولـه تعـالى : ﴿ **وتقلبـك فـى الساجدين** ﴾ وجاء مثل هذا عـن مجاهد أخرجه سفيان بن عيينة والقربـابى ، والحميدى ، وسعيد بن منصور ، وعبـد بن حميد ،

وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل ، ونحوه عند البزار، والطبرانى عن مجاهد قال : « من نبى إلى نبى حتى أخرجت نبياً» .

(كذا فى الدر المنثور) .

وبهذا ظهر أن مسألة تنقله ﷺ أمر ثابت من طريق أبيات العباس التى قالها أمام النبى ﷺ ، وأقرَّه عليها ، ويؤيد هذا ما جاء عن ابن عباس فى تفسير آية : ﴿ وتقلبك فى الساجدين ﴾ فهذا أمر ثابت نقلاً ، وقد يظن بعض من ساء فهمه وضاق عقله أن هذا التنقل ذاتى وأنه خاص بالذات المحمدية فتنقل من صلب إلى صلب ومن بطن إلى بطن، وهذا لا يقول به إلا جاهل أو مجنون والذى أراه وهو الحق إن شاء الله : أن هذا التنقل ليس تنقلاً بالذات ، وعليه فليس هو خاصاً به ﷺ ، بل هو عام فى جميع الذرية التى كانت فى أصلاب هؤلاء النبيين المذكورين عليهم الصلاة والسلام ولكن لرسول الله ﷺ وجود أتم وأكمل ، ولعل ذلك كان يعلم منه وشعور بقى فى تلك الحالة ، حين ظهوره فى العالم الدنيوى ، وهذا التنقل أيضاً معناه ، إعلام كل نبى من أجداده بأن محمداً ﷺ فى ضمن ذريته ، وهذا وجه تميزه ﷺ عن غيره ، وهى خصوصية خصه الله بها ، وأما غيره من الذرية فيحتمل أنهم كان لهم شعور ما فى تلك الأحوال ، سيما عند أخذ الميثاق ، ولكنه لم يبق لهم ذلك لا علماً ولا شعوراً ، كما بقى له ﷺ كما أن غيره من الذرية لم يحصل إعلام لأجدادهم بهم ، أو

إخبار عنهم لهم ، والذى يؤيد هذا المعنى الذى فتح الله به علىّ : هو أن الذرية من ظهر آدم لا محالة ـ حتى فى الجنة ـ كما جاء فى الحديث : « وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم »؟ وفى محاجة موسى لآدم : أنت الذى أخرجت الناس من الجنة بخطيئتك !

وورد فى الحديث : « **إن الله تعالى لما استخرج الذرية من ظهر آدم عليه السلام فرأتهم الملائكة ...** » الحديث وورد أيضا « **أنه استخرج الذرية من ظهر آدم فرأى منهم واحداً ...** (١) » الحديث وما أحسن قول الحافظ المحدث السَّلفى شمس الدين بن ناصر الدمشقى :

تنقل أحمد نوراً عظيماً تلألأ فى جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرناً فقرنا إلى أن جاء خير المرسلينا

(كذا فى مسالك الحنفا للسيوطى)

---

(١) حديث : لما استخرج الله الذرية من ظهر آدم ... الخ

رواه الترمذى وصححه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمه هو خالقها [من ذريته] إلى يوم القيامة وجعل بين عينى كل رجل منهم وبيصاً من نور ثم عرضهم على آدم فقال : يارب من هؤلاء ؟ : قال : هؤلاء ذريتك فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيصُ ما بين عينيه فقال : أى ربِّ من هذا قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له : داود فقال: يارب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة ، قال : أى رب زده من عمرى أربعين سنة فلما انقضى عمر آدم عليه السلام جاءه ملك الموت ، فقال : أو لم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود ؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته ، ونسى آدم فنسيت ذريته ، وفى غير الترمذى : فحينئذ أمر بالكتّاب والشهود.

النور المحمــــدى

عن جــابر بن عبــد الله قــال : قلت يارســول الله بأبى أنت وأمى أخبرنى ، عن أول شىء خلقه الله قبل الأشياء .

قال : يا جابر إن الله تعالى : خلق قبل الأشــياء نور نبيــك من نــوره ...) الحديـث رواه عبد الــرزاق الصنعانى بســنده عن جابر [(١)] .

(كذا فى المواهب اللدنية ١ / ٩)

---

(١) تعليق على حديث أولية النور المحمدى

حديث جـابر بن عبد الله (رضى الله عنه) « أول مـا خلق الله نور نبيك يا جـابر ... » الخ ذكره جمع من العلماء وعزوه إلى مصنف عبد الرزاق ، منهم الإمام القسطلانى فى المواهب وابن حجر فى شرح الهمزية والعجلونى فى كشف الخفا وغيرهم ، إلا أنَّ من يطالع مصنف عبد الرزاق ـ المطبوع والمتداول الآن ـ لا يجد هذا الحديث ومن هنا ارتاب البعض فى شأن هذا الحديث ومنهم من حكم بوضعه وقد جانبه الصواب فى ذلك وكان الأولى أن يتريث وأن يراعى لهؤلاء العلماء والحفاظ قدرهم حيث استدلوا بالحديث وأوردوه فى مصنفاتهم من غير استدراك ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، وذكر الحديث الشيخ رشيد الراشد التاذفى فى جـ ١ ص ١٤ مـن كتابـه «السيرة المرضيـة» وعلق عليـه بقوله : رواه عبـد الرزاق فـى مصنفه واللفظ لـه والبيهقى عن جـابـر وصححه ابـن القطان . ا هــ وكيف يسـوغ أن يُحكم بـوضع الحديث دون معرفة إسناده؟ وكل من حكم على متنه بالوضع متوهماً أنه يدل على أن الله نور بمعنى الضـوء وأن النبى ﷺ جـزء من الله لأنـه جـزء من نـوره ، فهـو حكم غيـر سـديـد لأن للحديث معنى مستقيماً يمكن أن يحمل عليه ، وذلك بأن تكون الإضافة للتشريف والتعظيم وليست «من» للتبعيض ، ومثالـه قوله تعـالى : «فإذا نفخت فيه من روحى» وقولـه : «أن طهر بيتى» وقولـه : «وسخر لكم مـا فى السموات وما في الأرض جميعـاً منه» ويـؤيد هذا ما ذكره البيضـاوى فـى تفسيـر قــولـه تعـالـى : ﴿ ثم سـواه ونفخ فيــه من روحـه ﴾ حيـث قـال=

= أضافه إلى نفسه تشريفاً وإشعاراً بأنه خلق عجيب وأن له مناسبة إلى حضرة الرّبوبيّة ا هـ [كشف الخفا جـ ١ ص ٣١٢].

هذا وما عليه عقيدة أشياخنا وأئمتنا من العلماء العاملين وأهل المعرفة المحققين: أن أول المخلوقات على الإطلاق نور نبينا ﷺ فهو أول مخلوق للذات العلية وبواسطته وسببه وجدت جميع الكائنات العلوية والسفلية وإلى هذا يشير حديث جابر رضى الله عنه عندما سأل النبى ﷺ عن أول شىء خلقه الله قبل الأشياء قال: ياجابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا إنس ولا جان فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثانى اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث بقية الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السموات ومن الثانى الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الحديث ا هـ [انظر كتاب استحالة المعية بالذات للشنقيطى ص ٣٥٣].

هذا وقد وردت أحاديث أخرى تؤيد هذا الحديث منها: ما جاء فى أحكام ابن القطان مما ذكره ابن مرزوق عن على بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال: كنت نوراً بين يدى ربى قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام. ا هـ [استحالة المعية بالذات ص ٣٥٣] وحديث: «أول ما خلق الله نورى» ذكره العلامة الفاسى فى شرح دلائل الخيرات، وقال عنه السيوطى في تخريج أحاديث شرح المواقف (ص ١٢٣): لا يحضرنى بهذا اللفظ لكن فى مسند ابن عمر العدني عن ابن عباس: إنّ قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفى عام يسبّح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم أبقى ذلك في صلبه، قال رسول الله ﷺ فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذفه في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلنى من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبويّ لم يلتقيا على سفاح قط ا هـ [ط دار المعرفة ١٤٠٦] هذا ولا يخفى أنّ المراد من هذه الأحاديث هو بيان حقيقته النورانية ﷺ لا حقيقته الطينيّة فهو أول الخلق في الأنوار وإن تأخر في الظهور والإرسال. =

= وكون حديث جابر ليس موجوداً فى النسخة المطبوعة من مصنف عبد الرزاق لا ينفى صحة ما ذكره بعض الحفاظ كابن حجر الهيتمى فى الفتاوى الحديثية والقسطلانى وغيرهما ، وبيان ذلك أن المحدث حبيب الرحمن الأعظمى الذى حقق المصنف نبه فى أوله على أن جميع النسخ المخطوطة والمصورة ناقصة وأن أتمها نسخة [مراد ملا] ثم طلب ممن يعثر عليها أن يضيفها إليه . وعليه فلا يصح القول بعدم وجود الحديث فى المصنف حتى يظهر الناقص منه .

ولا يعارض حديث أولية النور المحمدى ما ورد من أحاديث أخرى فى أن أول شىء خلقه الله القلم [رواه أحمد والترمذى وصححه من حديث عبادة بن الصامت] وكذلك حديث الماء والعرش فقد قال العلامة الشنقيطى : إن أولية ذلك بالنسبة إلى ما عدا النور المحمدى أو أن الأولية فيما عدا النور المحمدى فى كلٍ بالإضافة إلى جنسه فأولية ما عدا النور المحمدى أولية نسبية أما حديث «أول ما خلق الله العقل» فلم يثبت ا هـ . [راجع لمزيد الفائدة كتاب استحالة المعية بالذات للعلامة الشنقيطى طبعة صبيح] .

وقال الزرقانى : رواه البيهقى أيضاً ببعض المخالفة ، ولا يعارضه حديث الترمذى : « **أول ما خلق الله القلم** » إذ يمكن الجمع بينهما بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا النور المحمدى ، وقيل الأولية فى كل شىء بالإضافة إلى جنسه ، أى أول ما خلق الله من الأنوار نورى .

ومما يثبت هذه النورانية المحمدية ما رواه **على** بن الحسين عن أبيه عن جده : أن النبى ﷺ قال : « **كنت نوراً بين يدى ربى** » .

(المواهب اللدنية ١ / ١٠)

وهذا الحديث ذكره الحافظ أبو الحسين على بن محمد بن القطان فى أحكامه وابن القطان من نقاد الحديث المعروفين بصناعته ، ومن أشد العلماء عناية بالرواية والحفظ والإتقان .

ومما يثبت هذه النورانية قوله تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ فقد قال كثير من العلماء : إن المراد بالنور هو محمد ﷺ كذا فى تفسير الطبرى ، وابن حاتم والقرطبى .

وقال قتادة : يعنى بالنور محمداً (كذا فى تفسير ابن الجوزى ٣ / ٣١٧) .

ومما يدل على هذه النورانية أيضاً ما ثبت بالطرق المستفيضة

من أنــه ﷺ لما ولد « رأت أمه نوراً » وخـرج معــه نـــور أضاءت لــه قصـور الشام . قـال ابن حجـــر : وصحح ذلك ابن حبـان والحاكم .

(كذا فى المواهب ١ / ٣٣).

ومما يثبت هذه النـورانية ما جاء فى حـديث الطبرانى : « ورأينا كأن النور يخرج من فيه » .

وما جاء عن ابن عباس قال : إذا تكلم رئى كالنور يخرج من بين ثناياه (غزاه الزرقانى للترمذى والدارمى) وما جاء عن ابن أبى هالة (عند الترمذى فى الشمائل) فى وصفـه ﷺ إذ قال : «له نور يعلوه ومـا جاء عن السيـدة عـائشـة قالت : « كنت قـاعـدة والنبى ﷺ يخصف نعله ، فجعل جبينه يعرق ، وجعل عرقه يتولد نوراً فبهتُّ . فقـال : مالك بُهِت ؟ قلت : جعل جبينك يعـرق ، وجعل عرقـه يتولـد نوراً، ولو رآك أبـو كبير الهذلـى لعلم أنك أولى بشعره حيث يقول :

ومبـــرأ من كل غبـــر حيضــةٍ وفســـاد مـــرضعـــة وداء مغيل
وإذا نظـرت إلى أســرة وجهـه بـرقت بروق العـارض المتهلل

ومما يـدل على أوليته ﷺ مـا رواه عبد الله بن عمـرو بن العاص عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على

الماء ومن جملة ما كتب فى الذكر ـ وهو أم الكتاب ـ إن محمداً خاتم النبيين » أخرجه مسلم وفى رواية « إنى عند الله فى أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمجندل فى طينته ، رواه أحمد والبيهقى والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

وفى رواية أنه قيل له : متى وجبت لك النبوة ؟ فقال : وآدم بين الروح والجسد » رواه الترمذى وحسنه .

وفى رواية : « كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث » قال السخاوى : رواه أبو نعيم فى الدلائل ، وابن أبى حاتم فى تفسيره . وابن لال من طريقه عن أبى هريرة مرفوعاً » وله شاهد صححه الحاكم ، وآخر فى صحيحى ابن حبان والحاكم ، وثالث عند الترمذى ، وقال عنه : حسن صحيح ، وأما الذى يجرى على الألسنة « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » فلم نقف عليه بهذا اللفظ ، فضلاً عن زيادة « كنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين » . وقال الحافظ ابن حجر ، فى بعض أجوبته عن الزيادة : إنها ضعيفة والتى قبلها أقوى .

(المقاصد الحسنة ، وكشف الخفاء والإلباس : حرف الكاف)

قال مقيده عفا الله عنه : لكن الشيخ العلقمى فى شرح الجامع الصغير ، قال عن هذا الحديث : « **كنت نبياً وآدم بين الماء والطين** » إنه حديث صحيح (كذا فى شرح الجامع) .

ومما يدل على نورانيته ﷺ أنه مجاب الدعوة ، وقد دعا وطلب أن يكون نوراً ، **فقال : اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى بصرى نوراً وفى شعرى نوراً ثم قال : واجعلنى نوراً** » وهو حديث صحيح .

أفضلية النبى على الملائكة

(صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد فضله الله على أنبيائه ورسله من البشر ، وكذلك فضله على من اصطفاه من رسله من أهل السماء وملائكته ، لأن أفاضل البشر أفضل من الملائكة لقوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية** ﴾ والملائكة من جملة البرية ، لأن البرية الخليقة مأخوذ من برأ الله الخلق ، أى اخترعه وأوجده . ولا تدخل الملائكة فى قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ مع أنهم قد آمنوا وعملوا الصلحات ، لأن هذا اللفظ مختص بعرف اللغة ـ فيمن آمن من البشر ، بدليل أنه هو المتبادر إلى الأفهام عند الإطلاق .

فإن قيل : البرية مأخوذة من البرا وهو التراب ، فكأنه قال : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البشر ، فالجواب من وجهين : أحدهما أن أئمة اللغة قد عدوا البرية من جملة ما تركت العرب همزه ، والوجه الثانى : وهو الأظهر : أن نافعاً قرأ بالهمز ، وكلا القراءتين كلام الله ، فإن كانت إحداهما فضلت

الذين آمنـوا وعملوا الصالحـات على سائر البشـر ، فقد فضلتهم القراءة الأخرى على سائر الخلق .

وإذا ثبت أن أفـاضل البشـر أفضل من المـلائكـة . فـالأنبيـاء صلوات الله عليهم وسلامه أفضل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، بدليل قـوله تعالى بعـد ذكر جماعـة من الأنبياء : ﴿ **وكلاً فضلنا على العالمين** ﴾ فدلت الآية على أنهم أفضل البشر ، وأفضل من المـلائكة ، لأن المـلائكة من العـالمين ، سـواء كان مشتقـاً من العالم أو العلامة .

وإذا كان الأنبياء أفضل من المـلائكة ورسول الله ﷺ أفضل من الأنبياء ، فقد ساد سادات المـلائكة ، فصار أفضل من الملائكة بدرجتين ، وأعلى منهم برتبتين ، لا يعلم قدر تنيك الرتبتين وشرف تنيك الـدرجتين إلا من فضَّل خاتم الأنبيـاء وسيد المـرسلين على جميع العالمين .

(انظر بداية السول للعز بن عبد السلام) .

****

قبول الصلاة والسلام عليه ﷺ بلا قيد أو شرط

قال الإمام الرباني مجدد الألف الثانى أحمد الفاروقى السرهندى فى مكتوباته : قال العلماء : إن الصلاة على النبي ﷺ مقبولة ولو صدرت رياء وسمعة، وهي واصلة للنبي ﷺ، وإن لم يحصل منها ثواب إلى المصلى، فإن حصول الثواب من الأعمال مربوط بتصحيح النية، وأما وصولها إلى النبي ﷺ الذى هو محبوب رب العالمين، وكونها مقبولة فى حقه - ﷺ - فتكفيه أدنى علة .

قال أبو العباس التجانى - رضى الله عنه - كما نقله عنه فى جواهر المعانى : ولا وسيلة عند الله أعظم نفعًا وأرجى فى استجلاب رضا الرب عن العبد فى حق العامة أكبر من الصلاة على النبي ﷺ، وإن تدافعت العلماء فى القطع بقبولها، فمن قائل بأن قبولها قطعى، ومن قائل بعدم القطع بقبولها، كسائر الأعمال، والذى نقول به : إنها مقبولة قطعًا، والحجة لنا فى ذلك : أن الله يقول للنبى ﷺ : «من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه» (١) .

وهذا الوعد صادق لا يخلف وهو لا من حيثية العبد، بل من

---

(١) وفى حديث الامام مسلم وأحمد وأبى داود والترمذى والنسائى الذى رواه أبو هريرة (رضى الله عنه) « من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشراً » .

حيثية شدة العنـاية منه سبحانه وتعالى بنبيـه صلى الله عليه وآله وسلم وقيامه عنه سبحانه وتعالى بالمكافأة لمن صلى عليه ـ ﷺ ـ لا يترك صلاة العبد تذهب دون شيء، وهو معنى قبول الصلاة من العبد.

قال ﷺ: «كل الأعمال منها المقبـول والمردود إلا الصلاة على فإنها مقبولة غير مردودة» (١).

قال في الإبريز: ولهذا نرى الرجلين كل منهما يصلي على النبي ﷺ فيخـرج لهـذا أجـر ضعيف ويخـرج لهـذا أجـر لا يكيف ولا

---

(١) قال الشوكاني في الفوائد المجموعة: قال ابن حجر: ضعيف جداً/ اهـ. هذا وقد أحسن القائل:

أدم الصلاة على الحبيب محمد   فقبـولهـا حتم بـدون تـردد
أعمـالنـا بيـن القبـول وردهـا   إلا الصـلاة على النبـي محمـد

هذا آخر ما يسره الله تعالى من التعليقات. نسأل الله عز وجلّ أن يتقبلها وأن يجعل فيها قبسا من نور يبدّد ظلمة الخلاف من الصّدُور، وأن يجازي المـؤلف خير الجزاء بما جمعه من بعض كمالات سيدنـا محمد صلى الله عليـه وآله وسلم وخصائصـه التى تسُرّ قلب المـؤمن الحاذق وتشـرح صدر المحب الصّادق.

ولله درّ ابن الوردي حيث يقول:

فالناس لم يصنّفوا في العلم   *   لكي يصيروا هدفا للذّم
ما صنفوا إلا رجـاء الأجــر   *   والدّعوات وجميل الذكر

وهناك مبـاحـث يسيرة اكتفينا فيهـا بما أورده المؤلف فلم نعلق عليهـا خشية الإطالة لاسيمـا وقد أفردهـا كثير من أهـل العلم بجزء مستقل وذلك كمسألـة الاحتفال بـالمولـد وقضية البدعـة وللشيخ المحدث عبـد الله الغماري [رحمه الله] جزء لطيف أجـاد فيه وأفاد سماه: إتقـان الصنعة فى تحقيق معنى البـدعة ولـه أيضًا: حسـن التفهم والدرك لمسألـة الترك فليـرجع إلى ذلك وإلى غيـره من أراد استزادة البحث والفائدة.

[وكان الفراغ منه يوم الخميس ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٤١٤ هـ].
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

يحصى، وسببه أن الرجل الأول خرجت منه الصلاة على النبي ﷺ مع الغفلة وعمارة القلب بالشواغل والقواطع، وكأنه ذكرها على سبيل الألفة والعادة فأعطى أجرًا ضعيفًا.

والثاني: خرجت منه الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المحبة والتعظيم، لأن حبه وتعظيمه ﷺ فرض واجب على كل أحد لقوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره، والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ (١).

سعة حوض النبي ﷺ وكثرة آنيته وحلاوة مائة وبياض لونه

روى الإمام مسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال ﷺ: «حوضى مشيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الوَرِق - أى الفضة - وريحه أطيب من المسك، وكيزانه - أى كؤوسه - كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدًا».

روى مسلم أيضًا عن أبى ذر - رضى الله عنه قال: قلت:

(١) سورة التوبة آية ٢٤ .

يارسـول الله ما آنيـة الحوض؟ فقـال ﷺ والذى نفس محمـد بيده لآنيتـه أكثـر من عـدد نجـوم السمـاء وكـواكبهـا فى الليلـة المظلمةالمصحيـة، آنية الجنة، من شـرب منها لـم يظمأ آخـر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طـوله، مـا بين عمـان إلى أيلة، مـاؤه أشـد بياضـاً من اللبن وأحلى من العسل».

وروى الإمام مسلم عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ـ قال: (قـدر حوضى كما بين أيلة وصنعـاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء).

وفى الصحيحين وسنن الترمـذي عن أنس ـ رضى الله عنـه ـ أن رسـول الله ﷺ قـال: «مـا بين نـاحيتى حـوضى كمـا بين صنعـاء والمدينة».

وفى رواية: مثل ما بين المدينة وعمان، وفي رواية أخرى: «ترى فيـه أباريق الـذهب والفضـة كعدد نجـوم السماء» زاد في روايـة: «آنيته أكثر من عدد نجوم السماء».

وفى رواية: إن قدر حوضى كما بين أيلة وصنعاء اليمن، وأن فيه الأبـاريق كعـدد نجـوم السماء» واختـلاف هـذه المسـافـات التى ضربها رسول الله ﷺ أمثلة لعرض حوضه الشريف، هذا الاختلاف

جاء لإعلام المخاطبين بسعة الحوض، فإن منهم من يعرف ما بين أيلة وصنعاء، ومنهم من يعرف مسافات أخرى غير تلك فضرب رسول الله ﷺ أمثله لسعة الحوض، جاء في بقية روايات أحاديث الحوض، والقليل من هذه المسافات داخل تحت الكثير، والكثير باق على ظاهره. كما قال الإمام النووي: وليس في القليل من هذه منع الكثير والكثير ثابت على ظاهر الحديث، ولا معارضة، والله أعلم. اهـ.

قال القاضي عياض (رحمه الله تعالى): وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض: ليس موجبًا للاضطراب أى فى أحاديث الحوض، فإنه أى الاختلاف لم يأت فى حديث واحد، بل فى أحاديث مختلفة الرواية عن جماعة من الصحابة سمعوها فى مواطن مختلفة ضرب لها النبي ﷺ فى كل واحد منها مثلا، لبعد أقطار الحوض وسعته، وقرب ذلك من الأفهام لبعد ما بين البلاد المذكورة، لا على التقدير الموضوع للتحديد، بل للإعلام بعظم هذه المسافة، فبهذا تجمع الروايات.

****

شفاعته ﷺ فى رفعة الدرجات فى الجنـة

ورد فى الأحاديث النبويـة : أن هناك شفاعة خـاصة معلقة على أسباب خاصـة ، فمن جاء بذلك السبب نال تلـك الشفاعة ، فإن كـانت له ذنـوب ومعـاصى لم يتب منهـا غفر الله تعـالى لـه بتلك الشفاعة ـ حسب مشيئة الله تعالى وحكمته ـ وإن لم تكن له ذنوب ومعاصى رفعت درجـاته فى الجنة بسبب تلك الشفاعـة ومن هذه الأسباب : سؤال الدعاء بالوسيلة والمقام المحمود عقب الأذان .

روى مسلم وأصحاب السنـن عن ابن عمر ـــ رضى الله عنهما ـ أنه سمع النبي ﷺ يقول : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم سلوا الله لى الوسيلة ، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنـا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة» .

وروي البخـاري وأصحـاب السنن عن جابـر رضى الله عنـه أن رسول الله ﷺ قـال : «من قال حين يسمع النـداء ، اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمـة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة» .

وزاد البيهقي فى روايته : «إنك لا تخلف الميعاد» .

وعن أبي الدرداء (رضى الله عنه) أن رسـول الله ﷺ كان يقول إذا سمع المؤذن : «اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل

على محمد وأعطه سؤله يوم القيامة» وكان يسمعها من حوله، ويحب ﷺ أن يقولوا مثل ذلك إذا سمعوا المؤذن. قال: ومن قال مثل ذلك إذا سمع المؤذن وجبت له شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة.

ومن أسباب شفاعته الخاصة زيارته الكريمة ﷺ، فعن حاطب (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة» وعن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زار قبرى أو قال: من زارنى كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة» وروى البيهقى عن أنس (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة، ومن زارنى محتسباً إلى المدينة كان فى جوارى يوم القيامة).

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من زار قبرى وجبت له شفاعتى» أى يخصه رسول الله ﷺ بشفاعة ليست لغيره، إما بزيادة نعيم أو تخفيف هول ذلك اليوم عنه، أو دخول الجنة بغير حساب، أو رفع درجاته فى الجنة، أو بزيادة شهود الحق تعالى والنظر إليه، أو بغير ذلك من أنواع الإنعام والإكرام، وفى المعجم الكبير للطبرانى عن ابن عمر أن النبي ﷺ

قال: «من جاءنى زائراً لا تعمله (أى لا تحمله على العمل حاجة) إلا زيارتى كان حقاً على أن أكون له شفيعاً يوم القيامة».

ويكفى بهذه الأحاديث التى ذكرناها، وتنوع رواياتها وكثرة طرقها دليلاً صريحاً فى مشروعية زيارة سيدنا رسول الله ﷺ وحثه عليها، وترغيبه فيها وبيانه لفضل زيارته الكريمة: نسأل الله العظيم قبولها واستمرارها بجاه رسول الله ﷺ عند الله تعالى.

ومن أسباب شفاعته الخاصة ﷺ الموت فى مدينته الطَّيبة، والصبر على لأوائها، زادها الله تعالى شرفاً ورفعة، ونفحنا الله تعالى بنفحاتها الطيبة.

روى الترمذى عن ابن عمر (رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها).

ورواه ابن ماجه بلفظ: «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل فإنى أشهد لمن مات بها).

وروى الطبرانى بإسناد حسن عن امرأة يتيمة كانت عند رسول الله ﷺ من ثقيف: أن رسول الله ﷺ قال: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإن من مات بالمدينة كنت له شهيداً (أو شفيعاً) يوم القيامة».

وعن عبد الله بن عباد قال سمعت النبي ﷺ يقول: «أول من

أشفع له أهل المدينة، ثم أهل مكة، ثم أهل الطائف».

ومن أسباب شفاعته الخاصة كثرة الصلاة على النبي ﷺ:

روى الترمذي وابن حبان فى صحيحه عن ابن مسعود (رضى الله عنه): قال رسول الله ﷺ: «إن أولى الناس بى يوم القيامة ـ أى أحقهم بشفاعتى وإكرامى ـ أكثرهم علىَّ صلاة).

وعن رويفع بن ثابت الأنصارى (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال اللهم صل على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى».

والمراد هنا بالمقعد المقرب: أعلى منازل الجنة وهو مقام الوسيلة، فإنها أعلى منزلة فى الجنة.

وروى الإمام أحمد عن أبى بن كعب رضى الله عنه أن رجلاً قال: يارسول الله أرأيت إن جعلت صلاتى كلها عليك؟ (أى جعلت دعائى كله صلاة عليك) فقال ﷺ: «إذن يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمك من دنياك وآخرتك). وأخرج الطبرانى بسند جيد عن أبى الدرداء (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علىَّ حين يصبح عشرًا، وحين يمسى عشرًا: أدركته شفاعتى يوم القيامة.

وأخرج البيهقى فى الشعب عن أنس (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة، وليلة الجمعة، فمن فعل ذلك كنت له شهيداً (أو شافعاً) يوم القيامة.

****

الوصايا النبوية قبل الموت

أخرج أحمد وابن ماجة بسند قوى «مات رسول الله ﷺ ولم يوص».

المقصود بهذه الوصاية الخلافة. فعن عمر رضى الله عنه مات رسول الله ﷺ ولم يستخلف [رواه البخاري] أما الوصايا بغير الخلافة فوردت فى عدة أحاديث يجتمع منها أشياء.

١ - منها عن عائشة أن النبي ﷺ قال فى وجعه الذى مات فيه: ما فعلت الذهبية؟ قلت عندى قال: أنفقيها» أخرجه أحمد وغيره وفى رواية «ابعثى بها لعلى يتصدق بها».

٢ - أوصى بمائة وسق من خيبر للداريين والرهاويين والأشعريين.

٣ - أن لا يُتْرك بجزيرة العرب دينان.

٤ - أن ينفذ بعث أسامة

(الثلاثة هذه رواها ابن إسحق فى المغازى).

٥ - أن يجيزوا الوفد بنحو ما كان يجيزه (مسلم).

٦ - أوصى بكتاب الله (البخارى).

٧ - أوصى بالصلاة (النسائى وأحمد).

٨ - أوصى بما ملكت أيمانهم (النسائى وأحمد).

٩ - أوصى بالزكاة (أبو داود وابن ماجه).

١٠ - أوصى بالتحذير من الفتن (سيف بن عمر فى الفتوح).

١١ - أوصى بلزوم الجماعة (سيف بن عمر فى الفتوح).

١٢ - أوصى بالطاعة (سيف بن عمر فى الفتوح).

١٣ - أوصى السيدة فاطمة أن تقول عند وفاته: «إنا لله و إنا إليه راجعون» للواقدى.

١٤ - أوصيكم بالسـابقين الأولين من المهاجـرين وأبنائهم من بعدهم.

(الطبرانى فى الأوسط) وفيه من لا يعرف حاله.

١٥ - أوصى بأنه إذا مات أن يغسل بسبع قرب من بئر غرس.

(لابن ماجة وانظر البخارى).

١٦ - أوصى أن يصلى عليه أرسالاً بغير إمام.

(البزار والحاكم بسند ضعيف).

اهـ، باختصار من الفتح ج ٥ ص ٣٦٣ كتاب الوصايا

****

إلى الرفيق الأعلـــــى

ذكر الحافظ القسطلانى فى المواهب: عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر، فقال: «إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده» فبكى أبو بكر (رضى الله عنه) وقال: يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ماشاء، وبين ما عنده وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به» رواه الشيخان.

ومازال ﷺ يعرض باقتراب أجله فى آخر عمره، وذكر من ذلك فى المواهب عدة أحاديث، إلى أن قال: ذكر الواحدى بسند وصله بعبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) قال: نعى لنا رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر، فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت عائشة. فقال: حياكم الله بالسلام، رحمكم الله، جبركم الله، رزقكم الله، نصركم الله، رفعكم الله، آواكم الله، أوصيكم بتقوى الله وأستخلفه عليكم، وأحذركم الله: إنى لكم منه نذير مبين، أن لاتعلوا على الله فى بلاده وعباده، فإنه قال لى ولكم: «تلك الدار الآخرة

نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» . وقال تعالى : «أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين» ، قلنا يارسول الله متى أجلك؟ قال : دنا الفراق والمنقلب إلى الله تعالى ، وإلى جنة المأوى ، قلنا يارسول الله : من يغسلك؟ قال : رجال أهل بيتى الأدنى فالأدنى ، قلنا يارسول الله ففيم نكفنك؟ قال : فى ثيابي هذه ، وإن شئتم فى ثياب بياض مصرية ، أو حلة يمنية ، قلنا يارسول الله : من يصلى عليك؟ قال : إذا غسلتمونى وكفنتمونى ، فضعونى على سريري هذا على شفير قبرى ، ثم اخرجوا عنى ساعة ، فإن أول من يصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت ، ومعه جنود من الملائكة ، ثم ادخلوا على فوجاً فوجاً ، فصلوا على وسلموا تسليماً ، وليبدأ بالصلاة على رجال أهل بيتى ، ثم نساؤهم ، ثم أنتم ، ثم اقرأوا السلام على من غاب من أصحابى ، ومن تبعنى على دينى من يومى هذا إلى يوم القيامة ، قلنا : يارسول الله ومن يُدْخِلُكَ قبرك؟ قال أهلى مع ملائكة ربى ، وكذا رواه الطبرانى .

وروى البخاري عن عائشة (رضى الله عنها) قالت : كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول : إنه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير ، فلما اشتكى ﷺ وحضره القبض ورأسه على فخذى غشى عليه ، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ،

ثم قال: اللهم فى الرفيق الأعلى، فقلت: إذن لا يختارنا، فعرفت أنه حديثه الذى كان يحـدثنا وهو صحيح، ولما تغشاه الكرب ﷺ قالـت فاطمـة (رضى الله عنها): واكـرب أبتاه، فقـال ﷺ لها: لا كرب على أبيك بعد اليوم [رواه البخارى].

قال العلماء: إن ذلك الألم والوجع زيـادة فى رفعة منزلته ﷺ، وأخرج الطبـرانى من حديث ابن عبـاس قال: «جـاء ملك الموت إلى النبي ﷺ فى مـرضه ورأسه فـى حجر على، فاستـأذن فقال: السـلام عليكم ورحمـة الله وبـركاتـه، فقـال لـه على: ارجع فإنـا مشاغيل عنك، فقال ﷺ: هذا ملك الموت، ادخل راشداً، فلما دخل، قال: إن ربـك يقرئك السلام، فبلغنى أن ملـك الموت لم يسلم على أهل بيت قبله ولا يسلم بعده.

وعن جعفر بن محمـد عن أبيه، قال: لمـا بقى من أجل رسول الله ﷺ ثـلاث، نـزل عليـه جبريـل، فقال: يـامحمـد إن الله قـد أرسلنى إليك إكـراماً لك، وتفضيـلاً لك، وخاصـة لك، ليسألك عمـا هـو أعلم بـه منك، يقـول: كيف تجـدك؟ فقـال: أجـدنى ياجبريل مغموماً وأجدنى مكروباً، ثم أتاه فى اليوم الثانى، فقال له مثل ذلك، ثم جـاءه فى اليـوم الثـالث، فقـال لـه مثل ذلك، ثم استأذن عليه ﷺ ملك الموت، فقال جبـريل: يامحمد هذا ملك المـــوت، يستأذن عليك. ولـم يستأذن على آدمـى قبلك، ولا

يستأذن على آدمى بعدك، قال: ائذن له، فدخل ملك الموت فوقف بين يديه، فقال: يارسول الله: إن الله عز وجل أرسلنى إليك، وأمرنى أن أطيعك فى كل ما تأمر، إن أمرتنى أن أقبض روحك قبضتها، وإن أمرتنى أن أتركها تركتها، فقال جبريل: يامحمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك، فقال ﷺ فامض يا ملك الموت لما أمرت به، فقال جبريل يارسول الله هذا آخر موطئى من الأرض إنما كنت حاجتى من الدنيا فقبض روحه ﷺ، فلما توفى ﷺ سمعوا صوتاً من ناحية البيت، يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة» إن فى لله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال على: أتدرون من هذا؟ هذا هو الخضر عليه السلام، رواه البيهقى، فى كتاب دلائل النبوة.

وروى الحاكم من حديث أنس، قال: آخر ما تكلم به ﷺ: (جلال ربى رفيع) وعن سالم بن عبد الله الأشجعى، قال: لما مات رسول الله ﷺ كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فأخذ بقائم سيفه، وقال: لا أسمع أحداً يقول: مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفى هذا، قال: فقالت الناس: ياسالم اطلب لنا صاحب رسول الله ﷺ قال: فخرجت إلى المسجد، فإذا

أنـا بأبى بكـر، فلمـا رأيته أجهشت بـالبكـاء (أى تهيأت) فقـال : ياسـالم : أمات رسول الله ﷺ؟ فقلت : إن هذا عمـر بن الخطاب يقول : لا أسمع أحداً يقول : مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفى هذا، قال : فأقبل أبو بكر حتى دخل على النبى ﷺ وهو مسجى، فـرفع البرد عن وجهـه، ووضع فـاه على فيه، واستنشى الـريح ثم سجّاه والتفت إلينـا فقال : «وما محمد إلا رسـول الله قد خلت من قبله الـرسل» الآية «وقال تعـالى : «إنك ميت وإنهم ميتون» يـا أيها الناس من كان يعبـد محمداً فإن محمداً قد مـات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يمـوت، قـال عمـر: فـوالله لكأنى لم أتل هـذه الآيات قط» رواه الترمذي. ومعنى استنشى الريح : شمها.

وقـال ابن المنير: لمـا مـات رسـول الله ﷺ: طاشت العقـول : فمنهم من خبـل، ومنهم من أقعــد فلم يطق القيــام، ومنهم من أخـرس، فلم يطـق الكـلام ومنهم من أضنى، وكــان عمـر ممن خبل، وكـان عثمـان ممن أخــرس، يـذهب ويجىء ولا يستطيع كلاماً، وكان على ممن أقعد، فلم يستطع حراكاً، وأضنى عبد الله ابن أنيس فمات كمداً.

وكـان أبـو بكر الصـديق (رضى الله عنـه وعنهم) جـاء وعينــاه تهملان وزفراتـه تتردد وغصصه تتصاعد وتـرتفع فدخل على النبي ﷺ فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهـه، وقال : طبت حياً وميتاً

يا رسول الله، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء، فعظُمت عن الصفة وجللت عن البكاء، ولو أن موتك كان اختيارياً لجُدْنا لموتك بالنفوس، اذكرنا يامحمد عند ربك، ولنكن من بالك».

وفى رواية عن عائشة (رضى الله عنها) عند الإمام أحمد: أن أبا بكر (رضى الله عنه) أتى النبى ﷺ من قبل رأسه، فحدر فاه وقبل جبهته الشريفة، ثم قال: وانبياه، ثم رفع رأسه فحدر فاه، وقبل جبهته ﷺ ثم قال: واصفياه، ثم رفع رأسه فحدر فاه، وقبل جبهته وقال: واخيللاه».

ولما توفى عليه الصلاة والسلام، قالت فاطمة (رضى الله عنها): يا أبتاه، أجاب رباً دعاه، يا أبتاه فى جنة الفردوس مأواه، ياأبتاه إلى جبريل ننعاه. (رواه البخاري).

وأخرج أبو نعيم عن على (رضى الله عنه) قال: لما قبض رسول الله ﷺ صعد ملك الموت باكياً إلى السماء، والذى بعثه بالحق نبياً، لقد سمعت صوتاً من السماء ينادى: وامحمداه، كل المصائب تهون عند هذه المصيبة».

وفى سنن ابن ماجه أنه ﷺ قال فى مرضه: أيها الناس: إنْ أحدٌ من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بى عن المصيبة التى تصيبه بغيرى، فإن أحداً من أمتى لن يصاب بمصيبة بعد أشد عليه من مصيبتى».

وكـانت وفاتـه ﷺ يوم الاثنيـن بلا خـلاف، ودفن يوم الأربعـاء للاختلاف الذى وقع فى موته، وفى محل دفنه ﷺ.

وأخـرج ابن عساكـر عن أبى ذؤيب الهذلى قـال: قد بلغنـا أن النبي ﷺ عليل، فأوجس أهل الحى خيفـة، وبت بليلة طـويلة، حتى إذا كان قرب السحر، نمت فهتف بى هاتف، وهو يقول:

خَطْبٌ أجل أنـاخ بـالإسـلام   بين النخيـل ومعقـــد الآطــام
قبض النبى محمـــد فعيـوننـا   تبـدى الدمـوع عليـه بالتسجـام

فوثبت من نومى فزعاً، فنظرت إلى السماء فلم أر الأسعد الذابح (اسم نجـم) فعملت أن النبى ﷺ قبض وهـــو ميت، فقـــدمت المـدينة ولأهلهـا ضجيج بـالبكاء، كضجيج الحجيج، إذا أهلـوا بالإحرام، فقلت: مه؟ فقيل: قبض رسول الله ﷺ.

ولقد أحسن حسان بقوله يرثيه عليه الصلاة والسلام:

كنت الســـواد لنـــاظـــرى   فعمـى عليك النــــاظــــرُ
من شــــاء بعــــدك فليمت   فعليـك كنـت أحـــــــاذر

وأخـرج أبو داود وصححـه والحـاكم عن على (رضى الله عنـه) قال: غسلته ﷺ: فذهبت أنظـر ما يكون من الميت ولم أر شيئاً، وكان طيباً حياً وميتاً صلى الله عليه وآله وسلم.

وفى رواية ابن سعد: «وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط».

وروى ابن ماجة عن ابن عباس (رضى الله عنهما): أنهم لما فرغوا من جهازه ﷺ يوم الثلاثاء، وضع على سريره فى بيته، ثم دخل الناس عليه ﷺ أرسالاً، يصلون عليه حتى إذا فرغوا دخل النساء، حتى إذا فرغن دخل الصبيان، ولم يؤم الناسَ أحدٌ.

وفى رواية: إن أول من صلى عليه ﷺ: الملائكة أفواجاً، ثم أهل بيته، ثم الناس فوجاً فوجاً، ثم نساؤه آخراً.

ولما دفن ﷺ فى موضع فراشه فى حجرة عائشة (رضى الله عنها) جاءت فاطمة (رضى الله عنها) فقالت: كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟ وأخذت من تراب القبر الشريف، ووضعتها على عينيها، وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد   أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها   صبت على الأيام عدن لياليا

وروى الدرامى عن أنس (رضى الله عنه) قال: مارأيت يوماً كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ المدينة، وما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ.

وفى رواية الترمذى عنه أيضاً: «لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شىء، فلما كان اليوم الذى

مات فيه ﷺ أظلم منهـا كل شيء، وما نفضنا أيدينـا من التراب، وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا».

اللهم ألحقنا به غير خزايـا ولا نادمين، ولا مغيرين ولا مبدلين، يارب العالمين، واختم لنا منك بخير أجمعين.

والحمـد لله رب العالمين، وكتبـه محمـد بن علوى بن عبـاس المالكى المكى الحسنى: خادم السنة النبوية بالبلد الحرام، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين كافة. آمين.

يقول مؤلفه: «لقد ختمت بحمد الله تعالى هذه النسخة.

مساء يوم الجمعة بتاريخ ١٩/ ٧/ ١٣٩٩ هـ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

****

فهـــرس

الموضوع	الصفحة

(١) كل ما بين القوسين فهو فى الهامش

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية

١٩٩٣/١٠٢٢٠

الترقيم الدولى

I. S. B. N

977 - 5259 - 15 - 0

مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع



للعالم الفاضل

السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

الناشر : دار جوامع الكلم ١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى
الدراسة - القاهرة - ت : ٥٨٩٨٠٢٩